مجموعة التوحيد

لشيوخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية — محمد بن عبد الوهاب

محمد بن علي الشوكاني — أئمة الدعوة النجدية

قدم له

فضيلة الشيخ

خالد بن مساعد الرويتع

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض

فضيلة الشيخ

فهد بن يحيى العماري

القاضي بمحكمة الأشتاف في كدل بكرة

قرأه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

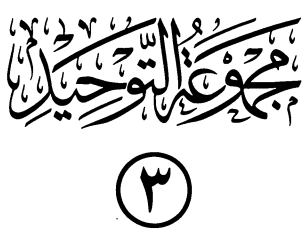
أبو شعيب

طارق بن عبد الواحد بن علي

عفا الله عنه ورحمه وأحسن إليه

الجزء الثالث

مكتبة دار الحمام
للنشر والتوزيع


مجموعة التوحيد
٣

دار الكتب والوثائق القومية
الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المصنف: مجموعة التوحيد
تأليف: شيوخ الإسلام
رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٨٥١٦
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٠٤-٠٧٦-٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال: ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥١١٥٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد القدير هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البطاط - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

مجموعة التوحيد

لشيوخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية — محمد بن عبد الوهاب

محمد بن علي الشوكاني — أئمة الدعوة النجدية

قدم له

فضيلة الشيخ

خالد بن مساعد الرويتع

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض

فضيلة الشيخ

فهد بن يحيى العماري

القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة

قرأه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

أبو شعيب

طارق بن عبد الواحد بن علي

عفا الله عنه برحمته وإحسانه

الجزء الثالث

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع



[٣٣]

قاعدة «الواسطة»

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه وكفىٰ، وسلامٌ علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

أما بعد:

فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا؛ فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين اللَّه؛ فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك.

الجواب: الحمد للَّه رب العالمين:

[١] إن أراد بذلك أنه لابد من واسطةٍ تبلِّغُنا أمر اللَّه، فهذا حق؛ فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه اللَّه ويرضاه، وما أمر به وما نهىٰ عنه، وما أعدَّه لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه اللَّه تعالىٰ من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا؛ التي تعجز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك= إلا بالرسل الذين أرسلهم اللَّه تعالىٰ إلىٰ عباده، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقرِّبُهم لديه زلفىٰ، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

وأما المخالفون للرُّسل، فإنهم ملعونون، وهم عن ربِّهم ضالون محجوبون.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

▫ قال ابن عباس: «تكفَّل اللَّه تعالىٰ لمن قرأ القرآن وعَمِل بما فيه ألَّا يَضِلَّ في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة».

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ[1] حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء].

ومثل هذا في القرآن كثير.

(١) ﴿زُمَرًا﴾: أفواجًا.

وهذا مما أجمع عليه جميعُ أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين اللَّه وبين عباده، وهم الرسل الذين بلَّغوا عن اللَّه أمره وخبره.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ومن أنكر هذه الوسائطَ فهو كافرٌ بإجماع أهل الملل، والسور التي أنزلها اللَّه تعالىٰ بمكة مثل الأنعام، والأعراف، وذوات: «ألر» و«حم»، و«طس»، ونحو ذلك هي متضمنةٌ لأصول الدين؛ كالإيمان باللَّه ورسله واليوم الآخر.

وقد قص اللَّه قصص الكفار الذين كذَّبوا الرسل، وكيف أهلكهم، ونصر رسله والذين آمنوا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ[1] ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

فهذه الوسائط تطاع وتُتَّبع ويُقتدىٰ بها.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]،

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: يوم القيامة؛ يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ، وعلىٰ الكفار بالتكذيب.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ[١] وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

[٢] وإن أراد بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن تكون واسطةٌ[٢] في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه= فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللَّه به المشركين؛ حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون بهم المضار، لكنَّ الشفاعة لمن يأذنُ اللَّه له فيها حق.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ[٣] بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

(١) ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وقَّروه وأجلُّوه.

(٢) بهذا الضبط فإن كلمة «يكون» تعدُّ تامةً، بمعنىٰ: «تُوجد».

(٣) ﴿تُبْسَلَ﴾: تُحبس وتُسلَم للعذاب ـ عياذًا باللَّه ـ.

▫ قال طائفة من السلف: «كان أقوامٌ يَدْعُون المسيحَ والعُزيرَ والملائكة، فبيَّن اللَّهُ لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشفَ الضر عنهم ولا تحويلًا، وأنهم يتقربون إلىٰ اللَّه، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه»[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كُفرٌ؛ فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات= فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ

(١) هذه الفقرة جاءت في المطبوع وفي «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٢٤) بعد الآية التالية، لكن ذكرها هنا أنسب لتعلقها بالآية السابقة مباشرةً. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ[1] ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا[2] ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢].

(١) **الاستنكاف**: الاستكبار والتعالي.

(٢) ﴿إِدًّا﴾: منكرًا عظيمًا.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

ومثل هذا كثيرٌ في القرآن.

ومَن سِوىٰ الأنبياء من مشايخ العلم والدين، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته؛ يبلغونهم، ويعلمونهم، ويؤدبونهم، ويقتدون بهم= فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا فإجماعُهم حجةٌ قاطعة، لا يجتمعون علىٰ ضلالة[(١)]، وإن تنازعوا في شيءٍ ردُّوه إلىٰ اللَّه والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم علىٰ الإطلاق، بل كل أحد من الناس يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وقد قال ﷺ: «**العلماءُ ورثة الأنبياء؛ فإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ وإنما ورَّثوا العلم؛ فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافر**»[(٢)].

(١) **صحيح**: وله طرقٌ وشواهد كثيرةٌ، فانظر: «مسند الإمام أحمد» (٤٥/ ٢٠٠ ـ الرسالة)، و«سنن الترمذي» (٢٣٠٥ ـ الرسالة)، و«السلسلة الصحيحة» (١٣٣١).

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أحمد (١٩٦/٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، والدارمي (٣٤٢)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (٢١٦/٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٠٦ ـ تهذيبي)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقطع الإمام الدراقطني **بعدم ثبوته**، وكذلك **فعل** الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/٢)، ونقل الحافظ ابن عبدالبر عقب إيراده في «جامع العلم» (١/ ١٦٠) عن الإمام حمزة الكنانيِّ أنه حديث **حسن غريب**. وقد **صحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧)، بينما **حسَّنه** فقط في «صحيح =

[٣] وإن أثبتم وسائط بين اللَّه وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين المِلك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلىٰ اللَّه حوائج خلقه، فاللَّه إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون اللَّه، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال المَلِك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفعُ لهم من طلبهم من المَلك؛ لكونهم أقرب إلىٰ الملك من الطالب للحوائج= فمن أثبتهم وسائط علىٰ هذا الوجه فهو كافرٌ مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبِّهون للَّه، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا للَّه أندادًا. وفي القرآن من الرد علىٰ هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوىٰ.

[أحوال الوسائط الذين بين الناس وكبرائهم]:

فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون علىٰ أحد وجوهٍ ثلاثة:

[الوجه الأول]: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه[(١)]، ومن قال: «إن اللَّه لا يعلم أحوال عباده، حتىٰ يخبره بذلك بعضُ الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم» فهو كافر؛ بل هو سبحانه يعلم السرَّ وأخفىٰ، لا تخفىٰ عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، علىٰ تفنُّن الحاجات، لا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائل، ولا يَتبرَّمُ بإلحاح الملحِّين.

= الترغيب» (٦٨)، وكذا الشيخ شُعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٦/٣٦)، وعند أبي داود (٤٨٥/٥)، وابن ماجه (١٥١/١).

(١) أي: بما لا يعرفه الملوك.

الوجه الثاني: أن يكون المـلِك عـاجزًا عـن تدبيـر رعيتـه، ودفع أعدائه إلا بأعوانٍ يُعينونه، فلابد له من أنصار وأعوان لذُلِّه وعجزه، واللَّه سبحانه ليس له ظَهيرٌ(١)، ولا وليٌّ من الذل(٢).

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

وكلُّ ما في الوجود من الأسباب فهو خالقُه وربُّه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه؛ بخلاف الملوك المحتاجين إلىٰ ظُهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم في المُلك، واللَّهُ تعالىٰ ليس له شريكٌ في الملك؛ بل لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير.

الوجه الثالث: أن يكون المَلِكَ ليس مريدًا النفعَ لرعيته، والإحسانَ إليهم ورحمتَهم، إلا بمحرِّكٍ يحركُه من خارج؛ فإذا خاطب المَلِكَ مَن ينصحه ويعظه، أو من يُدِلُّ عليه(٣)؛ بحيث يكون يرجوه ويخافه= تحركت إرادةُ الملك وهمَّتُه في قضاء حوائج رعيته:

- إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير.
- وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة مِن كلام المُدِلِّ عليه(٤).

(١) **الظَّهير**: المساعد.

(٢) أي: لا يصيبه ذلٌّ وضعفٌ وعجزٌ، فيحتاج إلىٰ مُعينٍ وناصرٍ له ﷻ.

(٣) **يُدلُّ**: يتدلَّل ويتعزز.

(٤) في المطبوعات: «الدال عليه»، والمثبت من «الفتاوىٰ» (١٢٨/١).

واللَّهُ تعالىٰ هو ربُّ كل شيء ومليكُه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها[١]، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرىٰ نفعَ العباد بعضِهم علىٰ [يد] بعض؛ فجعل هذا يُحسِنُ إلىٰ هذا، ويدعو له، ويشفع فيه، ونحو ذلك= فهو الذي خَلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافعِ إرادةَ الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود مَن يُكرهُه علىٰ خلاف مراده [ﷻ]، أو يُعلِمُه ما لم يكن يعلم، أو مَن يرجوه الربُّ ويخافه.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا يقولَنَّ أحدكم: اللهم اغفِرْ لي إن شئت، اللهم ارحمْني إن شئت، ولكن لِيَعْزِمِ**[٢] **المسألة؛ فإنه لا مُكرِهَ له**»[٣].

والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه، كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

فبيَّن أن كل مَن دُعيَ مِن دونه ليس له مُلكٌ، ولا شِركٌ في المُلك، ولا هو ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أَذِن له، وهذا

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤)، من حديث الفاروق عمر رضي الله عنه.

(٢) في المطبوعات: «ليجزم»، والتصويب من «مجموع الفتاوىٰ» ـ الموضع السالف ـ.

(٣) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بخلاف الملوك؛ فإن الشافع عندهم قد يكون له مُلك، وقد يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا ومعاونًا لهم علىٰ ملكهم، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم وغيرُهم، والمَلِكُ يَقبل شفاعتهم؛ تارةً لحاجته إليهم، وتارةً لخوفه منهم، وتارةً لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم، ولإنعامهم عليه؛ حتىٰ إنه يقبل شفاعةَ ولده وزوجته لذلك؛ فإنه محتاجٌ إلىٰ الزوجة وإلىٰ الولد، حتىٰ لو أعرض عنه ولده وزوجتُه لتضرَّر بذلك، ويَقبل شفاعة مملوكه؛ فإنه إذا لم يقبل شفاعته خاف ألَّا يطيعه، أو أن يسعىٰ في ضرره.

وشفاعةُ العباد بعضهم عند بعض كلُّها من هذا الجنس، فلا يَقبل أحدٌ شفاعة أحد إلا لرغبةٍ أو رهبة. واللَّه تعالىٰ لا يرجو أحدًا، ولا يخافه، ولا يحتاج إلىٰ أحد؛ بل هو الغني.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١) ﴿٦٦﴾﴾ [يونس]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ٦٨].

والمشركون يتخذون شفعاءَ من جنس ما يعهدونه(٢) من الشفاعة.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ (٣) وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

(١) ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون.

(٢) في المطبوعات: «يعدونه»، والتصويب من المصدر السابق (١/١٢٩).

(٣) راجع (١/٢٦٠).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (١) ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٢) ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

فأخبر أن ما يُدعىٰ من دونه لا يملكُ كشف الضر ولا تحويلًا، وأنهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويتقرَّبون إليه، فهو ـ سبحانه ـ قد نفىٰ ما أثبتوا للملائكة والأنبياء، إلا من الشفاعة بإذنه، والشفاعةُ هي الدعاء، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضِهم لبعض نافع، واللَّهُ قد أمر بذلك؛ لكنَّ الداعي الشافعَ ليس له أن يدعوَ ويشفع إلا بإذن اللَّه له في ذلك، فلا يشفع شفاعةً نُهي عنها، كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ﴾ [التوبة].

(١) أي: وهذه عاقبة كذبهم وافترائهم علىٰ اللَّه تعالىٰ في الحياة.

(٢) راجع (٢٦٢/١).

وقال تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون].

وقد ثبت في «الصحيح» أن اللَّه تعالىٰ نهىٰ نبيَّه ﷺ عن الاستغفار للمشركين والمنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم(١)، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقولِه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]. في الدعاء(٢).

ومن الاعتداء في الدعاء: أن يسأل العبدُ ما لم يكن الربُّ ليفعله، مثل أن يسأله منازل الأنبياء ـ وليس منهم ـ، أو المغفرةَ للمشركين، ونحو ذلك، أو يسألَه ما فيه معصيةٌ للَّه ﷻ؛ كإعانته علىٰ الكفر والفسوق والعصيان. فالشفيعُ الذي أَذِنَ اللَّه له في الشفاعة، شفاعتُه في الدعاء الذي ليس فيه عدوان، ولو سأل أحدُهم دعاءً لا يصلح له لا يُقَرُّ عليه؛ فإنهم معصومون أن يُقرُّوا علىٰ ذلك، كما قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود]، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) هذه العبارة ساقطةٌ من المطبوع، ومستدركةٌ من «مجموع الفتاوىٰ».

وكلُّ داعٍ شافع دعا اللَّه ﷻ وشَفَع، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء اللَّه تعالىٰ وقدره ومشيئته، وهو الذي يجيب الدعاء، ويقبل الشفاعة، فهو الذي خلق السببَ والمسبَّب، والدعاءُ من جملة الأسباب التي قدَّرها اللَّه ﷻ.

وإذا كان كذلك، فالالتفاتُ إلىٰ الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدحٌ في الشرع؛ بل العبد يجب أن يكون توكُّلُه ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلىٰ اللَّه تعالىٰ، واللَّهُ يقدِّرُ له من الأسباب ـ من دعاء الخلق وغيرهم ـ ما شاء.

والدعاء المشروع: أن يدعوَ الأعلىٰ للأدنىٰ، والأدنىٰ للأعلىٰ؛ فطلبُ الشفاعة والدعاء من الأنبياء [جائزٌ]؛ كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء؛ بل وكذلك بعده استسقىٰ عمر والمسلمون بالعباس عمِّه[1]، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمدٌ ﷺ هو سيد الشفعاء، وله شفاعاتٌ يختص بها، ومع هذا فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثلَما يقول، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنه مَن صلىٰ عليَّ مرةً صلىٰ اللَّه عليه عشرًا، ثم سلوا اللَّهَ لي الوسيلة؛ فإنها درجةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون ذلك العبدَ؛ فمَن سأل اللَّهَ لي الوسيلةَ حلَّت عليه شفاعتي يوم القيامة**»[2].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما. وليس في البخاري.

وقد قال [ﷺ] لعمر لما أراد أن يعتمر، وودَّعه: «**يا أُخيَّ، لا تَنسني من دعائك**»(١).

فالنبي ﷺ قد طلب من أمَّته أن يدعُوا له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم؛ بل أمْرُه بذلك لهم كأمرِه لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها، مع أنه ﷺ له مثلُ أجورهم في كل ما يعملونه؛ فإنه قد صحَّ عنه أنه ﷺ قال: «**مَن دعا إلىٰ الهدىٰ كان له من الأجر مثلُ أجورِ من تبعه، مِن غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ كان عليه من الوزر مثلُ أوزار من تبعه، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيئًا**»(٢).

وهو داعي الأمة إلىٰ كل هدًىٰ؛ فله مثلُ أجورهم في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلَّوْا عليه؛ فإن اللَّه يصلي علىٰ أحدهم عشرًا(٣)؛ فله مثلُ أجورهم، مع ما يستجيبُه من دعاهم له؛ فذلك الدعاء قد أعطاهم اللَّه أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمةً من اللَّه عليه.

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٢٩/١)، والطيالسي (١٠)، وأبو داود (١٤٩٨)، والتِّرمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣)، والبزار (١٢٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٤١٢/٥)، وابن السني في «عمل اليوم» (٣٨٥)، من حديث الفاروق عمر رضي الله عنه. وقال الترمذي: «**حسن صحيح**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني عنده، وفي «ضعيف الجامع» (٦٢٧٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٢٦/١)، وعند أبي داود (٨٠/٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم غير بعيد.

وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنه قال: «**ما من رجلٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوةٍ، إلا وَكَّل اللَّهُ به ملَكًا، كلما دعا لأخيه بدعوةٍ قال الملكُ الموكَّلُ به: آمين، ولك مثلُ ذلك**»(١).

وفي حديث آخر: «**أسرع الدعاء إجابةً: دعاء غائبٍ لغائب**»(٢).

فالدعاءُ للغير يَنتفع به الداعي والمدعوُّ له ـ وإن كان الداعي دون المدعوِّ له ـ؛ فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعوُّ له؛ فمن قال لغيره: «ادع لي»، وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك= كان هو وأخوه متعاونَينِ علىٰ البر والتقوىٰ، فهو نبَّه المسؤولَ وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة مَن يأمر غيره ببرٍّ وتقوىٰ، فيثاب المأمور علىٰ فعله، والآمِرُ ـ أيضًا ـ يُثاب مثلَ ثوابه لكونه دعا إليه، لا سيما ومِن الأدعية ما يؤمر بها العبد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأمره

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أبو داود (١٥٣٥)، والتِّرمذي (١٩٨٠)، وعبد بن حُميد (٣٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢١/٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٨٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٣٢٩)، و«الكبير» (٣٣/١٣)، وابن شاهين في «فضائل الأعمال» (٤٩٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢٨)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (١٩٨/٥)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما. **وضعَّفه** الترمذي، وكذا البغوي، **وأقرَّ** الترمذيَّ الحافظُ العراقي في تخريج «الإحياء» (١٣٩/٢)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، وفي «ضعيف الجامع» (٥٠٦٥)، **وضعَّفه جدًّا** في (٨٤١)، بينما **حسَّنه بشاهده** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦٣٨/٢).

بالاستغفار، ثم قال[١]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا[٢] ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].

(١) كذا في المطبوع، وفي «مجموع الفتاوىٰ»، وهذا يوحي أن الآيتين من سورةٍ واحدةٍ، وليس كذلك، فلعل الإمام أراد أن الآية القادمة نزلت بعد السابقة، وكلتا السورتين مدنية، وهذا هو أقرب ما تبدَّىٰ لي. وإلا فتكون كلمة «ثم» سبق قلم من الإمام أو خطأ من الناسخ، والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(٢) وهذه الآية استدل بها بعضُ عُبَّاد القبور علىٰ جواز الذهاب إلىٰ قبور الأموات، وسؤالِهم أن يدعوَ لهم الميتُ بأن يغفر اللَّه تعالىٰ لهم!
وهذا استدلالٌ باطلٌ ـ قطعًا ـ من عدةِ وجوهٍ:
١ ـ إطلاق «المجيء» ـ شرعًا وعقلًا ـ لا يكون إلَّا للحي، أما للميت فيقيَّد المجيء بالمكان المذهوب إليه فيه ـ وهو القبر ـ، فيقال: «جئتُ إلىٰ قبره، ذهبتُ إلىٰ قبره»، وليس: «جئتُ إليه، وذهبتُ إليه» إلا علىٰ سبيل المجاز لا الحقيقة، ومعلومٌ أن الأصل في النصوص الشرعية الحقيقة لا المجاز.
٢ ـ صدَّر اللَّه ﷻ الآية بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ...﴾، وهذا معناه أن هذا الفعل منهم ـ وهو سؤالهم الاستغفار ـ إنما يكون حالَ إرسال الرسول ﷺ وهو حيٌّ بينهم، وليس بعد موته.
٣ ـ سياق الآيات في المنافقين النفاق الأكبر وجنايتهم علىٰ دين اللَّه تعالىٰ وعلىٰ رسوله ﷺ، ودعوة هؤلاء للتوبة، وأن يستغفر لهم ﷺ مما جنَوا في حق اللَّه تعالىٰ ورسوله ﷺ.
٤ ـ هذه الآية متضمنةٌ تشريعًا، وهو طلب الاستغفار من الرسول ﷺ، ومعلومٌ أن التشريعات إنما تشرَّع في حياته ﷺ، وليس بعد وفاته؛ إذ بالوفاة يُغلق باب التشريع إجماعًا؛ وعليه فالخطاب له ﷺ في =

= الآية ـ بتشريع مجيئهم إليه وطلبهم الدعاء منه والاستغفار ـ لا يكون إلَّا في حياته لا بعد وفاته ﷺ.

٥ ـ اللَّهُ تعالىٰ بيَّن أن رجاء التوبة معلَّقٌ بأمور، منها استغفارهم اللَّهَ تعالىٰ مطلقًا، واستغفار الرسول ﷺ لهم، فالذين يأتون إلىٰ قبره ﷺ، من أين علموا أنه ﷺ سمِعهم أولًا، ثم استغفر لهم ثانيًا؟! وقد دلَّت الأدلةُ الشرعية علىٰ أنه ﷺ لا يَعلم من كلام أمَّتِه له بعد وفاته ﷺ سوىٰ سلامهم عليه ـ كما ثبت في الحديث الصحيح ـ، وكذلك فلا يَسمع سلامهم عليه بنفسه الشريفة ﷺ؛ بل بواسطة الملائكة الكرام الذين يبلِّغونه عن أمته السلام.

٦ ـ طلبُ الاستغفار منه بعد مماته ﷺ مما لم يَرِد دليلٌ بأنه يبلُغُه أو يسمعه ﷺ ـ حتىٰ بواسطة الملائكة ـ، فكيف يَطلب العبدُ شيئًا ممن لا يسمعه أصلًا؛ بل ولا يسمع السائلُ ـ أيضًا ـ ردَّه عليه ـ علىٰ افتراض وقوعه ـ؟!

٧ ـ هذا الفعل الذي يفعله أولئك المبتدعة لم يُعلم له أصلٌ عن أعلم الناس بدين اللَّه تعالىٰ وبرسوله ﷺ، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فلم يبلغنا أن واحدًا منهم ـ مع حبهم العظيم لرسولهم ﷺ وإجلالهم له ـ جاء بعد وفاته وذهب إلىٰ قبره، وطلب منه الاستغفار. وهذا إجماعٌ تركيٌّ منهم، يُعرف به عدمُ مشروعيةِ هذا الأمر.

وعليه فهذا الفعلُ لا أصل له في الكتابة والسنة ولا عند السلف الصالح، وكذا لا يُعلم عن أكابر أئمة الإسلام مِن بعدهم، فيكون فِعْلُه ممن بعدهم بدعةً وضلالةً في دين اللَّه تعالىٰ، بل شركٌ باللَّه العلي الكبير.

هذا ما تبدَّىٰ لي وظهر من خلال النصوص والقواعد الشرعية، ولم أجد هذا الرد التفصيلي لأحدٍ من أهل العلم، فما كان فيه من صواب فمن رب العالمين، وما كان فيه من خطإٍ فمني ومن الشيطان. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

فذكر سبحانه استغفارَهم واستغفار الرسول لهم؛ إذ ذلك مما أمر اللَّهُ به الرسولَ؛ حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر اللَّهُ مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا شيئًا لم يأمر اللَّهُ المخلوقَ به؛ بل ما أَمَر اللَّهُ العبد أَمْرَ إيجابٍ أو استحباب= ففِعلُه هو عبادةٌ للَّه، وطاعةٌ وقربةٌ إلىٰ اللَّه، وصلاحٌ لفاعله وحسنةٌ منه، وإذا فعل ذلك كان من أعظم إحسانِ اللَّه إليه، وإنعامه عليه؛ بل أجلُّ نعمةٍ أنعم اللَّه بها علىٰ عباده أن هداهم للإيمان[١]، والإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعة والحسنات؛ فكلما ازداد العبد عملًا للخير ازداد إيمانه؛ هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وفي قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]، بل نِعمُ الدنيا بدون الدين هل هي نعمةٌ[٢] أم لا؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم.

والتحقيق: أنها نعمةٌ من وجه، وإن لم تكن نعمةً تامةً من وجه، وأما الإنعام بالدين الذي ينبغي طلبه، فهو ما أمر اللَّه به من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبُه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السُّنة؛ إذ عندهم أن اللَّه هو الذي أنعم بفعل الخير، والقدريةُ عندهم إنما أنعم بالقدرة عليه الصالحةِ للضدين [فقط][٣].

والمقصود هنا: أن اللَّه لم يأمر المخلوق أن يسأل مخلوقًا إلا ما كان مصلحةً لذلك المخلوق ـ إما واجب أو مستحب ـ؛ فإنه سبحانه

(١) وكذا أفاد الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٢٧٦).
(٢) في المطبوع و«الفتاوىٰ»: «من نِعَمه»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.
(٣) زيادة من «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٣).

لا يطلب من العبد إلا ذلك، فكيف يأمرُ غيرَه أن يطلب منه غيرَ ذلك؟ بل قد حرَّم علىٰ العبد أن يسأل العبدَ ماله إلا عند الضرورة ـ وإن كان قصدُه مصلحةَ المأمور، أو مصلحته ومصلحة المأمور ـ؛ فهذا يثاب علىٰ ذلك. وإن كان قصدُه حصولَ المطلوب من غير قصدٍ منه لانتفاع المأمور، فهذا من نفسه أُتي، ومثلُ هذا السؤال لا يأمر اللَّه تعالىٰ به قط؛ بل قد نهىٰ عنه؛ إذ هو سؤالٌ محضٌ للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته.

واللَّهُ يأمرنا أن نعبده ونرغبَ إليه، ويأمرنا أن نُحسن إلىٰ عباده، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا، فلم يقصد الرغبةَ إلىٰ اللَّه ودعاءَه ـ وهو الصلاة ـ، ولا قصد الإحسان إلىٰ الخلق ـ الذي هو الزكاة ـ، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرقٌ بين ما يؤمر العبد به، وما يؤذن له فيه، ألا ترىٰ أنه ﷺ قال في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «**إنهم لا يَسْتَرْقون**»[1] ـ وإن كان الاسترقاء جائزًا ـ! وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين اللَّه وبين خلقه ـ كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية ـ فهو مشرك، بل هذا دينُ المشركين عُبَّاد الأوثان؛ كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلىٰ اللَّه، وهو من الشرك الذي أنكره اللَّه علىٰ النصارىٰ؛ حيث قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة].

(١) صحيح: وقد تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، أي: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتهم بالأمر والنهي، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: أن أُجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب(١) ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ(٢) ﴿٢٩﴾﴾

(١) في معنىٰ الآيتين عدة أقوال ـ أكثرها متقارب ـ:
قيل: فإذا فرغتَ من الصلاة المكتوبة، فانصب إلىٰ ربِّك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يُعطِك.
وقيل: إذا صليت فاجتهدْ في الدعاء والمسألة.
وقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصَبْ في قيام الليل.
وقيل: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدنياك وآخرتك.
وقيل: إذا فرغتَ من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربِّك.
وقيل: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربِّك وصلِّ.
وقيل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فاستغفر لذنبك وللمؤمنين.
وقيل: تضرع إليه راهبًا من النار، راغبًا في الجنة.
وقيل: فارغب إليه في جميع أحوالك.
راجع: «تفسير البغوي».

(٢) فمن شأنه ﷻ: أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعزَّ قومًا، ويُذلَّ قومًا، ويشفي مريضًا، ويفكَّ أسيرًا، ويفرِّج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي =

[الرَّحمٰن].

وقد بيَّن اللَّه هذا التوحيد في كتابه، وحسم موادَّ الإشراك به؛ حتىٰ لا يخاف أحدٌ غيرَ اللَّه، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، أي: يخوِّفكم أولياءَه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور]. فبيَّن أن الطاعة للَّه ورسوله، وأما الخشيةُ فللَّه وحده.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة][(١)].

= سائلًا، ويغفر ذنبًا... إلىٰ ما لا يُحصىٰ من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء ﷻ.

انظر المصدر السابق.

(١) جاء بعدها في المطبوع: «فبيَّن أن إيتاء اللَّه والرسول سواءٌ؛ كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؛ فإن الرسول هو الذي يبيِّن ما أَمر اللَّه به وما نهىٰ عنه وما أباحه لنا. وأما التحسب =

ونظيره قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

وقد كان النبي ﷺ يحقِّق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم موادَّ الشرك؛ إذ هذا تحقيق قولنا: «لا إلٰه إلا اللَّه»، فإن الإلٰه هو الذي تألهُه القلوبُ لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف؛ حتىٰ قال لهم: «**لا تقولوا: ما شاء اللَّهُ وشاء محمدٌ، ولكن قولوا: ما شاء اللَّهُ، ثم شاء محمدٌ**»(١).

وقال له رجل: ما شاء اللَّه وشئتَ. فقال: «**أجعلتني للَّه ندًّا؟ قل: ما شاء اللَّهُ وحده**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَن كان حالفًا فليحلِفْ باللَّه أو ليصمت**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَن حلف بغير اللَّه فقد أشرك**»(٤).

وقال ﷺ لابن عباس: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه، جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فلو جَهِدَتِ الخليقةُ علىٰ أن تنفعَك، لم تنفعْك إلا بشيءٍ كتبه اللَّهُ لك، ولو جهدتْ أن تضرَّك، لم تضرَّك إلا بشيءٍ كتبه اللَّه عليك**»(٥).

وقال ـ أيضًا ـ: «**لا تُطروني كما أطرتِ النصارىٰ عيسىٰ ابنَ مريم،**

= فهو للَّه وحده؛ كما قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقولوا: حسبنا اللَّه ورسوله». اهـ. وليست في «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٦).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه»[(١)].

وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغُني حيثما كنتم**»[(٣)].

وقال ﷺ في مرضه: «**لعن اللَّهُ اليهودَ والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» ـ يحذِّر ما صنعوا ـ. قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرز قبرُه، ولكن كره أن يُتخذ مسجدًا[(٤)].

وهذا باب واسع.

ومع علم المؤمن أن اللَّه ربُّ كل شيء ومليكُه، فإنه لا يُنكِرُ ما خلقه اللَّه تعالىٰ من الأسباب، كما جعل المطر سببًا لإنبات النبات؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وكما جعل الشمس والقمر سببًا لما يخلقُه بهما، وكما جعل الشفاعةَ والدعاء سببًا لما يقضيه بذلك، مثل صلاة المسلمين علىٰ جنازة الميت؛ فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه اللَّه بها، ويُثيب عليها المصلين عليه.

[قواعد مهمة عند الأخذ الأسباب]:

لكن ينبغي أن يُعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعيَّن لا يستقلُّ بالمطلوب؛ بل لابد معه من

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

أسباب أُخَر، ومع هذا فلها موانع، فإن لم يُكمِلِ اللَّه الأسباب، ولم يدفع الموانع، لم يحصل المقصود، فهو سبحانه ما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ، وما شاء الناس لا يكونُ ـ إلا أن يشاء اللَّه ـ.

الثاني: أنه لا يجوز[١] أن يُعتقد أن الشيء سببٌ إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم، أو يخالف الشرع، كان مبطلًا، مثل من يظن كون النذر سببًا في دفع البلاء وحصول النعماء[٢].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير؛ وإنما يُستخرَجُ به من البخيل**»[٣].

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يُتخذ منها شيءٌ سببًا إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها علىٰ التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك باللَّه، فيدعو غيره ـ وإن ظنَّ أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ـ؛ ولذلك لا يُعبَدُ اللَّه بالبدع المخالفة للشريعة ـ وإن ظُنَّ ذلك ـ؛ فإن الشياطين قد تعين الإنسانَ علىٰ بعض مقاصده إذا أشرك.

وقد يَحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعضُ أغراض الإنسان؛ فلا يحل له ذلك؛ إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بُعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد

(١) في بعض المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ» (١/١٣٦): «أن لا يجوز»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) ومثله تمامًا جعل الاستغاثة بالأموات سببًا في رفع البلاء، أو حدوث الرخاء.

(٣) رواه البخاري (١٦٣٩)، ومسلم (٦٦٩٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وتقليلها؛ فما أمر اللَّه تعالىٰ به فمصلحته راجحة، وما نهىٰ عنه فمفسدته راجحة.

وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات، واللَّه أعلم.

والحمد للَّه وحده، وصلىٰ اللَّه تعالىٰ علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.



[٣٤]

العبـوديـة

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله.

أما بعد:

فقد سئل شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، ناصر السنة، وقامع البدعة أحمد ابن عبدالحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فما العبادة وفروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلىٰ المقامات في الدنيا والآخرة، أم فوقها شيءٌ من المقامات؟ ولتبسطوا لنا القول في ذلك.

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد للَّه رب العالمين.

العبادة: هي اسمٌ جامع لكل ما يحبُّه اللَّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ اللَّه ورسوله، وخشية اللَّه، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحُكمه، والشكرُ لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة للَّه.

وذلك أن العبادة للَّه هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وبها أُرسل جميع الرسل.

كما قال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وكذلك قال هودٌ وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون].

وجعل ذلك لازمًا لرسوله إلىٰ الموت؛ كما قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له:

فقال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآيات [الفرقان: ٦٣].

ولما قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر].

وقال في وصف الملائكة بذلك: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ عن المسيح ـ الذي ادُّعيت فيه الأُلوهية والنبوة ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ[1] ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف].

(١) أي: جعلناه آيةً وعبرةً لبني إسرائيل، يعرفون بها قدرة اللَّه ﷻ.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم؛ فإنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللَّه ورسولُه**»(١).

وقد نعته اللَّه بالعبودية في أكمل أحواله:

- فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].
- وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم].
- وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].
- وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

فالدين كله داخل في العبادة.

وقد ثبت في« الصحيح» أن جبريل لما جاء إلىٰ النبي ﷺ في صورة أعرابيٍّ وسأله عن الإسلام قال: «**أن تشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت - إن استطعت إليه سبيلًا -**». قال: فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمنَ باللَّه وملائكته وكتبه ورُسله والبعثِ بعد الموت، وتؤمنَ بالقَدَر خيره وشره**». قال: فما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». ثم قال في آخر الحديث: «**هذا جبريلُ جاءكم يعلِّمُكم دينَكم**»(٢).

فجعل هذا كلَّه من الدين.

والدين يتضمن معنىٰ الخضوع والذل. يقال: دِنتُه فدان، أي:

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.

ذلَّلتُه فذل، ويقال: يدين اللَّه، ويدين للَّه، أي: يعبد اللَّه ويطيعه ويخضع له.

فدين اللَّه: عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة أصل معناها: الذل ـ أيضًا ـ؛ يقال: طريق معبَّد إذا كان مذلَّلًا قد وَطِئَتْه الأقدام.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنىٰ الذل، ومعنىٰ الحب، فهي تتضمن غاية الذل للَّه بغاية المحبة له؛ فإن آخر مراتب الحب هو «التتيُّم»، وأوله «العلاقة» لتعلق القلب بالمحبوب، ثم «الصَّبابة» لانصباب القلب إليه، ثم «الغرام» وهو الحب اللازم للقلب، ثم «العشق»، وآخرها «التتيُّم»؛ يقال: تَيم اللَّه، أي: عبد اللَّه، فالمتيم: المعبَّد لمحبوبه.

ومن خضع لإنسانٍ مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبُّ ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدُهما في عبادة اللَّه تعالىٰ؛ بل يجب أن يكون اللَّهُ أحبَّ إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون اللَّهُ أعظمَ عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبةَ والذلَّ التام إلا اللَّه.

وكلُّ ما أُحب لغير اللَّه فمحبته فاسدة، وما عُظِّم بغير أمر اللَّه كان تعظيمه باطلًا.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فجنس المحبة تكون للَّه ورسوله، كالطاعة؛ فإن الطاعة للَّه

ورسوله [﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]]، والإرضاء للَّه ورسوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، والإيتاء للَّه ورسوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩].

وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك، فلا يكون إلا للَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة].

فالإيتاء للَّه والرسول؛ كقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وأما الحسْب ـ وهو الكافي ـ فهو اللَّه وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]، أي: حسبُك وحسبُ من اتبعك اللَّهُ.

ومن ظن أن المعنىٰ: «حسبُك اللَّه والمؤمنون معه»، فقد غلط غلطًا فاحشًا، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وتحرير ذلك: أن العبد يراد به المعبَّد الذي عَبَّده اللَّه فذلَّله ودبَّره وصرَّفه، وبهذا الاعتبار المخلوقون كلهم عباد اللَّه، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار؛ إذ

هو ربُّهم كلِّهم ومليكُهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزُهنَّ برٌّ ولا فاجر[١]، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا. وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران].

فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلِّبُ قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو؛ سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكنَّ أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به، بخلاف من كان جاهلًا بذلك، أو جاحدًا له مستكبرًا علىٰ ربه لا يُقِرُّ ولا يخضع له، مع علمه بأن اللَّه ربه وخالقه.

فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له= كان عذابًا علىٰ صاحبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

فإن اعترف العبد أن اللَّه ربُّه وخالقُه، وأنه مفتقرٌ إليه محتاجٌ إليه= عرف العبودية المتعلقة بربوبية اللَّه، وهذا العبد يسأل ربَّه، ويتضرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره، وقد يعصيه، وقد

(١) أي: كلماته القدرية الكونية التي لا يمكن أن يخالفها برٌّ ولا فاجر.

يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام.

ومثل هذه العبودية لا تفرِّق بين أهل الجنة والنار، ولا يصير بها الرجل مؤمنًا.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]؛ فإن المشركين كانوا يقرُّون أن اللَّه خالقهم ورازقهم، وهم يعبدون غيره.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون].

وكثيرٌ ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها، يشهد هذه الحقيقة؛ وهي الحقيقة الكونية، التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، وإبليس معترف بهذه الحقيقة وأهلُ النار.

قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ص].

وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص].

وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن اللَّهَ ربُّه وخالقُه وخالق غيره، وكذلك أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ[١] قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فمن وقف عند هذه الحقيقة[٢] وعند شهودها، ولم يقُم بما أُمر به من الحقيقة الدينية ـ التي هي عبادته المتعلقة بإلٰهيته وطاعة أمره وأمر رسوله ـ كان من جنس إبليس وأهل النار، وإن ظَن مع ذلك أنه من خواصِّ أولياء اللَّه، وأهلِ المعرفة والتحقيق الذين يَسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان= كان من أشر أهل الكفر والإلحاد.

ومن ظنَّ أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة، ونحو ذلك= كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين باللَّه ورسوله؛ حتىٰ يدخل في النوع الثاني من معنىٰ «العبد»؛ وهو العبد بمعنىٰ العابد؛ فيكون عابدًا للَّه لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بإلٰهيته تعالىٰ؛ ولهذا كان عنوان التوحيد لا إلٰه إلا اللَّه، بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلٰهًا آخر.

فالإلٰه هو الذي يألهُه القلبُ بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، وهذه العبادة هي التي يحبها اللَّه ويرضاها، وبها وصف المصطفَينَ من عباده، وبها بعث رسله.

وأما العبد بمعنىٰ «المعبَّد» ـ سواء أقر بذلك أو أنكره ـ؛ فتلك

(١) أي: علىٰ النار عند ربِّهم. وقيل: وقفوا علىٰ حُكمه وقضائه. وقيل: عُرضوا عليه ﷻ.

(٢) يعني الكونية.

يشترك فيها المؤمن والكافر.

وبالفرق بين هذين النوعين يُعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة اللَّه ودينه وأمره الشرعي، التي يحبها ويرضاها، ويوالي أهلها، ويكرمهم بجنته، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ التي من اكتفىٰ بها، ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين، والكافرين برب العالمين، ومن اكتفىٰ بها في بعض الأمور دون بعض، أو في مقام دون مقام، أو حال دون حال= نقص من إيمانه وولايته للَّه بحسب ما نقص من الحقائق الدينية.

وهذا مقامٌ عظيم فيه غلط الغالطون، وكثر فيه الاشتباه علىٰ السالكين، حتىٰ زلق فيه من أكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيهم إلا اللَّه الذي يعلم السر والإعلان.

▫ وإلىٰ هذا أشار الشيخ عبدالقادر [الجَيْلاني] رَحِمَهُ اللَّهُ فيما ذُكر عنه، فبيَّن أن كثيرًا من الرجال إذا وصلوا إلىٰ القضاء والقدر أمسكوا؛ [قال]: «إلا أنا؛ فإني انفتحت لي فيه رَوزنة[1]، فنازعتُ أقدارَ الحقِّ بالحقِّ للحق، والرجل من يكون منازعًا للقدر، لا من يكون موافقًا للقدر[2]».

والذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي أَمَر اللَّه به ورسولُه، لكنَّ كثيرًا من الرجال غلطوا؛ فإنهم قد يشهدون ما يُقدَّر علىٰ أحدهم

(١) **الرَّوزنة**: كالنافذة.

(٢) وإنما قصد عدم موافقة القدر في الكفر والمعاصي؛ فليس لأحدٍ أن يرضىٰ بضلاله محتجًّا بقدر ربِّه، وسوف يأتي إيضاح الإمام لذلك.

من المعاصي والذنوب، أو ما يُقدَّر على الناس من ذلك ـ بل من الكفر ـ، ويشهدون أن هذا جارٍ بمشيئةِ اللَّه وقضائه وقدَره، داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته؛ فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ـ ونحو ذلك ـ دينًا وطريقًا وعبادةً، فيضاهون المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠].

ولو هُدُوا لعلموا أن القَدَر أُمِرْنا أن نرضى به ونصبر على موجَبه في المصائب التي تصيبُنا ـ كالفقر والمرض والخوف ـ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

▫ قال بعض السلف: «هو الرجل تُصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللَّه؛ فيرضى ويسلِّم».

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ(١) إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا(٢) عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**احتجَّ آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده، ونَفَخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكتَه، وعلَّمك أسماء كلِّ شيء، فلماذا أخرجتَنا ونفسَك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللَّهُ برسالته وبكلامه، فهل وجدتَ ذلك مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق؟ قال: نعم**». قال: «**فحجَّ**

(١) ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾: نخلقها من العدم. والمراد: الخليقة.

(٢) ﴿تَأْسَوْا﴾: تحزنوا.

آدم موسىٰ»[(١)].

وآدم عليه السلام لم يحتجَّ علىٰ موسىٰ بالقدر، لئلَّا يُظنَّ[(٢)] أن المذنبَ يحتجُّ بالقدر؛ فإن هذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقل، ولو كان هذا عذرًا لكان عذرًا لإبليس وقوم نوح وقوم هود وكل كافر، ولا موسىٰ لام آدم ـ أيضًا ـ لأجل الذنب؛ فإن آدم قد تاب إلىٰ ربه، فاجتباه وهدىٰ، ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة؛ ولهذا قال: «**فلماذا أخرجتَنا ونفسك من الجنة؟**»، فأجابه آدمُ أن هذا كان مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق، فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرًا، وما قُدِّر من المصائب يجب الاستسلامُ له؛ فإنه من تمام الرضا باللَّه ربًّا.

وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفرَ ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر علىٰ المصائب.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].

وقال يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المطبوعات جميعًا: «ظنًّا»، بدلًا من عبارة: «لئلَّا يظن»، والعبارة علىٰ ما في المطبوعات فيها إشكال عندي، ولعل هناك سقطًا، وما أثبتُّه هو المقصود من مراد الإمام. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

[وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:

وكذلك ذنوب العباد، يجب علىٰ العبد فيها أن يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر ـ بحسب قدرته ـ، ويجاهد في سبيل اللَّه الكفارَ والمنافقين، ويوالي أولياء اللَّه، ويعادي أعداء اللَّه، ويحب في اللَّه، ويُبغض في اللَّه.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، إلىٰ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم].

وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ[1] سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ ـ بنصب «سواءً» ـ، يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواءً؟ كلَّا. وقرأ الآخرون بالرفع علىٰ الابتداء والخبر: ﴿سَوَآءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، أي: محياهم ومماتُهم سواء؛ فالضمير فيهما يرجع إلىٰ المؤمنين والكافرين جميعًا، معناه: المؤمن مؤمنٌ محياه =

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ[1] هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، إلىٰ قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر].

ونظائر ذلك مما يفرِّق اللَّه فيه بين أهل الحق والباطل، وأهل الطاعة وأهل المعصية، وأهل البر وأهل الفجور، وأهل الهدىٰ والضلال، وأهل الغي والرشاد، وأهل الصدق والكذب.

فمَن شهد الحقيقة الكونية دون الحقيقة الدينية سوَّىٰ بين هذه الأجناس المختلفة التي فرق اللَّه بينها غاية التفريق، حتىٰ يؤولَ به الأمرُ إلىٰ أن يسوِّي بين اللَّه وبين الأصنام، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]؛ بل قد آل الأمر بهؤلاء إلىٰ أن سوَّوُا اللَّه بكل موجود، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقًّا لكل موجود؛ إذ جعلوه هو وجود المخلوقات، وهذا من أعظم الكفر والإلحاد برب العباد.

= ومماته، أي في الدنيا والآخرة، والكافر كافرٌ في الدنيا والآخرة.
انظر: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

(١) أي: خالصٌ له وحدَه لا يشاركه فيه أحد.

وهؤلاء يصل بهم الكفر إلىٰ أنهم لا يَشهدون أنهم عِباد ـ لا بمعنىٰ أنهم معبَّدون، ولا بمعنىٰ أنهم عابدون ـ؛ إذ يشهدون أنفسهم هي الحق، كما صرَّح بذلك طواغيتهم ـ كابن عربي صاحب «الفصوص»، وأمثاله من الملحدين المفترين، كابن سبعين وأمثاله ـ، ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون! وهذا ليس بشهود الحقيقة ـ لا كونية ولا دينية ـ؛ بل هو ضلالٌ وعمًىٰ عن شهود الحقيقة الكونية، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق، وجعلوا كل وصفٍ مذمومٍ وممدوحٍ نعتًا للخالق والمخلوق؛ إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم.

وأما المؤمنون باللَّه ورسوله ـ عوامهم وخواصهم، الذين هم أهل الكتاب[1]، كما قال النبي ﷺ: «**إن للَّه أَهْلِينَ من الناس**». قيل: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**أهل القرآن، هم أهلُ اللَّه وخاصَّتُه**»[2] ـ، فهؤلاء يعلمون أن اللَّه ربُّ كل شيء ومليكه وخالقه، وأن الخالق سبحانه مباينٌ للمخلوق، ليس هو حالًّا فيه ولا متَّحدًا به، ولا وجودُه وجوده.

(١) يقصد المسلمين المؤمنين بالقرآن، ولم يقصد أهل الكتاب بمعناه الشائع، كاليهود والنصارىٰ.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٢٧/٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٩٧٧)، وابن ماجه (٢١٥)، والحاكم (٥٥٦/١)، وابن الضُّرَيس في «فضائل القرآن» (٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٣/٣) والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٤)، والخطيب في «التاريخ» (٣٢٦/٣)، من حديث أنس رضي الله عنه. **وصحَّحه** الإمام البوصيري، والشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٠٥/١٩)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».

والنصارىٰ كفَّرهم اللَّه بأن قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصةً، فكيف من جعل ذلك عامًّا في كل مخلوق؟

ويعلمون[١] مع ذلك أن اللَّه أمر بطاعته وطاعةِ رسوله، ونهىٰ عن معصيته ومعصية رسوله، وأنه لا يحبُّ الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر، وأن علىٰ الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره، ويستعينوا به علىٰ كل ذلك؛ كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

ومن عبادته وطاعته: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ بحسب الإمكان ـ، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق؛ فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، دافعين مُزيلين بذلك ما قُدِّر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يُخاف من ذلك، كما يُزيل الإنسانُ الجوعَ الحاضر بالأكل، ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك إذا آن أوان البرد دفعه باللباس، وكذلك كلُّ مطلوب يُدفع به مكروه.

كما قالوا للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه، أرأيت أدويةً نتداوىٰ بها، ورُقًىٰ نسترقي بها وتُقاةً نتَّقي بها؛ هل تردُّ من قَدَر اللَّه شيئًا؟ فقال: «**هي من قَدَر اللَّه**»[٢].

(١) يقصد المؤمنين المتمسكين بالكتاب.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٤٢١/٣)، والتِّرمذي (٢٤١٨)، وابن ماجه (٣٤٣٧)، والحاكم (١٩٩/٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥٨٧/٩)، وفي «الشعب» (١١٥٧)، وفي «القضاء والقدر» (٢٢٤)، وابن وهب في «الجامع» (٦٩٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦١٠)، والدولابي في «الكنىٰ» (٢٦/١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٩٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٢٠)، وتمَّام في «الفوائد» (١١٦٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» =

وفي الحديث: «**إن الدعاء والبلاء ليَلتقيان، فيَعتلِجانِ**[(١)] **بين السماء والأرض**»[(٢)].

فهذا حال المؤمنين باللَّه ورسوله العابدين للَّه، وكل ذلك من العبادة.

🕮 [مراتب من يشهدون الحقيقةَ الكونيةَ دون الدينية]:

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية ـ وهي ربوبيته تعالىٰ لكل شيء ـ، ويجعلون ذلك مانعًا من اتباع أمره الديني الشرعي علىٰ مراتب في الضلال:

[١] فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقًا عامًّا، فيحتجُّون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة، وقول هؤلاء شرٌّ من قول اليهود والنصارىٰ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا

= (٣٢١٥)، من حديث أبي خزامة ﷺ. **وحسَّنه** الترمذي، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٤/٢١٧)، وعند ابن ماجه (٤/٤٩٨).

(١) **يعتلجان**: يتصارعان.

(٢) **ضعيف**: رواه الحاكم (١/٤٩٢)، والطبراني في «الدعاء» (٣٣)، وفي «الأوسط» (٢٤٩٨)، والبزار (٢١٦٤)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٩)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٤٦)، وابن جُميع في «معجمه» (١/١٠٥)، من حديث أمنا عائشة ﵂. **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا المنذري في «الترغيب» (٢٥٣١)، وكان الشيخ الألباني **صحَّحه** في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، لكنه عاد وحكم عليه **بالضعف الشديد** في «الضعيفة» (٦٧٦٤)، وهذا هو آخر أحكامه، كما قال ناشر «الضعيفة» (١٤/٥٩٤).

وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضًا؛ بل كلُّ مَن احتجَّ بالقدر فإنه متناقض؛ فإنه لا يمكن أن يُقَرَّ كلُّ آدمي علىٰ ما فَعَل، فلابد إذا ظَلَمه ظالمٌ أو ظَلَم الناسَ ظالم، وسعىٰ في الأرض بالفساد، وأخذ يسفكُ دماء الناس، ويستحلُّ الفروج، ويُهلك الحرث والنسل، ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها= أن يَدفع هذا القَدَر، وأن يعاقِبَ الظالم بما يَكفُّ عدوانه وعدوان أمثاله؛ فيقال له: إن كان القدرُ حجةً فدَع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك، وإن لم يكن حجةً بَطَل أصل قولك: إن القدر حجة.

وأصحاب هذا القول ـ الذين يحتجُّون بالحقيقة الكونية ـ لا يطرُدون هذا القول ولا يلتزمونه، وإنما هم بحسب آرائهم وأهوائهم.

▫ كما قال فيهم بعض العلماء: «أنت عند الطاعة قدَري، وعند المعصية جبري[1]، أيَّ مذهبٍ وافق هواك تمذهبتَ به».

[٢] ومنهم صِنف يدَّعون التحقيق والمعرفة؛ فيزعمون أن الأمر والنهي لازمٌ لمن شهد لنفسه فِعلًا، وأثبت لها صنعًا، أمَّا من شهد أن أفعاله مخلوقة، أو أنه مجبورٌ علىٰ ذلك، وأن اللَّه هو المتصرف فيه، كما تُحرَّكُ سائر المتحرَّكات= فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد.

وقد يقولون: «من شهد الإرادة سقط عنه التكليف»! ويزعم

(١) أي: إذا فعلتَ طاعةً زعمت أنها من عندك وباختيارك، وإذا وقعتَ في معصيةٍ زعمت أنك أُجبرتَ عليها.

أحدُهم أن الخضر سقط عنه التكليفُ لشهوده الإرادة! فهؤلاء لا يفرِّقون بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية، فشهدوا أن اللَّه خالقُ أفعال العباد، وأنه يدبِّر جميعَ الكائنات، وقد يفرِّقون بين من يَعلم ذلك علمًا، وبين من يراه شهودًا، فلا يُسقطون التكليفَ عمن يؤمِنُ بذلك ويَعلمُه فقط، ولكن يسقطونه عمن يشهده؛ فلا يرىٰ لنفسه فعلًا أصلًا، وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعًا من التكليف علىٰ هذا الوجه. وقد وقع في هذا طوائفُ من المنتسبين إلىٰ التحقيق والمعرفة والتوحيد.

وسبب ذلك: أنه ضاق نطاقُهم عن كون العبد يؤمَرُ بما يُقدَّرُ عليه خلافه، كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك. ثم المعتزلة أثبتت الأمرَ والنهي الشرعيَّينِ دون القضاء والقدر ـ الذي هو إرادةُ اللَّه العامة وخَلْقُه لأفعال العباد ـ، وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر، ونفَوا الأمرَ والنهي في حق من شَهِد القدر؛ إذ لم يمكنهم نفيُ ذلك مطلقًا! وقول هؤلاء شرٌّ من قول المعتزلة؛ ولهذا لم يكن في السلف مِن هؤلاء أحد. وهؤلاء يجعلون الأمرَ والنهي للمحجوبين الذين لم يَشهدوا هذه الحقيقةَ الكونية؛ ولهذا يجعلون مَن وصل إلىٰ شهود هذه الحقيقة يَسقط عنه الأمر والنهي، ويقولون: إنه صار من الخاصة، وربما تأوَّلوا علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]، وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة.

وقول هؤلاء كفرٌ صريح، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر؛ فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازمان لكل عبدٍ ما دام عقلُه حاضرًا إلىٰ أن يموت، لا يسقط عنه الأمر والنهي ـ لا بشهوده القدر، ولا بغير ذلك ـ، فمن لم يعرف

ذلك عُرِّفه، وبُيِّن له، فإن أصر علىٰ اعتقاد سقوط الأمر والنهي فإنه يُقتل. وقد كثرت مثلُ هذه المقالات في المستأخرين. وأما المستقدمون من هذه الأمة، فلم تكن هذه المقالات معروفةً فيهم.

وهذه المقالات هي محادةٌ للَّه ورسوله، ومعاداةٌ له، وصدٌّ عن سبيله، ومشاقةٌ له، وتكذيبٌ لرسله، ومضادةٌ له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالاتِ قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريقُ الرسول، وطريقُ أولياء اللَّه المحققين؛ فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه؛ لاستغنائه عنها بما حَصَل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلالٌ له؛ لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلالٌ له؛ لأنه صار كالبحر لا تُكدِّره الذنوب، ونحو ذلك!

ولا ريب أن المشركين ـ الذين كذَّبوا الرسل ـ يتردَّدون بين البدعة المخالِفة لشرع اللَّه، وبين الاحتجاج بالقدر علىٰ مخالفة أمر اللَّه؛ فهؤلاء الأصناف فيهم شَبَهٌ من المشركين: إما أن يبتدعوا، وإما أن يحتجوا بالقَدَر، وإما أن يجمعوا بين الأمرين؛ كما قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف]، وكما قال تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقد ذَكَر [ﷻ] عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام، والعبادة التي لم يشرعها اللَّه بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ...﴾ [الأنعام: ١٦٥] إلىٰ آخر السورة.

وكذلك في سورة الأعراف في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].

وهؤلاء قد يسمُّون ما أحدثوه من البدع: «حقيقة»، كما يسمُّون ما يشهدون من القدر: «حقيقة»! وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيَّد صاحبُه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه ويذوقُه ويَجِدُه في قلبه، مع ما فيه من غفلةٍ عن اللَّه جَلَّ وَعَلَا ونحو ذلك. وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقًا؛ بل عمدتُهم اتباعُ آرائهم وأهوائهم.

وجَعْلُهم لما يرَونَه ويهوَوْنه حقيقةً، وأمرُهم باتباعها دون اتباع أمر اللَّه ورسوله= نظيرُ بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم؛ الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائقَ عقليةً يجب اعتقادها، دون ما دلت عليه السمعيات. ثم الكتابُ والسنة إما أن يحرِّفوا القول فيهما عن مواضعه، وإما أن يُعرضوا عنه بالكلية؛ فلا يتدبرونه ولا يعقلونه، بل يقولون: «نفوِّضُ معناه إلىٰ اللَّه»، مع اعتقادهم نقيضَ مدلوله. وإذا حُقِّق علىٰ هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة= وُجدت جهلياتٍ واعتقاداتٍ فاسدة.

وكذلك أولئك إذا حُقِّق عليهم ما يزعمونه من «حقائق» أولياء اللَّه المخالفة للكتاب والسُّنة، وُجدت من الأهواء التي يتبعها أعداءُ اللَّه لا أولياؤه.

وأصلُ ضلال مَن ضلَّ هو بتقديم قياسه علىٰ النصِّ المنزَّل من عند اللَّه، وتقديم اتباع الهوىٰ علىٰ اتباع أمر اللَّه؛ فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبُّه العبد، فكل محبٍّ له ذوقٌ ووجدٌ بحسب محبته؛ فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثلُ ما بيَّنه النبيُّ ﷺ بقوله في الحديث الصحيح: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَن كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومَن كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، ومن كان يكرهُ أن يرجع في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يَكره أن يُلقىٰ في النار**»(١).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا**»(٢).

وأما أهل الكفر والبدع والشهوات، فكلٌّ بحسبه:

▫ قيل لسفيان بن عيينة: «ما بال أهل الأهواء لهم محبةٌ شديدة لأهوائهم؟! فقال: أنسيتَ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]؟!». أو نحو هذا من الكلام.

فعُبَّاد الأصنام يحبون آلهتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٣٤)، من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

ولهذا يميلُ هؤلاء إلىٰ سماع الشِّعر والأصوات التي تهيِّجُ المحبة المطلقة التي لا تختصُّ بأهل الإيمان؛ بل يشترك فيها مُحبُّ الرَّحمٰن، ومحبُّ الأوثان، ومحبُّ الصلبان، ومحبُّ الأوطان، ومحبُّ الإخوان، ومحبُّ المردان، ومحبُّ النسوان. وهؤلاء [هم] الذين يتَّبعون أذواقهم ومواجيدَهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسُّنة، وما كان عليه سلف الأمة.

فالمخالف لما بَعث [اللَّهُ] به رسولَه من عبادته وحده وطاعته وطاعة رسوله= لا يكون متبعًا لدين شرعه اللَّه أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]؛ بل يكون متبعًا لهواه بغير هدًىٰ من اللَّه.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وهم في ذلك تارةً يكونون علىٰ بدعة يسمونها «حقيقةً»؛ يقدمونها علىٰ ما شرعه اللَّه، وتارةً يحتجُّون بالقَدَر الكوني علىٰ الشريعة، كما أخبر اللَّه به عن المشركين ـ كما تقدم ـ.

[٣] ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم عندهم قَدْرًا، وهم مستمسكون بما اختاروه بهواهم من الدين في أداء الفرائض المشهورة، واجتناب

المحرمات المشهورة، لكن يَضِلُّون في ترك ما أُمروا به من الأسباب التي هي عبادة، ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك، مثل مَن يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة؛ بناءً علىٰ أن من شهد القدر عَلِم أن ما قُدِّر سيكون، فلا حاجة إلىٰ ذلك!

وهذا ضلالٌ مبينٌ وغلطٌ عظيم؛ فإن اللَّه قدَّر الأشياء بأسبابها؛ كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها.

كما قال النبيُّ ﷺ: «**إن اللَّه خلق للجنة أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة يعملون. وخلق للنار أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل النار يعملون**»(١).

وكما قال النبي ﷺ لما أَخبرهم بأن اللَّه كتب المقادير، فقالوا: يا رسول اللَّه، أفلا ندعُ العمل، ونتَّكلُ علىٰ الكتاب؟ فقال: «**لا، اعملوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له؛ أما من كان من أهل السعادة، فسيُيسَّرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فسيُيسَّرُ لعمل أهل الشقاوة**»(٢).

فكلُّ ما أمر اللَّه به عباده من الأسباب فهو عبادة، والتوكل مقرونٌ بالعبادة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وفي قوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد]، وقول شعيب عليه السلام: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود].

[٤] ومنهم طائفة قد تترك المستحبَّات من الأعمال دون الواجبات،

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٧٤)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

فتنقص بقدر ذلك.

[٥] ومنهم طائفة يغترُّون بما يحصل لهم من خرق عادة ـ مثل مكاشفةٍ أو استجابة دعوةٍ مخالفةٍ للعادةِ العامة، ونحو ذلك ـ، فيشتغل أحدهم عما أُمر به من العبادة والشكر، ونحو ذلك.

فهذه الأمور ونحوها كثيرًا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه، وإنما ينجو العبدُ منها بملازمة أَمْرِ اللَّهِ الذي بعث به رسولَه في كل وقت.

▫ كما قال الزُّهري: «كان من مضىٰ من سلفنا يقولون: الاعتصام بالسُّنة نجاة».

▫ وذلك أن السُّنة ـ كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «مثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق».

📖 **[أسماء ذات مقصودٍ واحد]:**

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ـ ونحو ذلك من الأسماء ـ مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألَّا يُعبد إلَّا اللَّه.

والثاني: أن يُعبد بما أَمَر وشرع، لا بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء].

فالعمل الصالح هو الإحسان؛ وهو فِعلُ الحسنات. والحسنات هي ما أحبه اللَّه ورسوله، وهو ما أَمَر به أَمْرَ إيجابٍ أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السُّنة، فإنها ـ وإن قالها من قالها، وعَمِل بها من عمل ـ ليست مشروعة، فإن اللَّه لايحبُّها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات، ولا من العمل الصالح، كما أن من يعملُ ما لا يجوز ـ كالفواحش والظلم ـ ليس من الحسنات، ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾= فهو إخلاصُ الدين للَّه وحده.

▫ وكان عمر بن الخطاب يقول: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا».

▫ وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال: «أخلصه، وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصُه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون للَّه، والصواب أن يكون علىٰ السنة».

فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه اللَّه داخلًا في اسم العبادة، فلماذا عطف عليها غيرها، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال نوح: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]، وكذلك قول غيره من الرسل؟

قيل: هذا له نظائر، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والفحشاء من المنكر.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠]، وإيتاء ذي القربىٰ هو من العدل والإحسان، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب.

وكذلك قوله عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ودعاؤهم رغبًا ورهبًا من الخيرات، وأمثال ذلك في القرآن كثير.

وهذا الباب:

- يكون تارةً مع كون أحدهما بعضَ الآخر، فيُعطف عليه تخصيصًا له بالذِّكر؛ لكونه مطلوبًا بالمعنىٰ العام والمعنىٰ الخاص.

- وتارةً تكون دلالةُ الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران؛ فإذا أُفرد عَم، وإذا قُرن بغيره خُص، كاسم الفقير والمسكين؛ لما أُفرد أحدهما في مثل قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩]، دخل فيه الآخر، ولما قُرن بينهما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] صارا نوعين.

وقد قيل: إن الخاص المعطوف علىٰ العام لا يدخل في العام حال الاقتران؛ بل يكون من هذا الباب.

والتحقيق أن هذا ليس لازمًا.

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

[أسباب ذكر الخاص مع العام]:

وذِكرُ الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة:

- تارةً لكونه له خاصيةٌ ليست لسائر أفراد العام، كما في نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ.

- وتارةً لكون العام فيه إطلاق قد لا يُفهم منه العموم، كما في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة]، فقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به، لكن فيه إجمالٌ؛ فليس فيه دلالة علىٰ أن من الغيب «ما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك». وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمُخبَر به - وهو الغيب -، وبالإخبار بالغيب، وهو ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾.

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وتلاوة الكتاب هي اتباعه والعمل به.

▫ كما قال ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: «يحلِّون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمُحكَمه».

فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصها بالذكر لمزيَّتها.

وكذلك قوله لموسىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]، وإقامة الصلاة لذكره من أجلِّ عبادته.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، فإن هذه الأمور هي ـ أيضًا ـ من تمام تقوىٰ اللَّه.

وكذلك قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]؛ فإن التوكل والاستعانة هي من عبادة اللَّه، لكن خُصَّت بالذكر ليقصدها المتعبِّد بخصوصها؛ فإنها هي العون علىٰ سائر أنواع العبادة؛ إذ هو سبحانه لا يُعبد إلا بمعونته.

🕮 [كيف يتحقق كمالُ المخلوق؟]:

إذا تبين هذا، فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته للَّه، وكلما ازداد العبدُ تحقيقًا للعبودية ازداد كمالُه وعلت درجتُه، ومن توهَّم أن المخلوق يخرجُ عن العبودية بوجهٍ من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكملُ؛ فهو من أجهل الخلق؛ بل من أضلهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ

أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ في المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ[1] ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ[2] ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

وهذا ونحوه ـ مما فيه وصفُ أكابر المخلوقات بالعبادة، وذم من خرج عن ذلك ـ متعدد في القرآن، وقد أخبر [سبحانه] أنه أرسل جميع الرسل بذلك.

(١) ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾: يتعبون.

(٢) ﴿يَسْتَنكِفَ﴾: يأنف ويستكبر.

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة][1]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزمر].

وكلُّ رسول من الرسل افتتح دعوتَه بالدعاء إلىٰ عبادة اللَّه:

كقول نوح ومَن بعده عليهم السلام: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وفي «المسند» عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعثتُ بالسيف**

(١) وردت الآية في مطبوعات هذا الكتاب، وفي كتاب «العبودية»، وفي «مجموع الفتاوىٰ»: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت]، والظاهر أن المصنف رحمه الله أراد ما أثبتُّه؛ إذ هذه الآية وما بعدها هما اللتان وجَّههما ربُّنا جَلَّ شَأنُهُ لبني إسرائيل؛ فالظاهر أن آية العنكبوت إما سبق قلم من الإمام ابن تيمية رحمه الله، وإما من الناسخ. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

بين يدي الساعة حتىٰ يُعبد اللَّهُ وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعل الذِّلَّةُ والصَّغارُ علىٰ من خالف أمري»[(١)].

وقد بيَّن أن عباده هم الذين ينجُون من السيئات:

قال الشيطان: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

وقال في حق يوسف [عليه السلام]: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

وبالعبودية نعت كلَّ من اصطفىٰ من خلقه:

كقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص].

وقال عن سليمان [عليه السلام]: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

وعن أيوب [عليه السلام]: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [ص: ٤١].

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء].

(١) حسن: وقد تقدم.

وقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١](١).

وقال ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم].

وقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومثل هذا كثيرٌ متعددٌ في القرآن.



(١) ورد في طبعات كتاب «العبودية» هنا ما يلي: «وهو أولىٰ القبلتين، وقد خصَّه اللَّهُ بأن جعل العبادة فيه بخمسمئة ضعف، والمقصودُ بمضاعفة الحسنات هو المسجد الذي حرقه اليهود عليهم ـ لعنة اللَّه ـ» اهـ. ولم أجد هذه الزيادة في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٧٩)، ولا «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٧)، والظاهر أنها مُقحَمةٌ من بعض مَن علقوا علىٰ هذه الرسالة؛ إذ من المعلوم أن المسجد الأقصىٰ حُرق في زمنٍ متأخر ـ عام (١٩٦٩م) كما هو معلومٌ ـ، اللهم إلا إن كان حُرق قبل عصر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتكون هذه العبارة لها وجهٌ في إثباتها في متن الكتاب، والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

وكذلك من الأخطاء الشائعة الظن بأن العبادة في المسجد الأقصىٰ بخمسمئةِ صلاةٍ ـ كما في الفقرة الماضية ـ، فإن هذا لم يرد فيه دليلٌ صحيحٌ عن الحبيب ﷺ. وإنما الثابت أن الصلاة فيه بمئتين وخمسين صلاةً. وانظر: «القول المبين في أخطاء المصلين»، للشيخ مشهور آل سلمان ص(٣٦٣).

فصل

إذا تبيَّن ذلك، فمعلومٌ أن الناس يتفاضلون في هذا الباب[١] تفاضلًا عظيمًا، وهو تفاضُلهم في حقيقة الإيمان، وهم ينقسمون فيه إلىٰ عامٍّ وخاص؛ ولهذا كانت ربوبيةُ الربِّ لهم فيها عمومٌ وخصوص؛ ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل[٢].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش، إن أُعطيَ رضي، وإن مُنع سَخِط**»[٣].

فسماه النبيُّ ﷺ «عبدَ الدرهم، وعبد الدينار، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة»، وذكر ما فيه دعاءٌ وخبر، وهو قوله: «**تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتُقش**»، والنقش: إخراجُ الشوكة من الرِّجْل، والمِنقاش ما يُخرَجُ به الشَّوكة[٤]، وهذه حال مَن إذا أصابه شرٌّ لم يُخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تَعِس وانتكس؛ فلا نال المطلوب، ولا خَلَص من المكروه، وهذه حالُ مَن عَبَد المال، وقد وَصف ذلك بأنه «**إذا أُعطي رضي، وإذا مُنع سخط**»، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة]، فرِضاهم لغير اللَّه، وسخطُهم لغير اللَّه، وهكذا حالُ

(١) يعني العبودية.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) وهو المسمىٰ في عصرنا: «المِلْقاط».

مَن كان متعلقًا برئاسةٍ أو بصورةٍ ونحو ذلك من أهواء نفسه؛ إن حَصَل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له؛ إذ الرِّقُّ والعبودية في الحقيقة هو رقُّ القلب وعبوديته، فما استَرَقَّ القلبَ واستعبده فهو عبده.

▫ ولهذا يقال:

العبدُ حُرٌّ ما قَنِع والحرُّ عبدٌ ما طَمِعْ

▫ وقال القائل:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا

▫ ويقال: «الطمع غُلٌّ[1] في العنق، قَيدٌ في الرِّجل، فإذا زال الغلُّ من العنق زال القيدُ من الرِّجل».

▫ ويُروىٰ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «الطمع فقر، واليأس غنًىٰ، وإن أحدكم إذا يئس من شيءٍ استغنىٰ عنه».

وهذا أمرٌ يجدُه الإنسان من نفسه؛ فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبُه، ولا يطمعُ به، ولا يبقىٰ قلبه فقيرًا إليه، ولا إلىٰ من يفعلُه، وأما إذا طمع في أمرٍ من الأمور ورجاه تعلَّق قلبُه به، فصار فقيرًا إلىٰ حصوله، وإلىٰ من يَظنُّ أنه سببٌ في حصوله، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك. قال الخليل ﷺ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

فالعبدُ لابد له من رزق، وهو محتاجٌ إلىٰ ذلك، فإذا طَلب رزقه من اللَّه صار عبدًا للَّه، فقيرًا إليه، وإن طلبه مِن مخلوقٍ صار عبدًا

(١) **الغُلُّ**: القيد.

لذلك المخلوق فقيرًا إليه.

ولهذا كانت مسألةُ المخلوق محرمةً في الأصل، وإنما أبيحت للضرورة. وفي النهي عنها أحاديثُ كثيرةٌ في الصحاح والسنن والمسانيد:

كقوله ﷺ: «**لا تزالُ المسألةُ بأحدكم حتىٰ يأتيَ يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم**[(١)]»[(٢)].

وقوله: «**مَن سأل الناس وله ما يُغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خُدوشًا، أو خُموشًا، أو كُدوحًا**[(٣)] **في وجهه**»[(٤)].

وقوله: «**لا تحلُّ المسألةُ إلا لذي غُرمٍ مُفظِع**[(٥)]**، أو دمٍ مُوجِع**[(٦)]**،**

(١) **المُزعة**: القطعة الصغيرة.

(٢) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **الخدوش والخموش والكدوح**: آثار الجروح. وجميعها بمعنًىٰ متقارب.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٤٤١/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٠/٣)، وأبو داود (١٦٢٦)، والترمذي (٦٥١)، والنسائي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (١٨٤٠)، والدارمي (٣٨٦/١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦٣٥/٢)، والدارقطني (١٢٢/٢)، والحاكم (٤٠٧/١)، والبيهقي في «السنن» (٢٤/٧)، والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٠٥)، والشاشي (٤٧٩). **وسكت عنه** الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٢٤/٧)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٩٩)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (١٩٥/٦)، **وصحَّحه** عند ابن ماجه (٤٨/٣).

(٥) **غرم مفظع**: دَينٍ شديد.

(٦) **دم موجع** ـ بكسر الجيم وفتحها ـ: أي مؤلم، والمراد: دم يوجع القاتلَ أو أولياءه بأن تلزمهم الدية، وليس لهم ما يؤدُّونها، ويطلب =

أو فقرٍ مُدقِع[(١)]»[(٢)]. هذا المعنىٰ في «الصحيح»[(٣)].

وفيه ـ أيضًا ـ: «**لَأَنْ يأخذَ أحدُكم حَبْلَه فيذهب فيحتطب، خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطَوه، أو منعوه**»[(٤)].

= أولياءُ المقتول منهم، وتنبعث الفتنة والمخاصمة بينهم. وقيل: هو أن يتحمل الديةَ فيسعىٰ فيها، ويسأل حتىٰ يؤديها إلىٰ أولياء المقتول لتنقطع الخصومة، وليس له ولأوليائه مال، ولا يؤدىٰ ـ أيضًا ـ من بيت المال، فإن لم يؤدها قَتلوا المتحمل عنه ـ وهو أخوه أو حميمه ـ، فيوجعه قتله. كذا في «المرقاة». اهـ «عون المعبود» (٥/٥٥) بتصرف يسير.

(١) **مدقع**: شديدٌ يُفضي بصاحبه إلىٰ الدقعاء ـ وهو التراب ـ. وقيل: هو سوء احتمال الفقر، كذا في «النهاية». اهـ المصدر السابق.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/١١٤)، وأبو داود (١٦٤١)، وابن ماجه (٢١٩٨)، وابن الجارود (٥٦٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/١٩)، والبيهقي (٧/٢٥)، والضياء في «المختارة» (٢٢٦٥)، من حديث أنس ﷺ، وهو حديثٌ فيه قصة. **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/١٨٣)، وعند أبي داود (٣/٨٢).

(٣) لعله يقصد حديث قَبيصة الهلالي ﷺ قال: تحمَّلتُ حَمالةً، فأتيت رسولَ اللَّه ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقم حتىٰ تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها**». ثم قال: «**يا قبيصة، إن المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثةٍ: رجلٍ تحمَّل حمالةً، فحلت له المسألة حتىٰ يصيبَها، ثم يمسك. ورجلٍ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله، فحلت له المسألةُ حتىٰ يصيب قَوامًا ـ أو قال: سدادًا ـ من عيش. ورجلٍ أصابته فاقةٌ حتىٰ يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ. فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قَوامًا ـ أو قال: سدادًا ـ من عيش. فما سواهن من المسألة ـ يا قبيصة ـ سُحْتًا يأكلُها صاحبُها سُحْتًا**». رواه مسلم (١٠٤٤).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال: «**ما أتاك من هذا المال وأنت غيرُ سائلٍ ولا مشرفٍ فخُذْه، وما لا فلا تُتبِعْه نفسَك**»(١).

فكَره أخْذه من سؤال اللسان واستشرافِ القلب.

وقال في الحديث الصحيح: «**مَن يَستغنِ يُغنِهِ اللَّه، ومَن يستعفِفْ يُعفَّه اللَّه، ومن يتصبَّرْ يُصبِّرْه اللَّه، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر**»(٢).

وأوصىٰ خواصَّ أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا.

▫ وفي «المسند»: أن أبا بكر كان يسقطُ السوط من يده، فلا يقول لأحد ناولني إياه، ويقول: «إن خليلي أمرني ألا أسأل الناس شيئًا»(٣).

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن عوف بن مالك: أن النبي ﷺ بايعه في طائفةٍ، وأسرَّ إليهم كلمةً خفيَّةً: «**ألَّا تسألوا الناس شيئًا**»، فكان بعض أولئك النفر يسقط السوطُ من يد أحدهم، ولا يقول لأحد: ناولني إياه(٤).

وقد دلت النصوصُ علىٰ الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع:

(١) رواه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٤٠٣)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) **حسن**: رواه أحمد (١١/١)، **وحسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٢٨/١).

(٤) رواه مسلم (١٠٤٣).

كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح].

وقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألتَ فاسألِ اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه**»(١).

ومنه قول الخليل: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ولم يقل: «فابتغوا الرزق عند اللَّه»؛ لأن تقديم الظرف يُشعر بالاختصاص والحَصْر، كأنه قال: «لا تبتغوا الرزق إلا عند اللَّه».

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

والإنسان لابد له من حصول ما يَحتاجُ إليه من الرزق ونحوه، ودفع ما يضره، وكِلا الأمرين شُرع له أن يكون دعاؤه للَّه، فلا يسأل رزقَه إلا من اللَّه، ولا يشتكي إلا إليه، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

واللَّهُ تعالىٰ ذَكَر في القرآن الهجرَ الجميل، والصفحَ الجميل، والصبر الجميل.

▫ وقد قيل: «إن الهجر الجميل: هو هجرٌ بلا أذًىٰ. والصفح الجميل: صفحٌ بلا معاتبة. والصبر الجميل: صبرٌ بغير شكوىٰ إلىٰ المخلوق».

▫ ولهذا قُرئ علىٰ أحمد بن حنبل في مرضه: «إن طاووسًا كان يكره أنينَ المريض، ويقول: إنه شكوىٰ». فما أنَّ أحمد حتىٰ مات(٢).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا اجتهادٌ من هذين الإمامين رحمهما الله، لكنَّ الأنين ليس في أصله شكوىٰ. ولرُبَّ رجلٍ لا يئنُّ، وقلبه متسخطٌ علىٰ اللَّه شاكٍ منه.

وأما الشكوىٰ إلىٰ الخالق فلا تنافي الصبر الجميل؛ فإن يعقوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

▫ وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل، فمر بهذه الآية في قراءته؛ فبكىٰ حتىٰ سُمع نشيجه من آخر الصفوف.

▫ ومن دعاء موسىٰ [عليه السلام]: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكىٰ، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وفي الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ ـ لما فعل به أهلُ الطائف ما فعلوا ـ: «**اللهم إليك أشكو ضَعفَ قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني علىٰ الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي؛ اللهم إلىٰ من تَكِلُني؟ إلىٰ بعيدٍ يتجهَّمُني**[(١)]**، أم إلىٰ عدوٍّ ملَّكتَه أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة؛ أن يَنزل بي سخطُك، أو يَحُلَّ عليَّ غضبُك، لك العُتبىٰ حتىٰ ترضىٰ**[(٢)]**، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه**». وفي بعض الروايات: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(٣)].

وكلما قَوِي طمعُ العبد في فضل اللَّه ورحمته ورجائه لقضاء

(١) **يتجهَّمني**: يعبس في وجهي.

(٢) أي: أتوب إليك وأرجع إلىٰ ما تحب حتىٰ ترضىٰ عنِّي.

(٣) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: وقد تقدم.

حاجته، ودفع ضرورته= قَويت عبوديته له وحريتُه مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديتَه له، فيأسُه منه يوجبُ غِنَىٰ قلبِه عنه.

▫ كما قيل: «استغنَ عمن شئت تكن نظيرَه، وأفضِلْ علىٰ من شئت تكن أميرَه، واحتَجْ إلىٰ من شئت تكن أسيرَه».

فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجبُ عبوديتَه له، وإعراضَ قلبه عن الطلب من غير اللَّه. والرجاءُ له[1] يوجب انصراف قلبه عن العبودية للَّه، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، بحيث يكون قلبُه معتمدًا إما علىٰ رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما علىٰ أهله وأصدقائه، وإما علىٰ أمواله وذخائره[2]، وإما علىٰ ساداته وكبرائه، كمالكه ومَلِكِه، وشيخه ومخدومه، وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

وكلُّ من علَّق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يُهدُوه= خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرًا لهم مدبِّرًا لهم متصرفًا بهم، فالعاقل ينظرُ إلىٰ الحقائق لا إلىٰ الظواهر، فالرجلُ إذا تعلق قلبُه بامرأةٍ ـ ولو كانت مباحةً له ـ يبقىٰ قلبُه أسيرًا لها، تَحكُمُ فيه، وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدُها ـ لأنه زوجُها أو مالكها ـ، ولكنه في

(١) أي: لغير اللَّه ﷻ.

(٢) **الذخائر**: الكنوز والنفائس.

الحقيقة هو أسيرُها ومملوكها؛ لا سيما إذا علمت[١] بفقره إليها وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها= فإنها حينئذٍ تحكم فيه بحُكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ـ بل أعظم ـ؛ فإنَّ أَسْرَ القلب أعظمُ من أسر البدن، واستعبادَ القلب أعظمُ من استعباد البدن؛ فإن من استُعبد بدنه واستُرقَّ لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا؛ بل يمكنه الاحتيالُ في الخلاص. وأما إذا كان القلب ـ الذي هو مَلِكُ الجسم ـ رقيقًا مستعبَدًا متيَّمًا لغير اللَّه= فهذا هو الذلُّ، والأسر المحض، والعبوديةُ الذليلةُ لما استُعبد [له] القلب.

وعبوديةُ القلب وأَسْرُه هي التي يترتب عليها الثوابُ والعقاب؛ فإن المسلم لو أسره كافرٌ، أو استرقَّه فاجرٌ بغير حقٍّ لم يضرَّه ذلك ـ إذا كان قائمًا بما يقدرُ عليه من الواجبات ـ، ومن استُعبد بحقٍّ، إذا أدىٰ حقَّ اللَّه وحق مواليه له أجران[٢]، ولو أُكره علىٰ التكلم بالكفر فتكلم به وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، لم يضرَّه ذلك. وأما من استُعبد قلبه، فصار عبدًا لغير اللَّه، فهذا يضرُّه ذلك، ولو كان في الظاهر مَلِكَ الناس.

فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنىٰ غنىٰ النفس.

(١) في المطبوع، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٨٥)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ١٨٣)، وفي بعض نسخ الكتاب: «درت». والمثبت من طبعة المكتب الإسلامي ص(٨٧).

(٢) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

قال النبيُّ ﷺ: «**ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض**[(١)]، **وإنما الغنىٰ عنىٰ النفس**»[(٢)].

وهذا ـ لَعَمْرُ اللَّه ـ إذا كان قد استَعبد قلبَه صورةٌ مباحة، فأما من استعبد قلبَه صورةٌ محرمة ـ امرأةٌ أو صبي ـ، فهذا هو العذاب الذي لا يَدانِ فيه[(٣)]. وهؤلاء من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبُه متعلقًا بها، مستعبَدًا لها= اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا ربُّ العباد ـ ولو سَلِم من فعل الفاحشة الكبرىٰ ـ، فدوامُ تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشدُّ ضررًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبَّهون بالسكارىٰ والمجانين.

▫ كما قيل:

سُكرانِ سُكرُ هوًىٰ وسُكرُ مُدامةٍ ... ومتىٰ إفاقةُ من به سُكرانِ![(٤)]

▫ وقيل:

قالوا جننتَ بمن تهوىٰ فقلتُ لهم: ... العشقُ أعظم مما بالمجانينِ
العشقُ لا يستفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحِينِ

ومن أعظم أسباب هذا البلاء: إعراضُ القلب عن اللَّه؛ فإن القلب إذا ذاق طعمَ عبادة اللَّه والإخلاص له لم يكن عنده شيءٌ قط أحلىٰ

(١) **العَرَض**: متاع الدنيا، من مالٍ ومنصبٍ وجاهٍ وغير ذلك.
(٢) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) **لا يدان**: لا قدرة فيه ولا خلاص منه. وفي بعض النسخ: «لا يدانيه عذاب».
(٤) **المُدامة**: الخمر.

من ذلك، ولا ألذُّ ولا أطيب، والإنسانُ لا يَترك محبوبًا إلا بمحبوبٍ آخرَ يكون أحبَّ إليه منه، أو خوفًا من مكروه، فالحبُّ الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحبِّ الصالح، أو بالخوف من الضرر.

قال تعالىٰ في حق يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ[1] ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]. فاللَّه يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلىٰ الصور والتعلق بها، ويصرفُ عنه الفحشاء بإخلاصه للَّه.

ولهذا يكون ـ قبل أن يذوق حلاوة العبودية للَّه والإخلاص له ـ تغلبُه نفسه علىٰ اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فإن الصلاة فيها دفعٌ للمكروه ـ وهو الفحشاء والمنكر ـ، وفيها تحصيلٌ المحبوب ـ وهو ذكر اللَّه ـ، وحصول هذا المحبوب أكبرُ مِن دفع المكروه؛ فإنَّ ذكر اللَّه عبادةٌ للَّه، وعبادة القلب للَّه مقصودةٌ لذاتها. وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصودٌ لغيره علىٰ سبيل التبع.

والقلب خُلق يحبُّ الحقَّ ويريده ويطلبه، فلما عَرَضت له إرادة الشر طَلَب دفع ذلك؛ فإنها تُفسِدُ القلب كما يَفسُدُ الزرع بما ينبت فيه من الدغل[2].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا[3] ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

(١) بكسر اللام، والكلام القادم تابعٌ لهذه القراءة.
(٢) **الدغل**: الفساد. (٣) ﴿دَسَّىٰهَا﴾: دفنها وأغرقها في العصيان.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلىٰ].

وقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

فجعل سبحانه غضَّ البصر وحفظ الفرج هو أزكىٰ للنفس، وبيَّن أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاةُ النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب، وغير ذلك.

وكذلك طالبُ الرئاسة والعلوِّ في الأرض قلبُه رقيقٌ لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدَّمَهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم؛ فيبذلُ لهم الأموال والولايات، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه؛ فهو في الظاهر رئيسٌ مطاع، وفي الحقيقة عبدٌ مطيع لهم.

والتحقيق أن كليهما فيه عبوديةٌ للآخر، وكلاهما تاركٌ لحقيقة عبادة اللَّه. وإذا كان تعاونُهما علىٰ العلوِّ في الأرض بغير الحق= كانا بمنزلة المتعاوِنَينِ علىٰ الفاحشة أو قطعِ الطريق، فكلٌّ واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقَّه يستعبدُه الآخر[1]. وهكذا ـ أيضًا ـ طالب المال؛ فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه.

🕮 [أنواع ما يحتاجه العبد]:

وهذه الأمور نوعان:

(١) في المطبوع، وبعض مطبوعات «العبودية»: «مستعبد للآخر»، والمثبت من «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٨٩)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٥).

١ ـ **منها:** ما يحتاج العبد إليه، كما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه، ونحو ذلك. فهذا يطلبه من اللَّه، ويرغب إليه فيه، فيكون المالُ عنده يستعمله في حاجته؛ بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطِه الذي يجلس عليه؛ بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون ﴿هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج].

٢ ـ **ومنها:** ما لا يحتاج العبد إليه؛ فهذه لا ينبغي له أن يعلِّق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبَدًا لها، وربما صار معتمدًا علىٰ غير اللَّه، فلا يبقىٰ معه حقيقةُ العبادة للَّه، ولا حقيقةُ التوكل عليه؛ بل فيه شعبةٌ من العبادة لغير اللَّه، وشعبةٌ من التوكل علىٰ غير اللَّه، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تَعِس عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ القطيفة، تعس عبدُ الخميصة**»(١).

وهذا هو عبد هذه الأمور ـ ولو(٢) طلبها من اللَّه ـ؛ فإنَّ اللَّه إذا أعطاه إياها رضي، وإذا منعه إياها سخط، وإنما عبدُ اللَّه مَن يُرضيه ما يرضي اللَّه، ويُسخطه ما يُسخط اللَّه، ويحبُّ ما أحبه اللَّه ورسوله، ويُبغض ما أبغضه اللَّه ورسوله، ويوالي أولياءَ اللَّه، ويعادي أعداء اللَّه تعالىٰ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان؛ كما في الحديث: «**مَن أحبَّ للَّه، وأبغض للَّه، وأعطىٰ للَّه، ومَنع للَّه فقد استكمل الإيمان**»(٣).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) في المطبوعات، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/١٩٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/١٨٦)، وكثير من نسخ «العبودية»: «فلو»، وفي نسخة «المكتب الإسلامي» ص(٩٢): «فإنه لو» ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٤٣٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» =

وقال: «**أوثق عُرَىٰ الإيمان: الحبُّ في اللَّه، والبغضُ في اللَّه**»[(١)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومَن كان يحبُّ المرء لا يحبُّه إلا للَّه، ومن كان يكرهُ أن يرجع في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّهُ منه ـ كما يَكرهُ أن يُلقىٰ في النار**»[(٢)].

فهذا وافق ربَّه فيما يحبُّه وما يكرهه؛ فكان اللَّهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأحبَّ المخلوق للَّه لا لغرضٍ آخر، فكان هذا من تمام حبه للَّه؛ فإن محبةَ محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء اللَّه وأولياء اللَّه لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ـ لا لشيءٍ آخر ـ، فقد أحبَّهم للَّه لا لغيره.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإن الرسولَ يأمر بما يحب اللَّه، وينهىٰ عما يُبغضه اللَّه، ويفعل ما يحبه اللَّه، ويخبرُ بما يحب اللَّهُ التصديقَ به، فمن كان

= (٣٩٥)، والتِّرمذي (٢٥٢١)، والخلال في «السنة» (١٦١٦)، وأبو يعلىٰ (١٤٨٥)، والحاكم (١٦٤/٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨٨/٢٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٨٤٧)، من حديث معاذ ابن أنس الجهني رضي الله عنه، وقال الترمذي: «**منكر**». **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤/ ٣٨٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند الترمذي.

(١) **حسن**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

محبًّا للَّه لزم أن يتبع الرسول، فيصدِّقه فيما أخبر، ويُطيعه فيما أمر، ويتأسَّىٰ به فيما فعل، ومَن فعل هذا فقد فعل ما يحبُّه اللَّه؛ فيحبُّه اللَّه، فجعل اللَّه لأهل محبته علامتين: «اتباع الرسول، والجهاد في سبيله»؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهادُ في حصول ما يحبُّه اللَّه من الإيمان والعمل الصالح، ومِن دفع ما يبغضُه اللَّه من الكفر والفسوق والعصيان.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، فتوعد من كان أهلُه وماله أحبَّ إليه من اللَّه ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد؛ بل قد ثبت عنه [ﷺ] في «الصحيح» أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

وفي «الصحيح» أن عمر بن الخطاب قال له: يا رسول اللَّه، واللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**لا ـ يا عمر ـ؛ حتىٰ أكون أحبَّ إليك من نفسك**». فقال: فواللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال: «**الآن ـ يا عمر ـ**»(٢).

فحقيقة المحبة لا تتمُّ إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقتُه في حب ما يحب، وبُغضِ ما يُبغض، واللَّهُ يحبُّ الإيمان والتقوىٰ، ويُبغض الكفر والفسوق والعصيان. ومعلومٌ أن الحب يحرِّكُ إرادة القلب، فكلما قويت المحبةُ في القلب طلب القلبُ فِعلَ المحبوبات، فإذا

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٢)، من حديث عبداللَّه بن هشام رضي الله عنه.

كانت المحبةُ تامةً استلزمت إرادةً جازمةً في حصول المحبوبات. فإذا كان العبد قادرًا عليها حصَّلها. وإن كان عاجزًا عنها ففَعَل ما يقدر عليه من ذلك= كان له كأجر الفاعل.

كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَن دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثلُ أجور من اتبعه، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيئًا**[(١)]، **ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ كان عليه من الوزر مثلُ أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**»[(٢)].

وقال: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سِرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم**». قالوا: وهم بالمدينة؟! قال: «**وهم بالمدينة، حَبَسَهم العُذْر**»[(٣)].

والجهاد هو بذلُ الوُسع؛ وهو القدرة في حصول محبوب الحق، ودفعِ ما يكرهه الحق، فإذا تَرك العبدُ ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلًا علىٰ ضعف محبة اللَّه ورسوله في قلبه، ومعلومٌ أن المحبوبات لا تُنال غالبًا إلا باحتمال المكروهات ـ سواءٌ كانت محبةً صالحةً أو فاسدة ـ، فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا، مع ما يصيبُهم من الضرر في الآخرة[(٤)]، فالمحب للَّه ورسوله إذا لم يحتمل ما يرىٰ ذو الرأي منَ المحبِّين لغير اللَّه ـ مما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ـ، دل

(١) في نسخة في الموضعين: «شيء» ـ بالرفع ـ، وكلاهما صحيح.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٢٨٣٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ»: «في الدنيا والآخرة»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، إذ قد ذكر ضرر الدنيا فعليًّا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

ذلك علىٰ ضعفِ محبَّته للَّه إذا كان ما يسلكه أولئك ـ في نظرهم ـ هو الطريق الذي يشير به العقل.

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبًّا للَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

نعم؛ قد يسلك المُحِبُّ ـ لضعف عقله وفساد تصوره ـ طريقًا لا يحصل بها المطلوب، فمثل هذه الطريق لا تُحمد إذا كانت المحبة صالحةً محمودةً، فكيف إذا كانت المحبة فاسدة، والطريق غير موصِّل! كما يفعله المتهوِّرون[(١)] في طلب المال والرئاسة والصور في حب أمورٍ توجب لهم ضررًا، ولا تحصِّل لهم مطلوبًا، وإنما المقصود الطرقُ التي يسلكها العقلُ السليمُ لحصول مطلوبه.

وإذا تبين هذا، فكلما ازداد القلب حبًّا للَّه ازداد له عبوديةً، وكلما ازداد له عبوديةً ازداد له حبًّا وحريةً عما سواه[(٢)]، والقلب فقيرٌ بالذات إلىٰ اللَّه من وجهين:

ـ من جهة العبادة ـ وهي العلَّة الغائية[(٣)] ـ.

ـ ومن جهةِ الاستعانة والتوكل ـ وهي العلة الفاعلية[(٤)] ـ.

فالقلب لا يصلح ولا يُفلح، ولا يلتذُّ ولا يُسَرُّ، ولا يطيبُ ولا يسكن ولا يطمئن= إلا بعبادة ربِّه وحبِّه والإنابة إليه. ولو حصل له كل

(١) **المتهوِّرون**: المتسرِّعون.

(٢) في نسخة: «وفضَّله عما سواه».

(٣) **العلة الغائية**: ما وُجد المعلول ـ المحدَث ـ لأجله.

(٤) **العلة الفاعلية**: المؤثِّرة في وجود الشيء.

ما يَلتذُّ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقرٌ ذاتيٌّ إلىٰ ربه، ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصُلُ له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصلُ له إلا بإعانة اللَّه له، فإنه لا يقدرُ علىٰ تحصيل ذلك له إلا اللَّه، فهو دائمًا مفتقرٌ إلىٰ حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنه لو أُعين علىٰ حصول ما يحبُّه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادته للَّه فلن يحصل إلا علىٰ الألم والحسرة والعذاب، ولن يَخلُصَ من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب للَّه؛ بحيث يكون هو غايةَ مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبُّه لأجله، لا يحبُّ شيئًا لذاته إلا اللَّه، فمتىٰ لم يحصل له هذا لم يكن قد حقَّق حقيقة «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة للَّه، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان[1] ـ بل من الألم والحسرة والعذاب ـ بحسب ذلك.

ولو سعىٰ في هذا المطلوب، ولم يكن مستعينًا باللَّه متوكلًا عليه مفتقرًا إليه في حصوله= لم يحصل له؛ فإنه ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو مفتقرٌ إلىٰ اللَّه من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود، ومن حيث هو المسؤول المستعان به المتوكَّلُ عليه، فهو إلٰهه لا إلٰه له غيره، وهو ربُّه لا ربَّ له سواه.

ولا تتمُّ عبوديته للَّه إلا بهذين؛ فمتىٰ كان يحبُّ غيرَ اللَّه لذاته، أو يلتفت إلىٰ غير اللَّه أنه يُعينُه= كان عبدًا لما أحبَّه، وعبدًا لما

(١) في نسخة: «من النقص والعيب».

رجاه بحسب حبِّه له ورجائه إياه. وإذا لم يحبَّ أحدًا لذاته إلا اللَّه، وكلما أحب سواه فإنما أحبَّه له، ولم يَرْجُ قط شيئًا إلا اللَّه، وإذا فعل ما فعل من الأسباب، أو حصَّل ما حصَّل منها كان مشاهِدًا أن اللَّه هو الذي خلقها وقدَّرها وسخَّرها له، وأن كل ما في السماوات والأرض فاللَّه ربُّه ومليكه وخالقه ومسخِّره، وهو مفتقر إليه= كان قد حَصَل له من تمام عبوديته للَّه بحسب ما قُسم له من ذلك.

والناس في هذا علىٰ درجات متفاوتة لا يحصي طرفيها إلا اللَّه؛ فأكمل الخلق، وأفضلهم، وأعلاهم، وأقربهم إلىٰ اللَّه، وأقواهم، وأهداهم= أتمُّهم عبوديةً للَّه من هذا الوجه. وهذا هو حقيقةُ دين الإسلام الذي أَرسل اللَّهُ به رسله، وأنزل به كتبه؛ وهو أن يستسلم العبد للَّه لا لغيره، فالمستسلم له ولغيره مشرك، والممتنِعُ عن الاستسلام له مستكبر.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**أن الجنة لا يدخلُها مَن في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْر**»[(١)]، كما أن النار لا يخلد فيها[(٢)] من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فجعل الكبر مقابلًا للإيمان؛ فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية؛ كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللَّه: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي؛ فمن نازعني واحدًا منهما عذَّبتُه**»[(٣)].

فالعظمةُ والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلىٰ من

(١) رواه مسلم (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في نسخة: «لا يدخلها».

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٠)، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلةِ الرداء، كما جعل العظمةَ بمنزلةِ الإزار؛ ولهذا كان شعارُ الصلوات والأذان والأعياد هو التكبير، وكان مستحَبًّا في الأمكنة العالية ـ كالصَّفا والمروة ـ، وإذا علا الإنسان شرفًا أو ركب دابةً ونحو ذلك، وبه يُطفأ الحريق ـ وإن عظُم[(١)] ـ، وعند الأذان يهرب الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وكلُّ من استكبر عن عبادة اللَّه لابد أن يعبد غيره؛ فإن الإنسان حساسٌ يتحرك بالإرادة[(٢)].

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أصدقُ الأسماء حارث وهمام**»[(٣)].

فالحارث: الكاسب الفاعل، والهَمَّام: فَعَّالٌ من الهَمِّ، والهمُّ أول الإرادة، فالإنسان له إرادة دائمًا، وكلُّ إرادةٍ فلابد لها من مرادٍ تنتهي إليه، فلابد لكل عبدٍ مِن مرادٍ محبوبٍ هو منتهىٰ حبِّه وإرادته،

(١) يقصد مع الأخذ بالأسباب.

(٢) كما قيل ـ أيضًا ـ: «النفس إن لم تشغلها بالحق، انشغلت بالباطل».

(٣) **صحيح ـ وليس في «الصحيح»** ـ: رواه أحمد (٣٤٥/٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وفي «التاريخ الكبير» (٧٨/٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٦٨)، وأبو يعلىٰ (٧١٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٩٤٩/٢٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥١٤/٩)، وفي «الآداب» (٤٦٩)، والدولابي في «الكُنىٰ» (١٧٧/١)، من حديث أبي وهب الجُشَمي رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٣٠٥/٧).

فمن لم يكن اللَّهُ معبودَه ومنتهىٰ حبِّه وإرادته ـ بل استكبر عن ذلك ـ فلابد أن يكون له مرادٌ محبوبٌ يستعبده غيرُ اللَّه، فيكونُ عبدًا لذلك المراد المحبوب؛ إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلٰهًا من دون اللَّه، كالشمس، والقمر، والكواكب، والأوثان، وقبور الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أربابًا، أو غير ذلك مما عُبد من دون اللَّه.

وإذا كان عبدًا لغير اللَّه يكون مشركًا، وكلُّ مستكبرٍ فهو مشرك؛ ولهذا كان فرعونُ من أعظم الخلق استكبارًا عن عبادة اللَّه، وكان مشركًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۗ﴾، إلىٰ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

ومثل هذا في القرآن كثير.

وقد وُصف فرعون بالشرك في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

بل الاستقراء يدلُّ علىٰ أنه كلما كان الرجلُ أعظم استكبارًا عن عبادة اللَّه كان أعظم إشراكًا باللَّه؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة اللَّه ازداد فقرُه وحاجتُه إلىٰ المراد المحبوب الذي هو المقصود ـ مقصود القلب بالقصد الأول ـ؛ فيكون مشركًا بما استعبده من ذلك.

ولن يستغنيَ القلبُ عن جميع المخلوقات إلَّا بأنْ يكون اللَّه هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبُّه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يُبغضُه الربُّ ويكرهه، ولا يوالي إلا من والاه اللَّه، ولا يعادي إلا من عاداه اللَّه، ولا يحبُّ إلا للَّه، ولا يُبغض شيئًا إلا للَّه، ولا يُعطي إلا للَّه، ولا يمنع إلا للَّه؛ فكلما قَوِيَ إخلاصُ دينه للَّه كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته للَّه يُبرِّئُه[1] من الكبر والشرك.

والشرك غالبٌ علىٰ النصارىٰ، والكبر غالبٌ علىٰ اليهود:

قال تعالىٰ في النصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقال في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

(١) في نسخة: «تكمل تبرئته».

وقال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولما كان الكبرُ مستلزمًا للشرك، والشركُ ضد الإسلام - وهو الذنب الذي لا يغفره اللَّه -، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء]، كان[1] الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام، فهو الدين الذي لا يقبل اللَّه غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين.

قال نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس].

وقال في حق إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وقال موسىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس].

(١) هذا جواب قوله: «ولما كان الكبر مستلزمًا للشرك...» قبل ثلاثة أسطر.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

فذَكَر إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا؛ لأن المخلوقات جميعها متعبِّدةٌ له التعبُّد العام، سواء أقر المُقِرُّ بذلك أو أنكره، وهم مَدينون[١] مدبَّرون؛ فهم مسلِمون له طوعًا وكرهًا، ليس لأحدٍ من المخلوقات خروجٌ عما شاءه وقدَّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو ربُّ العالمين، ومليكُهم يصرِّفُهم كيف يشاء، وهو خالقُهم كلِّهم وبارئهم ومصوِّرُهم، وكل ما سواه فهو مربوبٌ مصنوع، مفطورٌ فقير، محتاجٌ معبَّدٌ مقهور، وهو سبحانه الواحد القهار، الخالق البارئ المصوِّر.

وهو وإن كان قد خَلق ما خلقه بأسباب، فهو خالقُ السبب والمقدِّرُ له، وهو مفتقرٌ إليه كافتقار هذا[٢]، وليس في المخلوقات سببٌ

(١) **مدينون**: محاسَبون.

(٢) يعني: كافتقار المسبَّب. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

مستقلٌّ بفعلِ خيرٍ ولا دفعِ ضرر؛ بل كل ما هو سببٌ فهو محتاجٌ إلىٰ سبب آخر يعاونه، وإلىٰ ما يدفع عنه الضدَّ الذي يعارضه ويمانعه.

وهو ـ سبحانه ـ وحده الغنيُّ عن كل ما سواه، ليس له شريكٌ يعاونه، ولا ضدٌّ يناوئه ويعارضه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ عن الخليل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟[1] إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود ﷺ: أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك علىٰ أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول اللَّه، أيُّنا لم يَلبس إيمانه بظلم؟ فقال: «**إنما هو الشرك؛ ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[2].

وإبراهيم الخليل ـ إمام الحنفاء المخلصين ـ حيث بُعث وقد طبَّق الأرضَ دينُ المشركين، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ

(١) ﴿يَلْبِسُوٓا۟﴾: يخلطوا.

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]، فبيَّن أن عهده بالإمامة لا يتناولُ الظالم، فلم يأمر اللَّه ـ سبحانه ـ أن يكون الظالمُ إمامًا، وأعظمُ الظلم الشرك.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

والأُمَّة: هو معلِّم الخير الذي يؤتمُّ به، كما أن القدوة الذي يُقتدىٰ به.

واللَّه تعالىٰ جعل في ذريته النبوةَ والكتاب، وإنما بُعث الأنبياء بعده بمِلَّته.

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**أن إبراهيم خيرُ البرية**»(١)؛ فهو أفضل الأنبياء بعد النبي ﷺ، وهو خليلُ اللَّه تعالىٰ.

(١) رواه مسلم (٢٣٦٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ من غير وجهٍ أنه قال: «**إن اللَّه اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا**»(١).

وقال: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنَّ صاحبكم خليلُ اللَّه**» ـ يعني نفسه [ﷺ] ـ. وقال: «**لا يَبقَين في المسجد خَوْخَةٌ(٢) إلا سُدَّتْ، إلا خَوْخَة أبي بكر**»(٣).

وقال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»(٤).

وكلُّ هذا في «الصحيح»، وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام(٥)؛ وذلك من تمام رسالته؛ فإن في ذلك تحقيقَ تمام مخالَّتِه للَّه، التي أصلها محبة اللَّه تعالىٰ للعبد، ومحبة العبد للَّه؛ خلافًا للجهمية.

وفي ذلك تحقيق توحيد اللَّه، وألَّا يعبدوا إلا إياه، وردٌّ علىٰ أشباه المشركين.

وفيه ردٌّ علىٰ الرافضة الذين يَبخَسون الصدِّيقَ رضي الله عنه حقه، وهم أعظم المنتسبين إلىٰ القبلة إشراكًا بعبادة عليٍّ وغيره من البشر.

والخُلة: هي كمال المحبةِ المستلزمةِ من العبد كمالَ العبودية للَّه، ومن الرب ـ سبحانه ـ كمالَ الربوبية لعباده الذين يحبُّهم ويحبونه.

(١) رواه مسلم (٥٣٢)، من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) **الخَوْخة**: الباب الصغير.

(٣) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

ولفظ «العبودية» يتضمن كمالَ الذل، وكمالَ الحب؛ فإنهم يقولون: «قلبٌ متيَّم» إذا كان متعبِّدًا للمحبوب، والمتيَّم: المتعبَّد، وتَيمُ اللَّه: عبده، وهذا علىٰ الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ ولهذا لم يكن له ﷺ من أهل الأرض خليل، إذ الخُلةُ لا تحتمل الشركة؛ فإنه كما قيل في المعنىٰ:

قد تخللتَ مسلكَ الروح مني وبذا سُمي الخليلُ خليلًا

بخلاف أصل الحب؛ فإنه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة: «**اللهم إني أُحبُّهما فأَحِبَّهما، وأَحِبَّ مَن يحبُّهما**»(١).

وسأله عمرو بن العاص: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قال: فمِن الرجال؟ قال: «**أبوها**»(٢).

وقال لعليٍّ رضي الله عنه: «**لأُعطينَّ الراية رجلًا يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبُّه اللَّه ورسوله**»(٣). وأمثال ذلك كثير.

وقد أخبر تعالىٰ أنه يحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المُقسطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيانٌ مرصوص.

وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين، ومحبة المؤمنين له، حتىٰ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) رواه البخاري (٣٧٣٥)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما. دون قوله: «**وأحب من يحبهما**».

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وأما الخُلةُ فخاصة، وقول بعض الناس: «إن محمدًا حبيب اللَّه، وإبراهيم خليل اللَّه»، وظنه أن المحبة فوق الخلة= قولٌ ضعيف، فإن محمدًا ـ أيضًا ـ خليل اللَّه ـ كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة[(١)] ـ.

وما يُروىٰ: «**إن العباس يُحشر بين حبيب وخليل**»[(٢)]، وأمثال ذلك، فأحاديثُ موضوعةٌ لا تصلح أن يُعتمد عليها.

وقد قدمنا أن محبة اللَّه تعالىٰ هي محبتُه ومحبةُ ما أحب، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَد حلاوة الإيمان: مَن كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه، ومَن كان يَكره أن يرجعَ في الكفر ـ بعد إذ أنقذه اللَّه منه ـ كما يكره أن يُلقىٰ في النار**»[(٣)].

أخبر النبيُّ ﷺ أن هذه الثلاث مَن كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وَجْدَ الحلاوة بالشيء يتبعُ المحبةَ له، فمن أحب شيئًا أو اشتهاه ـ إذا حصل له مرادُه ـ فإنه يجدُ الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذةُ أمر يحصل عقيبَ إدراك المُلائم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ.

ومن قال: «إن اللذة إدراك الملائم» ـ كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء ـ، فقد غَلِط في ذلك غلطًا بيِّنًا؛ فإن الإدراك

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **لا أصل له**: كما بيَّن الإمام رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

يتوسط بين المحبة واللذة؛ فإن الإنسان ـ مثلًا ـ يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيبَ ذلك اللذة؛ فاللذة تتبع النظرَ إلىٰ الشيء، فإذا نظر إليه التذَّ به، فاللذة تتبعُ النظر ليست نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء؛ بل تحصل عقيب رؤيته، وقال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وهكذا جميعُ ما يحصل للنفس من اللذات والآلام ـ من فرحٍ وحزن ونحو ذلك ـ يحصل بالشعور بالمحبوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفسُ الشعور هو الفرح ولا الحزن.

🕮 [أمور ثلاثة تتحقق بها حلاوة الإيمان]:

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمنُ الواجدُ من حلاوة الإيمان= تتبع كمال محبة العبد للَّه؛ وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون اللَّهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما؛ فإن محبة اللَّه ورسوله لا يُكتفىٰ فيها بأصل الحب؛ بل لابد أن يكون اللَّهُ ورسوله أحب إليه مما سواهما ـ كما تقدم ـ.

وتفريعها: أن يحب المرءَ لا يحبُّه إلا للَّه.

ودفع ضدها: أن يَكره ضدَّ الإيمان أعظمَ من كراهته الإلقاءَ في النار، فإذا كانت محبةُ الرسول والمؤمنين من محبة اللَّه، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يحب المؤمنين الذين يحبهم اللَّه؛ لأنه أكملُ الناس محبةً للَّه، وأحقهم بأن يُحِبَّ ما يحبه اللَّه، ويُبغضَ ما يبغضُه اللَّه، والخُلة ليس لغير اللَّه فيها نصيب؛ بل قال: «**لو كنت متخِذًا من أهل**

الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»[(١)]= عُلم منه[(٢)] مزيد مرتبة الخلة علىٰ مطلق المحبة.

والمقصود هو أن الخُلة والمحبة للَّه تحقيقُ عبوديته؛ وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهَّمون أن العبودية مجردُ ذلٍّ وخضوع فقط، لا محبةَ معه، أو أن المحبة فيها انبساطٌ في الأهواء، أو إدلالٌ لا تحتمله الربوبية.

▫ ولهذا يُذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة؛ فقال: «أمسِكوا عن هذه المسألة، لا تسمعْها النفوس فتدعيها».

وكَرِهَ مَن كره من أهل المعرفةِ والعلم مجالسةَ أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية.

▫ وقال مَن قال من السلف: «مَن عَبَد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

ولهذا وُجد في المستأخرين من انبسط في دعوىٰ المحبة، حتىٰ أخرجه ذلك إلىٰ نوع من الرعونةِ[(٣)] والدعوىٰ التي تنافي العبودية، وتُدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا للَّه، ويدَّعي أحدهم دعاوىٰ تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين، أو يطلبون من

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا جواب الشرط في قوله: «فإذا كانت محبة الرسول...» قبل أسطر.

(٣) **الرعونة**: سوء الخلق والأدب.

اللَّه ما لا يصلح ـ بكل وجهٍ ـ إلا للَّه؛ لا يصلح للأنبياء والمرسلين. وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ.

وسببه ضعفُ تحقيق العبودية التي بيَّنتها الرسل، وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به؛ بل ضعفُ العقل الذي به يَعرف العبدُ حقيقته، وإذا ضعف العقل وقلَّ العلم بالدين، وفي النفس محبة طائشة جاهلة، انبسطت النفس بحُمقها في ذلك، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله، ويقول: «أنا محبٌّ؛ فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواعٍ يكون فيها عُدوانٌ وجهل»! فهذا عين الضلال، وهو شبيهٌ بقولِ اليهود والنصارىٰ: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ١٨]، فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غيرُ محبوبين، ولا منسوبين إليه بنسبة البُنوَّة، بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون.

فمن كان اللَّه يحبه استعمله فيما يحبُّه محبوبه، لا يفعل ما يُبغضه الحقُّ ويَسخطه من الكفر والفسوق والعصيان. ومَن فعل الكبائر، وأصر عليها، ولم يتُب منها، فإن اللَّه يُبغض منه ذلك، كما يحبُّ منه ما يفعله من الخير؛ إذ حبُّه للعبد بحسب إيمانه وتقواه. ومن ظن أن الذنوبَ لا تضرُّه لكون اللَّه يحبه ـ مع إصراره عليها ـ، كان بمنزلة مَن زعم أن تناوُلَ السُّمِّ لا يضره مع مداومته عليه، وعدم تداويه منه بصحةِ مزاجه!

ولو تدبَّر الأحمقُ ما قصَّ اللَّه في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرىٰ لهم من التوبة والاستغفار، وما أُصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيصٌ لهم، وتطهيرٌ بحسب أحوالهم، عَلم بعضَ ضرر الذنوب بأصحابها ـ ولو كان أرفعَ الناس مقامًا ـ؛ فإن المحبَّ

للمخلوق إذا لم يكن عارفًا بمصلحته ولا مريدًا لها؛ بل يعمل بمقتضىٰ الحب ـ وإن كان جهلًا وظلمًا ـ، كان ذلك سببًا لبغض المحبوب له ونفوره عنه؛ بل سببًا لعقوبته.

[آثار الدعاوى الفاسدة]:

وكثيرٌ من السالكين سلكوا في دعوىٰ حب اللَّه أنواعًا من أمور الجهل بالدين:

- إما من تعدِّي حدود اللَّه.
- وإما من تضييع حقوق اللَّه.
- وإما من ادعاء الدعاوىٰ الباطلة التي لا حقيقة لها.

▫ كقول بعضهم: «أي مريدٍ لي تَرك في النار أحدًا فأنا منه بريء، فقال الآخر: أي مريد لي ترك أحدًا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء».

فالأول: جعل مريدَه يُخرج كل من في النار، والثاني: جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار!

▫ ويقول بعضهم: «إذا كان يومُ القيامة نصبتُ خيمتي علىٰ جهنم حتىٰ لا يدخلها أحد».

وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثَرُ عن بعض المشايخ المشهورين، وهي إما كذبٌ عليهم، وإما غلط منهم، ومثل هذا قد يصدر في حال سُكرٍ وغلبةٍ وفناءٍ يسقط فيها تمييزُ الإنسان أو يضعف؛ حتىٰ لا يدري ما قال، والسُّكرُ هو لذةٌ مع عدم تمييز؛ ولهذا كان بين هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام.

والذين توسَّعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب

والشوق واللوم والعَذْل والغرام كان هذا أصلَ مقصدهم؛ فإن هذا الجنس يحرِّك ما في القلب من الحب ـ كائنًا ما كان ـ؛ ولهذا أنزل اللَّه للمحبة محنةً يَمتحنُ بها المُحِبَّ؛ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا يكون محبًّا للَّه إلَّا من يتبعُ رسوله، وطاعةُ الرسول ومتابعتُه لا تكون إلا بتحقيق العبودية.

وكثيرٌ ممن يدعي المحبة يَخرج عن شريعته وسنته، ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضعُ لذكره، حتىٰ قد يَظنُّ أحدُهم سقوطَ الأمر، وتحليلَ الحرام له، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسُنته وطاعته؛ بل قد جعل اللَّه أساسَ محبته ومحبة رسوله الجهادَ في سبيله، والجهاد يتضمن كمالَ محبة ما أمر اللَّه به، وكمال بغض ما نهىٰ اللَّه عنه؛ ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولهذا كانت محبةُ هذه الأمة للَّه أكملَ مِن محبة مَن قبلها، وعبوديتهم للَّه أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل، فأين هذا من قوم يدَّعون المحبة؟!

▫ وفي كلام بعض الشيوخ: «المحبة نار تَحرق في القلب ما سوىٰ مراد المحبوب».

وأرادوا أن الكون كلَّه قد أراد اللَّهُ وجوده، فظنوا أن كمال المحبة أن يُحبَّ العبدُ كلَّ شيء، حتىٰ الكفر والفسوق والعصيان! ولا يمكن أحدًا أن يحبَّ كل موجود؛ بل يحبُّ ما يلائمه وينفعه،

ويُبغض ما ينافيه ويضرُّه، ولكن استفادوا بهذا الضلالِ اتباعَ أهوائهم، ثم زادهم انغماسًا في أهوائهم وشهواتهم؛ فهم يحبون ما يهوَوْنه؛ كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المُضِلة، زاعمين أن هذا من محبة اللَّه! ومن محبة اللَّه بغضُ ما يبغضه اللَّه ورسوله، وجهادُ أهله بالنفس والمال.

وأصلُ ضلالهم: أن هذا القائلَ الذي قال: «إن المحبة نارٌ تَحرق ما سوىٰ مراد المحبوب»، قَصَد بمراد اللَّه تعالىٰ: «الإرادة الكونية في كل الموجودات»، أما إذا قال مؤمن باللَّه وكتبه ورسله هذه المقالة، فإنه يقصد: «الإرادة الدينية الشرعية» التي هي بمعنىٰ محبته ورضاه[1]؛ فكأنه قال: تَحرق من القلب ما سوىٰ المحبوب للَّه. وهذا معنًىٰ صحيح، فإن من تمام الحب للَّه ألَّا تُحبَّ إلا ما يحبه اللَّه، فإذا أحببتَ ما لا يحب كانت المحبةُ ناقصة. وأما قضاؤه وقدره فيما[2] يُبغضه ويكرهه ويَسخطه ويَنهىٰ عنه، فإن لم أوافقه في بُغضه

(١) تأمل كيف فرَّق الإمام بين توجيه كلام أئمة السُّنة والاستقامة، وبين غيرهم! فإن أهل الحقِّ والسُّنة يجب ـ وجوبًا ـ قبل الطعن في كلامهم التأملُ في مرادهم من خلال معرفة عقيدتهم وعلومهم، بخلاف من عُرف بالبدعة والضلال؛ فإن الأصل في كلامه الفساد، إلا أن يظهر خلاف ذلك؛ فافهم هذا الفرقَ المهم في هذا الباب. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.
ثم وجدتُ كلامًا مشابهًا للعلامة ابن القيم، وللَّه الحمد والمنة:
■ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبارُ بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عنه» اهـ. «مدارج السالكين» (٥٤١/٣).

(٢) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ» (٢١١/١٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» =

وكراهته وسخطه لم أكن محبًّا له؛ بل محبًّا لما يبغضه.

فاتباعُ هذه الشريعة والقيامُ بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة اللَّه وأوليائه الذين يحبُّهم ويحبونه، وبين من يدَّعي محبة اللَّه ناظرًا إلىٰ عموم ربوبيته، أو متبعًا لبعض البدع المخالفة لشريعته؛ فإن دعوىٰ هذه المحبة للَّه من جنس دعوىٰ اليهود والنصارىٰ المحبةَ للَّه؛ بل قد تكون دعوىٰ هؤلاء شرًّا من دعوىٰ اليهود والنصارىٰ؛ لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدَّرْك الأسفل من النار، كما قد تكون دعوىٰ اليهود والنصارىٰ شرًّا من دعواهم إذا لم يَصِلوا إلىٰ مثل كفرهم، وفي التوراة والإنجيل من الترغيب في محبة اللَّه ما هم متفقون عليه، حتىٰ إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس.

▫ ففي «الإنجيل» أن المسيح قال: «أعظم وصايا المسيح أن تحبَّ اللَّه بكلِّ قلبك وعقلك ونفسك».

والنصارىٰ يدَّعون قيامهم بهذه المحبة، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم بُرآء من محبة اللَّه، إذ لم يتبعوا ما أحبَّه؛ بل ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد]، واللَّه يُبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم، وهو ـ سبحانه ـ يحبُّ من يحبه. لا يمكن أن يكون العبد محبًّا للَّه واللَّه تعالىٰ غيرُ محبٍّ له؛ بل بقَدرِ محبة العبد لربه يكون حبُّ اللَّه له، وإن كان جزاءُ اللَّه لعبده أعظم، كما في الحديث الصحيح الإلٰهي عن اللَّه

= (٢٠٠/٥)، ونسخ «العبودية» التي عندي: «فهو». ولعل الأصح ما أثبتُّه؛ إذ لا يستقيم السياق إلا بذلك أو نحوه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

تعالىٰ أنه قال: «**من تقرَّب إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً**»(١).

وقد أخبر ـ سبحانه ـ أنه يحبُّ المتقين والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين، ويحبُّ المتطهرين؛ بل هو يحبُّ مَن فعل ما أَمَر به من واجب ومستحب، كما في الحديث الإلٰهي الصحيح: «**لا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به...**» الحديث(٢).

وكثيرٌ من المخطئين الذين ابتدعوا أشياخًا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارىٰ من دعوىٰ المحبة للَّه، مع مخالفةِ شريعته، وتركِ المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسَّكون في الدين الذي يتقربون به إلىٰ اللَّه بنحو ما تمسَّك به النصارىٰ من الكلام المتشابه، والحكاياتِ التي لا يُعرف صدقُ قائلها، ولو صدق لم يكن قائلُها معصومًا، فيجعلون متبوعيهم شارعِينَ لهم دينًا، كما جَعل النصارىٰ قسِّيسِيهِم ورهبانَهم شارعين لهم دينًا، ثم إنهم ينتقصون العبودية، ويدَّعون أن الخاصةَ يتعدَّونها، كما يدَّعي النصارىٰ في المسيح، ويُثبتون للخاصة من المشاركة في(٣) اللَّه من جنس ما تُثبته النصارىٰ في المسيح وأمه، إلىٰ أنواعٍ أُخَر يطول

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) **صحيح بشواهده**: رواه البخاري (٦٥٠٢)، وابن حبان (٣٤٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ. والحديث حوله كلام. فانظر «الصحيحة»، للشيخ الألباني (١٨٤/٤)، و«تحقيق صحيح ابن حبان»، للشيخ شعيب الأرنؤوط (٥٨/٢)، و«إتحاف السادة المتقين» للزَّبيدي (٦٦٥/١).

(٣) كذا في سائر المطبوعات «في»، ولعلها: «مع». واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

شرحها في هذا الموضع.

وإنما دينُ الحقِّ هو تحقيق العبودية للَّه بكل وجه، وهو تحقيق محبة اللَّه بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمُل محبةُ العبد لربه، وتكمل محبة الربِّ لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا.

وكلما كان في القلب حبٌّ لغير اللَّه كانت فيه عبوديةٌ لغير اللَّه بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبوديةٌ لغير اللَّه كان فيه حبٌّ لغير اللَّه بحسب ذلك، وكل محبةٍ لا تكون للَّه فهي باطلة، وكل عملٍ لا يُراد به وجهُ اللَّه فهو باطل، فالدنيا ملعونةٌ ملعون ما فيها إلا ما كان للَّه[1]، ولا يكون للَّه إلا ما أحبَّه اللَّه ورسوله، وهو المشروع،

(١) انظر الحديث **الحسن**: الذي رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والدارمي (٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٦/٤)، والبزار (١٤٤/٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٥٥/١)، **وجوَّده** العلَّامة ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١٢٥/٢)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيقه» (١٢٦/٢)، وفي تحقيق «سنن ابن ماجه» (٢٣١/٥)، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧). بينما **ضعَّفه** أئمةٌ آخرون؛ فانظر: «ضعفاء العقيلي» (٣٢٦/٢)، و«العلل المتناهية» لابن الجوزي (٧٩٦/٢). و«علل الدارقطني» (٨٩/٥)، و«علل ابن أبي حاتم» (١٢٤/٢)، و«جامع العلوم والحكم» (٥٥٩).

ولفظ الحديث: «**الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكرَ اللَّه وما والاه، وعالمٌ أو متعلم**».

وهناك **روايةٌ ضعيفةٌ** رواها البيهقي في «الزهد الكبير» (٢٣٥ ـ تهذيبي)، وفي «الشعب» (١٠٠٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٥٧/٣)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٧٧)، وفي «الزهد» (٦٥)، من حديث جابر بن عبداللَّه =

فكلُّ عمل أُريد به غير اللَّه لم يكن للَّه، وكل عمل لا يوافقُ شرع اللَّه لم يكن للَّه؛ بل لا يكون للَّه إلا ما جمع الوصفين: أن يكون للَّه، وأن يكون موافقًا لمحبة اللَّه ورسوله، وهو الواجب والمستحب، كما قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فلابد من العمل الصالح ـ وهو الواجب، والمستحب ـ، ولابد أن يكون خالصًا لوجه اللَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوىٰ، فمن كانت هجرتُه إلىٰ اللَّه ورسوله، فهجرته إلىٰ اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرتُه إلىٰ ما هاجر إليه**»(٢).

وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيقُ الدين، وبه أَرسل اللَّه الرسل، وأنزل الكتب، وإليه دعا الرسول، وعليه جاهد، وبه أَمَر، وفيه رغَّب، وهو قطبُ الدين الذي تدورُ عليه رحاه.

= ﷺ. **واستغربه** الإمام أبو نُعيم، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠١٩).

ولفظه: «**الدنيا ملعونٌ ما فيها، إلا ما كان منها للَّه ﷻ**».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

والشركُ غالبٌ علىٰ النفوس، وهو ـ كما جاء في الحديث ـ: «في[١] **هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل**»[٢].

وفي حديثٍ آخر: قال أبو بكر: يا رسول اللَّه، كيف ننجو منه وهو أخفىٰ من دبيب النمل؟ فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أَلَا أُعلِّمُك كلمةً إذا قلتَها نجوتَ من دِقِّهِ وجِلِّه؟ قل: اللهم إني أعوذُ بك أن أُشرِكَ بك وأنا أعلم، وأستغفرُك لما لا أعلم**»[٣].

▫ وكان عمر يقول في دعائه: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا».

وكثيرًا ما يخالط النفوسَ من الشهوات الخفية ما يُفسد عليها تحقيق محبتها للَّه، وعبوديتها له، وإخلاص دينها له.

▫ كما قال شداد بن أوس: «يا نعايا العرب[٤]، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية».

قيل لأبي داود السِّجستاني: «وما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة».

وعن كعب بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبانِ جائعان أُرسلا في زَريبةِ غنمٍ بأفسدَ لها مِن حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه**».

(١) في المطبوع: «وهو في»، ولعل الأصحَّ حذف «هو»، لتقدُّمِها.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) كلمة تدلُّ علىٰ الحزن والإشفاق. ولها عدةُ معانٍ، فانظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١٦٩/٤)، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/٤)، وكذا الأثر رقم (٣١٢) من «الزهد الكبير» للبيهقي، تهذيبي.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[(١)].

فبيَّن ﷺ أن الحرص علىٰ المال والشرف في إفساد الدين لا ينقُص عن إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بيِّن؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص؛ وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته للَّه، ومحبته له= لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من ذلك حتىٰ يُقدِّمَه عليه، وبذلك يُصرف عن أهل الإخلاص للَّه السوء والفحشاء، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ[(٢)] ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]؛ فإن المخلِصَ للَّه ذاق من حلاوة عبوديته للَّه ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته للَّه ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلىٰ ولا ألذ ولا أطيب ولا أسرَّ ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته للَّه، ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلىٰ اللَّه؛ فيصير القلبُ منيبًا إلىٰ اللَّه، خائفًا منه، راغبًا راهبًا، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق]؛ إذ المُحِبُّ يخاف من زوال مطلوبه و[عدم] حصول مرغوبه، فلا يكون عبدُ اللَّه ومحبُّه

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤٥٦/٣)، والترمذي (٢٣٧٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٧٩٦)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨١ ـ زيادات نعيم بن حماد)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨٩/١٩)، والبيهقي في «الآداب» (٩٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٥٤). وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وأقره** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١٧٤/٣)، **وصححه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٨٥/٢٥)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٢) هذه القراءة هي التي توافق كلام الإمام القادم.

إلا بين خوف ورجاء، قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان العبد مخلصًا للَّه اجتباه ربه؛ فأحيا قلبه، واجتذبه إليه؛ فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يُخلص للَّه؛ فإنه في طلبٍ وإرادةٍ وحبٍّ مطلق، فيهوىٰ ما يَسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أيُّ نسيمٍ مرَّ به عَطَفه[1] وأماله[2]:

- فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقىٰ أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًّا.

- وتارةً يجتذبه الشرف والرئاسة، فتُرضيه الكلمة، وتُغضبه الكلمة، ويستعبده من يُثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمُّه ولو بالحق.

- وتارةً يستعبده الدرهم والدينار.

وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوبُ تهواها؛ فيتخذ إلٰهه هواه، ويتبع هواه بغير هدًىٰ من اللَّه.

ومن لم يكن خالصًا للَّه عبدًا له، قد صار قلبه معبَّدًا لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون اللَّهُ أحبَّ إليه من كل ما سواه، ويكون ذليلًا له خاضعًا= وإلا استعبدته الكائنات، واستولت علىٰ قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء

(١) **عطفه**: جعله ينحني.

(٢) في نسخة: «مرَّ بعِطفه وأماله». **والعِطْف**: الجانب.

والفحشاء ما لا يعلمه إلا اللَّه، وهذا أمرٌ ضروري لا حيلة فيه، فالقلب إن لم يكن حنيفًا مقبلًا علىٰ اللَّه معرضًا عما سواه، وإلا كان مشركًا؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وقد جعل اللَّه ـ سبحانه ـ إبراهيم وآل إبراهيم أئمةً لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهلِ محبة اللَّه وعبادته وإخلاص الدين له، كما جَعل فرعون وآل فرعون أئمةَ المشركين المتبعين أهواءهم.

قال تعالىٰ في إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ(١) وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال في فرعون وقومه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

ولهذا يصير أتباعُ فرعون أولًا إلىٰ ألَّا يميِّزوا بين ما يحبُّه اللَّه ويرضاه، وبين ما قدَّر اللَّه وقضاه؛ بل ينظرون إلىٰ المشيئة المطلقة

(١) قال مجاهد وعطاء رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: معنىٰ النافلة: العطية، وهما جميعًا من عطاء اللَّه، ﴿نَافِلَةً﴾ يعني عطاءً. قال الحسن والضحاك: فضلًا. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب؛ لأن اللَّه ﷻ أعطاه إسحاق بدعائه؛ حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات]، وزاد يعقوب ولد الولد، والنافلة الزيادة. اهـ. «تفسير البغوي».

الشاملة، ثم في آخر الأمر لا يميِّزون بين الخالق والمخلوق؛ بل يجعلون وجود هذا وجود هذا، ويقول محققوهم: «الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية»!

وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق، وأنكروا تكليمه لعبده موسىٰ وما أرسله به من الأمر والنهي.



فصل

وأما إبراهيمُ وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم، فهم يعلمون أنه لابد من الفرق بين الخالق والمخلوق، ولابد من الفرق بين الطاعة والمعصية، وأن العبد كلما ازداد تحقيقًا لهذا الفرق ازدادت محبته للَّه وعبوديته له وطاعته له، وإعراضُه عن عبادة غيره ومحبةِ غيره وطاعة غيره. وهؤلاء المشركون الضالون يُسوُّون بين اللَّه وبين خلقه، والخليل يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشائخ كما فعلت النصارىٰ.

[أقسام الفناء]:

مثال ذلك اسم «الفناء»؛ فإن الفناء ثلاثة أنواع:

- نوعٌ للكاملين من الأنبياء والأولياء.
- ونوعٌ للقاصدين من الأولياء والصالحين.
- ونوعٌ للمنافقين الملحدين المشبهين.

فأما الأول: فهو الفناء عن إرادة ما سوىٰ اللَّه، بحيث لا يحبُّ إلا اللَّه، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكلُ إلا عليه، ولا يطلب من غيره، وهو المعنىٰ الذي يجب أن يُقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال: «أُريدُ ألَّا أُريد إلا ما يريد»، أي المرادَ المحبوبَ المَرْضيَّ، وهو المراد بالإرادة الدينية. وكمالُ العبد ألَّا يريد ولا يحبَّ ولا يرضىٰ إلا ما أراده اللَّه ورضيه وأحبه، وهو ما أَمَر به أَمْرَ إيجاب أو

استحباب، ولا يحبُّ إلا ما يحبُّه اللَّه كالملائكة والأنبياء والصالحين. وهذا معنىٰ قولهم في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، قالوا: «هو السليم مما سوىٰ اللَّه، أو مما سوىٰ عبادة اللَّه، أو مما سوىٰ إرادة اللَّه، أو مما سوىٰ محبة اللَّه»، فالمعنىٰ واحد، وهذا المعنىٰ إن سُمي «فناءً» أو لم يسمَّ هو أول الإسلام وآخره، وباطنُ الدين وظاهره.

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السِّوَىٰ، وهذا يحصُل لكثيرٍ من السالكين؛ فإنهم لفرطِ انجذاب قلوبهم إلىٰ ذكر اللَّه وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غيرَ ما تعبد وترىٰ غير ما تقصد= لا يخطر بقلوبهم غيرُ اللَّه؛ بل لا يشعرون إلا به، كما قيل في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]، قالوا: «فارغًا من كل شيءٍ إلا من ذكر موسىٰ»، وهذا كثيرٌ يعرض لمن دَهَمَه[1] أمر من الأمور ـ إما حب وإما خوف وإما رجاء ـ؛ يبقىٰ قلبه منصرفًا عن كل شيء إلا عما قد أحبَّه أو خافه أو طلبه، بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره.

فإذا قَوِيَ علىٰ صاحب الفناء هذا، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذِكْره، وبمعروفه عن معرفته، حتىٰ يفنىٰ من لم يكن ـ وهي المخلوقات المعبَّدة ممن سواه ـ، ويبقىٰ من لم يزل ـ وهو الربُّ تعالىٰ ـ، والمراد فَناؤُها في شهود العبد وذكره، وفناؤه عن أن يدركَها أو يشهدها.

(١) دَهَمَه: فاجأه وهجم عليه.

وإذا قَوِيَ هذا ضعُف المحبُّ حتىٰ اضطرب في تمييزه؛ فقد يظن أنه هو محبوبُه.

▫ كما يُذكر: «أن رجلًا ألقىٰ نفسه في اليم، فألقىٰ محبُّه نفسه خلفه، فقال: أنا وقعتُ؛ فما أوقعك خلفي؟ قال: غبتُ بك عني، فظننت أنك أني».

وهذا الموضع زلَّ فيه أقوام، وظنوا أنه اتحاد، وأن المحب يتحدُ بالمحبوب حتىٰ لا يكون بينهما فرقٌ في نفس وجودهما! وهذا غلطٌ، فإن الخالق لا يتَّحدُ به شيء أصلًا؛ بل لا يتحد شيءٌ بشيءٍ إلَّا إذا استحالا[1] وفسدت حقيقة كل منهما، وحَصَل من اتحادهما أمرٌ ثالث ـ لا هو هذا ولا هذا ـ، كما إذا اتحد الماءُ واللبن، والماء والخمر، ونحو ذلك، ولكن يتحد المراد المحبوب والمكروه، ويتفقان في نوع الإرادة والكراهة، فيُحبُّ هذا ما يحبُّ هذا. ويُبغض هذا ما يبغض هذا، ويرضىٰ ما يرضىٰ، ويَسخطُ ما يسخط، ويكره ما يكره، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، وهذا الفناء كلُّه فيه نقص.

وأكابر الأولياء ـ كأبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ـ لم يقعوا في هذا الفناء، فضلًا عمن هو فوقهم من الأنبياء، وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة. وكذلك كلُّ ما كان من هذا النمط مما فيه غَيبةُ العقل وعدم التمييز لما يَرِدُ علىٰ القلب من أحوال الإيمان؛ فإن الصحابة ﷺ كانوا أكمل وأقوىٰ وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم

(١) **استحالا**: تحوَّلا.

غَشْيٌ أو صَعْقٌ أو سُكرٌ أو فناءٌ أو وَلَهٌ[١] أو جنون، وإنما كان مبادئُ هذه الأمور في التابعين من عُباد البصرة؛ فإنه كان فيهم من يُغشىٰ عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت؛ كأبي جُهير الضرير وزرارة بن أوفىٰ قاضي البصرة.

وكذلك صار في شيوخ الصوفية مَن يَعرض له من الفناء والسُّكر ما يَضعُفُ معه تمييزه، حتىٰ يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالطٌ فيه، كما يُحكىٰ نحو ذلك عن مثل أبي يزيد، وأبي الحسين النُّوري، وأبي بكر الشِّبلي، وأمثالهم، بخلاف أبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والفضيل بن عياض؛ بل وبخلاف الجنيد وأمثالهم، ممن كانت عقولُهم وتمييزُهم يصحبُهم في أحوالهم؛ فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه؛ بل الكُمَّلُ تكون قلوبُهم ليس فيها سوىٰ محبة اللَّه وإرادته وعبادته، وعندهم من سعةِ العلم والتمييز ما يشهدون به الأمورَ علىٰ ما هي عليه؛ بل يشهدون المخلوقات قائمةً بأمر اللَّه مدبَّرةً بمشيئته؛ بل مستجيبةً له قانتةً له، فيكون لهم فيها تبصرةٌ وذكرىٰ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيِّدًا ومُمدًّا لما في قلوبهم من إخلاصِ الدين، وتجريدِ التوحيد له، والعبادةِ له وحده لا شريك له.

وهذه [هي] الحقيقة التي دعا إليها القرآن، وقام بها أهلُ تحقيق الإيمان، والكُمَّلُ من أهل العرفان. ونبيُّنا ﷺ إمامُ هؤلاء وأكملهم؛ ولهذا لما عُرج به إلىٰ السماوات، وعاين ما هنالك من الآيات، وأُوحي إليه ما أُوحيَ من أنواع المناجاة، أصبح فيهم وهو لم يتغيَّر

(١) **الوَلَه**: الحيرة والدهش.

حاله، ولا ظهر عليه ذلك، بخلاف ما كان يظهرُ علىٰ موسىٰ من التغشِّي ـ صلىٰ اللَّه عليهم وسلم أجمعين ـ.

وأما النوع الثالث ـ مما قد يسمىٰ فَناءً ـ: فهو أن يشهد ألَّا موجود إلَّا اللَّه، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد! فهذا فناءُ أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد.

وهذا يبرأُ منه المشائخ المستقيمون[1]؛ فإذا قال أحدهم: «ما أرىٰ غير اللَّه»، أو: «لا أنظر إلىٰ غير اللَّه»، ونحو ذلك، فمرادهم بذلك: ما أرىٰ ربًّا غيره، ولا خالقًا غيره، ولا مدبِّرًا غيره، ولا إلٰهًا غيره، ولا أنظر إلىٰ غيره محبةً له، أو خوفًا منه، أو رجاءً له؛ فإنَّ العين تنظر إلىٰ ما يتعلق به القلب، فمن أحب شيئًا أو رجاه أو خافه التفت إليه، وإذا لم يكن في القلب محبةٌ له، ولا رجاءٌ له، ولا خوفٌ منه، ولا بغضٌ له، ولا غير ذلك من تعلُّق القلب له= لم يَقصد القلبُ أن يلتفت إليه، ولا أن ينظر إليه، ولا أن يراه. وإن رآه اتفاقًا رؤيةً مجردةً كان كما لو رأىٰ حائطًا ونحوه مما ليس في قلبه تعلقٌ به.

والمشائخ الصالحون ﷺ يذكرون شيئًا من تجريد التوحيد، وتحقيق إخلاص الدين كله؛ بحيث لا يكون العبدُ ملتفتًا إلىٰ غير اللَّه، ولا ناظرًا إلىٰ ما سواه؛ لا حبًّا له، ولا خوفًا منه، ولا رجاءً له؛ بل يكون القلب فارغًا من المخلوقات خاليًا منها، لا ينظر إليها إلا بنور اللَّه، فبالحق يسمع، وبالحق يبصر، وبالحق يَبطش، وبالحق

(١) راجع التعليق علىٰ مثل هذا (٣/١٠٤).

يمشي، فيُحب منها ما يحبُّه اللَّه، ويُبغض منها ما يُبغضه اللَّه، ويوالي منها ما والاه اللَّه، ويُعادي منها ما عاداه اللَّه، ويخاف اللَّهَ فيها، ولا يخافها في اللَّه، ويرجو اللَّه فيها، ولا يرجوها في اللَّه، فهذا هو القلب السليم، الحنيف، الموحِّد، المسلم، المؤمن، المحقق، العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين، وبحقيقتهم وتوحيدهم.

وأما النوع الثالث ـ وهو الفناء في الموجود ـ، فهو تحقيق آل فرعون، ومعرفتهم وتوحيدهم ـ كالقرامطة وأمثالهم ـ.

وأما النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو الفناء المحمود، الذي يكون صاحبه به ممن أثنىٰ اللَّه عليهم من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وجُنده الغالبين.

وليس مراد المشائخ والصالحين بهذا القول: أن الذي أراه بعيني من المخلوقات هو رب الأرض والسماوات؛ فإن هذا لا يقوله إلَّا من هو في غاية الضلال والفساد ـ إما فساد العقل، وإما فساد الاعتقاد ـ؛ فهو متردِّدٌ بين الجنون والإلحاد.

وكلُّ المشائخ الذين يُقتدىٰ بهم في الدين متفقون علىٰ ما اتفق عليه سلفُ الأمة وأئمتها، من أن الخالق ـ سبحانه ـ مباينٌ للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييزُ الخالق عن المخلوق. وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذِكرُه هنا.

وهم قد تكلموا علىٰ ما يَعرض للقلوب من الأمراض والشبهات، فإن بعض الناس قد يشهد وجودَ المخلوقات، فيظنه خالقَ الأرض والسماوات؛ لعدم التمييز والفرقان في قلبه؛ بمنزلة من رأىٰ شعاع الشمس، فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء!

وهم قد يتكلمون في الفَرْق والجَمْع، ويدخل في ذلك من العبارات المُختلفة نظير ما دخل في الفناء؛ فإن العبد إذا شهد التفرقةَ والكثرةَ في المخلوقات يبقىٰ قلبُه متعلقًا بها، متشتتًا ناظرًا إليها متعلقًا بها، إما محبةً، وإما خوفًا، وإما رجاءً، فإذا انتقل إلىٰ الجمع اجتمع قلبُه علىٰ توحيد اللَّه وعبادته وحده لا شريك له، فالتفت قلبُه إلىٰ اللَّه بعد التفاته إلىٰ المخلوقين؛ فصارت محبتُه لربِّه، وخوفُه من ربه، ورجاؤه لربه، واستعانتُه بربه، وهو في هذا الحال قد لا يسعُ قلبَه النظرُ إلىٰ المخلوق؛ ليفرِّق بين الخالق والمخلوق؛ فقد يكون مجتمعًا علىٰ الحق معرضًا عن الخلق نظرًا وقصدًا، وهو نظيرُ النوع الثاني من الفناء.

ولكن بعد ذلك الفرق الثاني، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمةٌ باللَّه، مدبَّرةٌ بأمره، ويشهد كثرتها معدومةً بوحدانية اللَّه ﷻ، وأنه - سبحانه - ربُّ المصنوعات وإلٰهُها وخالقها ومالكها، فيكون مع اجتماع قلبه علىٰ اللَّه - إخلاصًا له ومحبةً وخوفًا ورجاءً واستعانةً وتوكلًا علىٰ اللَّه وموالاةً فيه، ومعاداةً فيه وأمثال ذلك - ناظرًا إلىٰ الفرق بين الخالق والمخلوق، مميِّزًا بين هذا وهذا، ويشهدُ تفرُّقَ المخلوقات وكثرتها مع شهادته أن اللَّه ربُّ كل شيءٍ ومليكُه وخالقه، وأنه هو اللَّه لا إلٰه إلا هو، وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم؛ وذلك واجبٌ في علم القلب، وشهادتِه وذِكْره ومعرفته، وفي حال القلب وعبادته، وقصده وإرادته، ومحبته وموالاته وطاعته.

وذلك تحقيق شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه؛ فإنه تنفي عن قلبه ألوهيةَ ما سوىٰ الحق، وتُثبت في قلبه ألوهية الحق، فيكون نافيًا لألوهية كلِّ شيء من المخلوقات، مُثبتًا لألوهية رب العالمين رب الأرض

والسماوات، وذلك يتضمن اجتماعَ القلب علىٰ اللَّه، وعلىٰ مفارقةِ ما سواه، فيكون مفرِّقًا ـ في علمه وقصده، في شهادته وإرادتِه، في معرفته ومحبته ـ بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالمًا باللَّه تعالىٰ ذاكرًا له عارفًا به، وهو مع ذلك عالمٌ بمُباينته لخلقه، وانفرادِه عنهم، وتوحُّدِه دونَهم، ويكونُ مُحِبًّا للَّه، معظِّمًا له، عابدًا له، راجيًا له، خائفًا منه، محبًّا فيه، مواليًا فيه، معاديًا فيه، مستعينًا به، متوكلًا عليه، ممتنعًا عن عبادة غيره، والتوكلِ عليه، والاستعانةِ به، والخوف منه، والرجاء له، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والطاعة لأمره، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلٰهية اللَّه ﷻ.

وإقرارُه بألوهية اللَّه تعالىٰ دون ما سواه يتضمنُ إقرارَه بربوبيته؛ وهو أنه ربُّ كل شيء ومليكُه، وخالقُه ومدبره، فحينئذٍ يكون موحدًا للَّه.

🕮 [الذِّكرُ الشرعي، والذِّكر البدعي]:

ويبيِّن ذلك أن أفضل الذكر: لا إلٰه إلا اللَّه، كما رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وغيرهما مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الذكر: لا إلٰه إلا اللَّه، وأفضل الدعاء: الحمد للَّه**»(١).

(١) **حسن**: رواه التِّرمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حِبَّان (٨٤٦)، والحاكم (٤٩٨/١)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٤٠٦١)، وفي «الأسماء والصفات» (١٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٣)، و«الدعوات الكبير» (١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٣)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٧)، من حديث جابر ابن عبداللَّه ﷺ. وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا **أقرَّه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٣٥٠)، **وحسَّنه** =

وفي «الموطأ» ـ وغيره ـ عن طلحة بن عبيداللَّه بن كَريز أن النبي ﷺ قال: «**أفضلُ ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير**»(١).

ومَن زعم أن هذا ذِكرُ العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذِكرَ خاصة الخاصة هو الاسم المضمَر= فهم ضالُّون غالطون.

واحتجاجُ بعضهم علىٰ ذلك، بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام]، مِن أبين غلطِ هؤلاء؛ فإن الاسم «اللَّه» هو مذكورٌ في الأمر بجواب الاستفهام؛ وهو قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ

= الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٩٧)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (١٤/٦).

(١) **حسن**: رواه مالك (٢١٤/١)، وعبدالرزاق (٨١٢٥). وهو مرسلٌ صحيحُ الإسناد، لكنه يبقىٰ **ضعيفًا** لعلة الإرسال.
ووصله ابن عدي في «الكامل» (١٦٠٠/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٧٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ، **واستنكره** ابن عدي ـ كما في «تحقيق مسند الإمام أحمد» (٥٤٩/١١) ـ.
لكن المتن ثابتٌ؛ يشهد له رواية عبداللَّه بن عمرو ﷺ بلفظ: «**خير الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلكُ وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير**». **حسن**: رواه أحمد (٢١٠/٢)، والتِّرمذي (٣٥٨٥) ـ واللفظ له ـ، والبيهقي في «الشُّعَب» (٣٤٨٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠٣/٧)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢)، والمحاملي في «الدعاء» (٦٠)، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١٨١/٦).

بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ، فالاسم «اللَّهُ» مبتدأ، وخبره قد دل عليه الاستفهام، كما في نظائر ذلك؛ تقول: «من جاره؟ فيقول: زيد».

وأما الاسم المفرد ـ مظهَرًا أو مضمَرًا ـ فليس بكلامٍ تام، ولا جملةٍ مفيدة، ولا يتعلق به إيمانٌ ولا كفر، ولا أمرٌ ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحدٌ من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسولُ اللَّه ﷺ، ولا يعطي القلبَ بنفسه معرفةً مفيدةً، ولا حالًا نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يُحكم عليه بنفيٍ ولا إثبات، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلَّا لم يكن فيه فائدة. والشريعة إنما تَشرع من الأذكار ما يُفيدُ بنفسه، لا ما تكون الفائدةُ حاصلةً بغيره.

وقد وقع بعضُ مَن واظب علىٰ هذا الذكر في فنونٍ من الإلحاد، وأنواعٍ من الاتحاد، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

وما يُذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: «أخاف أن أموت بين النفي والإثبات» حالٌ لا يقتدىٰ فيها بصاحبها؛ فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به؛ إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمُت إلا علىٰ ما قصده ونواه؛ إذ الأعمال بالنيات.

وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت «لا إلٰه إلا اللَّه»، وقال: «**من كان آخرَ كلامه لا إلٰه إلا اللَّه دخل الجنة**»[(١)]، ولو كان ما ذكره محذورًا لم يلقَّن الميت كلمةً يَخاف أن يموت في أثنائها موتًا غير محمود؛ بل كان يلقَّن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعدُ عن السُّنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلىٰ إضلال الشيطان؛ فإن من قال: «يا هو يا هو، أو: هو هو» ـ ونحو ذلك ـ لم يكن الضمير عائدًا إلَّا إلىٰ ما يصوِّرُه قلبه، والقلبُ قد يهتدي وقد يضل. وقد صنف صاحب «الفصوص» كتابًا سماه كتاب «الهُوَ»، وزعم بعضهم أن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، معناه: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو «الهو»! وإن كان مما اتفق المسلمون ـ بل العقلاء ـ علىٰ أنه من أبين الباطل، فقد يظن ذلك من يَظنه من هؤلاء، حتىٰ قلتُ مرةً لبعض من قال شيئًا من ذلك: لو كان هذا كما قلتَه لكُتبت الآية: «وما يعلم تأويل هو» ـ منفصلة ـ.

ثم كثيرًا ما يذكر بعضُ الشيوخ أنه يحتجُّ علىٰ قول القائل: «اللَّه»[1] بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾، ويظن أن اللَّه أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد! وهذا غلطٌ باتفاق أهل العلم؛ فإن قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ معناه: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ، وهو جواب لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: اللَّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ؛ ردَّ بذلك قول من قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، فقال: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ هؤلاء المكذبين ﴿فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

ومما يبين ما تقدم: ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن

(١) يقصد الذكر بالاسم المفرد.

العرب يحكون بالقول ما كان كلامًا، لا يحكون به ما كان قولًا، فالقولُ لا يُحكىٰ به إلا كلامٌ تامٌّ، أو جملةٌ اسميةٌ أو فعلية؛ ولهذا يكسرون «إن» إذا جاءت بعد القول، فالقولُ لا يُحكىٰ به اسم، واللَّهُ تعالىٰ لا يأمر أحدًا بذكر اسم مفرد، ولا شرع للمسلمين اسمًا مفردًا مجردًا، والاسم المجرد لا يُفيد شيئًا من الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات.

ونظيرُ من اقتصر علىٰ الاسم المفرد:

▫ ما يُذكر أن بعض الأعراب مرَّ بمؤذن يقول: «أشهد أن محمدًا رسولَ اللَّه» ـ بالنصب ـ، فقال: «ماذا يقول هذا؟ هذا الاسم، فأين الخبرُ عنه الذي يَتمُّ به الكلام؟».

وما في القرآن من قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل]، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة]، ونحو ذلك= لا يقتضي ذكره مفردًا؛ بل في السنن أنه لما نزل قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قال: «**اجعلوها في ركوعكم**». ولما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**»[(١)].

(١) **حسن**: رواه أحمد (١٥٥/٤)، والطيالسي (١٠٠٠)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، والدارمي (١٣٠٥)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٥٠٢/٢)، وأبو يعلىٰ (١٧٣٨)، وابن خزيمة (٦٠٠)، وابن حِبَّان (١٨٩٨)، والحاكم (٢٢٥/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٢٢/٢)، وفي «المعرفة» (٣٣٨٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٣٥/١)، =

فشرع لهم أن يقولوا في الركوع: «سبحان ربي العظيم»، وفي السجود «سبحان ربي الأعلىٰ».

وفي «الصحيح» أنه كان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلىٰ**»[(١)]، وهذا هو معنىٰ قوله: «**اجعلوها في ركوعكم**» و«**سجودكم**» باتفاق المسلمين.

فتسبيحُ اسمِ ربِّه الأعلىٰ، وذِكرُ اسم ربه ـ ونحو ذلك ـ هو بالكلام التام المفيد.

كما في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع ـ وهنَّ من القرآن ـ: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّه أكبر**»[(٢)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**كلمتانِ خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلىٰ الرَّحمٰن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»[(٣)].

= والطبراني في «الكبير» (٨٨٩/١٧)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦/ ١١٩)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عند أبي داود، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١٥١/٢).

(١) رواه مسلم (٧٧٢)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧) ـ بنحوه ـ، وأحمد (١٠/٥) ـ واللفظ له ـ. من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه. وعلقه البخاري (قبل الحديث: ٦٦٨١). ورواية مسلم: «**أحبُّ الكلام إلىٰ اللَّه أربعٌ: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّه أكبر. لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ**».

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**من قال في يومه مئةَ مرة: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، كَتب اللَّه له حِرْزًا من الشيطان يومَه ذلك حتىٰ يُمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به، إلا رجلٌ قال مثلما قال أو زاد عليه. ومن قال في يومه مِئةَ مرة: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم، حُطَّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البحر**»(١).

وفي «الموطأ» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضلُ ما قلته أنا والنبيُّون من قبلي: لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير**»(٢).

وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه ﷺ أنه قال: «**أفضل الذِّكر: لا إلٰه إلا اللَّه، وأفضل الدعاء: الحمد للَّه**»(٣).

ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء.

وكذلك ما في القرآن من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]، إنما هو قول: «بسم اللَّه»، وهذا جملةٌ تامة ـ إما

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
تنبيه: ليست جملة: «**سبحان اللَّه العظيم**» ثابتةً في هذا الحديث، وهي ثابتةٌ هكذا في «الفتاوىٰ» (١٠/٢٣٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/٢١٣)، ونسخ كتاب «العبودية»، وقد أعاد الإمام ابن تيمية رحمه الله الحديث في مواضع أخرىٰ من كتاباته، وليست فيه هذه الزيادة، فانظر ـ مثلًا ـ: «مجموع الفتاوىٰ» (١٤/٤١٨).

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

(٣) **حسن**: وقد تقدم.

اسميةٌ علىٰ أظهر قولي النحاة، أو فعلية ـ، والتقدير: «ذبحي باسم اللَّه»، أو «أذبح باسم اللَّه»، وكذلك قول القارئ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فتقديره: «قراءتي بسم اللَّه»، أو «أقرأ بسم اللَّه».

ومِن الناس من يُضمر في مثل هذا: «ابتدائي بسم اللَّه»، أو «ابتدأت بسم اللَّه»[١]. والأول أحسن؛ لأن الفعل كله مفعولُ «بسم اللَّه»، ليس مجرد ابتدائه، كما أظهر المضمر في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، وفي قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

وفي قول النبي ﷺ: «**مَن كان ذبح قبل الصلاة فليذبحْ مكانها أخرىٰ. ومن لم يكن ذبح فليذبَحْ بسم اللَّه**»[٢].

ومن هذا الباب قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لربيبه[٣] عمر بن أبي سلمة: «**سمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكل مما يَليك**»[٤].

فالمراد أن يقول: «بسم اللَّه»، ليس المراد أن يذكر الاسم مجردًا.

وكذلك قولُه في الحديث الصحيح لعديِّ بن حاتم: «**إذا أرسلتَ كلبك المعلَّم، وذكرتَ اسم اللَّه= فكُلْ**»[٥].

(١) يقصد الإمام أنهم يضمرون «الابتداء» مطلقًا، دون بيان ما يُبتدأُ به، من قراءةٍ أو ذبحٍ أو غير ذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) رواه البخاري (٥٥٠٠)، ومسلم (١٩٦٠)، من حديث جندب البجلي رضي الله عنه.

(٣) **ربيبه**: الذي تربَّىٰ في بيته ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري (٥٤٧٦)، ومسلم (١٩٢٩)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا دخل الرجلُ منزله؛ فذكر اسم اللَّه عند دخوله، وعند خروجه وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عَشاء**»(١).

وأمثال ذلك كثير.

وكذلك ما شُرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجِّهم وأعيادهم من ذكر اللَّه تعالىٰ، إنما هو بالجملة التامة؛ كقول المؤذن: «اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، أشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه، أشهد أن محمدًا رسول اللَّه»، وقول المصلي: «اللَّه أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلىٰ، سمع اللَّه لمن حمده، ربنا ولك الحمد، التحيات للَّه»، وقول الملبِّي: «لبيك اللهم لبيك»، وأمثال ذلك، فجميع ما شرعه اللَّه من الذكر إنما هو كلامٌ تامٌّ، لا اسمٌ مفرد ـ لا مظهَرٌ ولا مضمر ـ، وهذا هو الذي يسمَّىٰ في اللغة «كلمة»؛ كقوله: «**كلمتانِ خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلىٰ الرَّحمٰن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»(٢).

وقوله: «**أفضلُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمة لَبيد: أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللَّه باطل**»(٣).

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ الآية [الكهف: ٥]، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأمثال ذلك مما استُعمل فيه لفظ «الكلمة» في الكتاب والسنة ـ بل وسائر كلام

(١) رواه مسلم (٢١٠٨)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العرب ـ؛ فإنما يُراد به الجملة التامة، كما كانوا يستعملون «الحَرْف» في الاسم، فيقولون: «هذا حرف غريب»، أي: لفظ الاسم غريب.

وقسَّم سيبويه الكلام إلىٰ: «اسم، وفعل، وحرفٍ جاء لمعنًىٰ، ليس باسم وفعل»، وكلٌّ من هذه الأقسام يسمىٰ حرفًا، لكنَّ خاصةَ الثالث أنه حرفٌ جاء لمعنًىٰ ليس باسم ولا فعل، وسمىٰ حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء، ولفظ «الحرف» يتناول هذه الأسماءَ وغيرها، كما قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشرُ حسنات؛ أمَا إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميم حرف**»[(١)].

وقد سأل الخليلُ أصحابه عن النطق بحرف الزاي من «زيد»؛ فقالوا: زاي، فقال: جئتم بالاسم، وإنما الحرف «زَ».

ثم إن النحاة اصطلحوا علىٰ أن هذا المسمىٰ في اللغة بـ«الحرف» يسمىٰ «كلمةً»، وأن لفظ «الحرف» يَخص ما جاء لمعنًىٰ ليس باسم ولا فعل، كحروف الجر ونحوها، وأما ألفاظُ حروف الهجاء فيعبَّر تارةً بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ، وتارةً باسم ذلك الحرف، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يَتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب، ومنهم من يجعل لفظ «الكلمة» في اللغة لفظًا مشتركًا بين

(١) **حسن**: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢١٦/١)، والتِّرمذي (٢٩١٠)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (٢٠٤)، والحاكم (٥٥٥/١)، والخطيب في «التاريخ» (١١١/٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال التِّرمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (١٧٦/٥)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» (١١١/٢).

الاسم ـ مثلًا ـ وبين الجملة، ولا يُعرف في صريح اللغة من لفظ «الكلمة» إلا الجملة التامة.

والمقصود هنا: أن المشروع في ذكر اللَّه ـ سبحانه ـ هو ذكره بجملةٍ تامة ـ وهو المسمىٰ بـ«الكلام»، والواحد منه بـ«الكلمة» ـ، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، والقرب إلىٰ اللَّه، ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية، وأما الاقتصار علىٰ الاسم المفرد ـ مظهرًا أو مضمرًا ـ فلا أصل له؛ فضلًا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين؛ بل هو وسيلةٌ إلىٰ أنواع من البدع والضلالات، وذريعةٌ إلىٰ تصوراتٍ وأحوالٍ فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد، كما قد بُسط الكلام عليه في غير هذا الموضع.



فصل

وجماعُ الدين أصلان: ألَّا نعبد إلا اللَّه، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وشهادة أن محمدًا رسول اللَّه؛ ففي الأولىٰ: ألَّا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدًا هو رسوله المبلِّغُ عنه، فعلينا أن نصدِّق خبره، ونطيع أمره، وقد بيَّن لنا ما نعبدُ اللَّه به، ونهانا عن محدَثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وكما أننا مأمورون ألَّا نخاف إلا اللَّه، ولا نتوكل إلا علىٰ اللَّه، ولا نرغب إلا إلىٰ اللَّه، ولا نستعين إلا باللَّه، وألَّا تكون عبادتنا إلا للَّه= فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول، ونطيعَه، ونتأسَّىٰ به، فالحلال ما حلَّله، والحرام ما حرَّمه، والدين ما شرعه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]، فجعل الإيتاء للَّه والرسول، كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وجعل التوكل علىٰ اللَّه وحده بقوله: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقل: «ورسوله»، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا

﴿ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، ومثله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]، أي: حسبُك وحسبُ المؤمنين؛ كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

ثم قال: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فجعل الإيتاء للَّه والرسول، وقدَّم ذكر الفضل للَّه؛ لأن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم، وله الفضل علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين، وقال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾؛ فجعل الرغبة إلىٰ اللَّه وحده؛ كما في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألتَ فاسأل اللَّه، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه**»[1]. والقرآن يدل علىٰ مثل هذا في غير موضع.

فجعل العبادة والخشية والتقوىٰ للَّه، وجعل الطاعة والمحبة للَّه ورسوله، كما في قول نوح عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور]، وأمثال ذلك.

فالرسل أُمروا بعبادته وحده، والرغبةِ إليه، والتوكلِ عليه، والطاعةِ لهم، فأضل الشيطان النصارىٰ وأشباههم؛ فأشركوا باللَّه، وعصوا الرسول، و﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، فجعلوا يرغبون إليهم، ويتوكلون عليهم، ويسألونهم، مع معصيتهم لأمرهم، ومخالفتهم لسُنَّتهم، وهَدَىٰ اللَّه المؤمنين المخلصين للَّه أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين،

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فأخلصوا دينهم للَّه، وأسلموا وجوههم للَّه، وأنابوا إلىٰ ربهم، وأحبُّوه ورجَوْه وخافوه، وسألوه، ورغبوا إليه، وفوَّضوا أمورهم إليه، وتوكلوا عليه، وأطاعوا رسله، وعزَّروهم[١]، ووقَّروهم، وأحبُّوهم، ووالَوْهم، واتبعوهم، واقتفَوا آثارهم، واهتدَوا بمنارهم[٢].

وذلك هو دين الإسلام الذي بَعث اللَّه به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يَقبل اللَّهُ من أحدٍ دينًا إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين.

فنسأل اللَّه العظيم أن يثبِّتنا عليه، ويكمِّله لنا، ويميتنا عليه وسائرَ إخواننا المسلمين.

والحمد للَّه وحده، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.



(١) **عزَّروهم**: نصروهم.

(٢) **المنار**: العلامات المضيئة.

[٣٥]

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه نستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِ اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألَّا إلٰه إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليُظهره علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ باللَّه شهيدًا. أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا. فهدىٰ به من الضلالة، وبصَّر به من العمىٰ، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وفرَّق به بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء اللَّه وأعداء اللَّه، فمن شهد له محمدٌ ﷺ بأنه من أولياء اللَّه فهو من أولياء الرَّحمٰن، ومن شهد له بأنه من أعداء اللَّه فهو من أعداء اللَّه وأولياء الشيطان.

وقد بيَّن ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن للَّه أولياءَ من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان.

فقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ۥ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف].

وذكر أولياء الشيطان:

فقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآيات، إلىٰ قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

فصل

وإذا عُرف أن الناس فيهم أولياءُ الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرَّق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرَّق اللَّه ورسوله بينهما:

فأولياء اللَّه هم المؤمنون المتقون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وفي الحديث الصحيح ـ الذي رواه البخاري وغيره ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه: من عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ـ أو: فقد آذنتُه الحرب ـ، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصِرُ به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها** ـ وفي رواية: **فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يَبطِش، وبي يمشي ـ، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدِي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت، وأكره مَساءته، ولابدَّ له منه**»[(١)].

وهذا أصح حديث يروىٰ في الأولياء.

فبيَّن النبيُّ ﷺ أنه من عادىٰ وليًّا للَّه فقد بارز اللَّهَ بالمحاربة.

وفي حديثٍ آخر: «**وإني لأثأر لأوليائي كما يثأرُ الليثُ الحَرِب**[(٢)]»[(٣)].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الحَرِب**: الشرس الثائر.

(٣) **ضعيف**: رواه البغوي في «شرح السنة» (١٢٤٩)، والطبراني في «الأوسط» =

أي: آخُذُ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليثُ الحَرِبُ ثأره، وهذا لأن أولياء اللَّه هم الذين آمنوا به ووالَوْه، فأحبوا ما يُحِب، وأبغضوا ما يبغض، ورضُوا بما يرضىٰ، وسَخِطوا بما يَسخط، وأمروا بما يأمر، ونَهَوا عما نهىٰ، وأعطَوا لمن يحب أن يُعطِي، ومنعوا من يحب أن يمنع.

كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوثقُ عرىٰ الإيمان: الحبُّ في اللَّه، والبغضُ في اللَّه**»(١).

وفي حديثٍ آخر رواه أبو داود قال: «**ومَن أحب للَّه، وأبغض للَّه، وأعطىٰ للَّه، ومنع للَّه، فقد استكمل الإيمان**»(٢).

والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبُعد.

وقد قيل: إن الولي سُمي وليًّا من موالاته للطاعات ـ أي متابعته لها ـ. والأول أصح.

والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه. ومنه قوله ﷺ: «**ألحِقوا الفرائضَ بأهلها، فما أبقت الفرائضُ فلأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَر**»(٣)، أي لأقرب رجل إلىٰ الميت. وأكده بلفظ «الذَّكَر» ليبيِّن

= (٦٠٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. وأشار إليه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٤٢/١١)، وعزاه للطبراني والبزار وأبي يعلىٰ، **وضعَّفه**. وكذا **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «شرح السنة» (٢٢/٥). وانظر: «فتح الباري» (٢٣٩/٢٠ ـ ط: الرسالة).

(١) **حسن**: وقد تقدم.

(٢) **حسن**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (١٦١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أنه حكم يختصُّ بالذكور، ولا يشترك فيها الذكور والإناث؛ كما قال ﷺ في الزكاة: «**فابن لَبُونٍ ذَكَر**»(١).

فإذا كان وليُّ اللَّه هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهىٰ عنه= كان المعادي لوليه معاديًا له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فمن عادىٰ أولياء اللَّه فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه؛ ولهذا قال: «**ومن عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**»(٢).

وأفضل أولياء اللَّه هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ـ صلوات اللَّه عليهم أجمعين ـ.

قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٢/١)، وأبو داود (١٥٦٧)، والنسائي (٢٤٤٧)، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٣٩)، والبزار (٤١)، والمروزي (٧٠)، وأبو يعلىٰ (١٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٧٤/٤)، والدارقطني (٢/ ١١٤)، والحاكم (٣٩٠/١)، والبيهقي (٨٦/٤)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ (١٦/٣) وانظر ـ لزامًا ـ: «تحقيق المسند» (٢٣٢/١).
وهو في البخاري مفرَّقًا بالأرقام (١٤٤٨) و(١٤٥٠) و(١٤٥١) و(١٤٥٣ ـ ١٤٥٥) و(٢٤٨٧) و(٦٩٥٥). وليس عنده التنصيص علىٰ «ابن لبون ذكر».
واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبُهم إذا وَفَدوا، صاحب المقام المحمود الذي يَغبِطُه به الأوَّلون والآخرون، وصاحب لواء الحمد[١]، وصاحب الحوض المورود، وشفيعُ الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمَّته خير أمةٍ أُخرجت للناس، وجَمَع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرَّقه فيمن قبلهم، وهم آخرُ الأمم خلْقًا، وأول الأمم بعثًا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، وأُوتيناه من بعدهم؛ فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني يوم الجمعة -، فهدانا اللَّه له؛ فالناس لنا تَبَعٌ فيه؛ غدًا لليهود، وبعد غدٍ للنصارىٰ**»[٢].

وقال ﷺ: «**أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض**»[٣].

وقال ﷺ: «**آتي بابَ الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أُمِرتُ ألَّا أفتحَ لأحدٍ قبلك**»[٤].

(١) **اللواء**: الراية. أي: ستكون معه رايةٌ عالية تسمىٰ بهذا الاسم. وهذا هو أصحُّ الأقوال.
■ قال التوربشتي رحمه الله: «لا مقام من مقامات عباد اللَّه الصالحين أرفع وأعلىٰ من مقام الحمد، ودونه تنتهي سائر المقامات، ولمَّا كان نبينا ﷺ أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد؛ ليأوي إلىٰ لوائه الأولون والآخرون» اهـ. «قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي» للسيوطي (٧٨١).

(٢) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢١٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (١٩٧)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وفضائله ﷺ وفضائل أمَّته كثيرة، ومِن حين بعثه اللَّهُ جعله اللَّه الفارقَ بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليًّا للَّه إلا مَن آمن به وبما جاء به، واتبعه باطنًا وظاهرًا.

ومن ادعىٰ محبة اللَّه وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء اللَّه؛ بل من خالفه كان من أعداء اللَّه وأولياء الشيطان.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

□ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ادعىٰ قومٌ أنهم يحبُّون اللَّه، فأنزل اللَّه هذه الآية محنةً لهم[(١)]».

وقد بيَّن اللَّه فيها أن من اتبع الرسول فإن اللَّه يحبه، ومن ادعىٰ محبة اللَّه ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء اللَّه، وإن كان كثيرٌ من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء اللَّه، ولا يكونون من أولياء اللَّه؛ فاليهود والنصارىٰ يدَّعون أنهم أولياء اللَّه وأحباؤه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة].

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل اللَّه لسُكْناهم مكة ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به علىٰ غيرهم.

كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ[(٢)] ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ[(٣)] ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون].

(١) أي: ابتلاءً واختبارًا علىٰ صدق دعاويهم.

(٢) ﴿تَنكِصُونَ﴾: تهربون.

(٣) راجع (٢٣١/١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠ ـ ٣٤].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن المشركين ليسوا أولياءه، ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في «الصحيحين» عن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول جهارًا من غير سرٍّ: «**إن آل فلان ليسوا لي بأولياء** ـ يعني طائفةً من أقاربه ـ؛ **إنما وليِّي اللَّهُ وصالح المؤمنين**»[(١)].

وهذا موافق لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [التحريم: ٤].

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هو من كان صالحًا من المؤمنين، وهم المؤمنون المتقون أولياء اللَّه. ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفًا وأربعمئة، وكلُّهم في الجنة.

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[(٢)].

ومثل هذا الحديثُ الآخر: «**إن أوليائي المتقون مَن كانوا، وحيث كانوا**»[(٣)].

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦) ـ بنحوه ـ، والتِّرمذي (٣٨٦٠) ـ واللفظ له ـ، من حديث جابر بن عبداللَّه ﷺ.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٢٣٥)، وابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في =

كما أن من الكفار من يدَّعي أنه وليُّ اللَّه، وليس وليًّا للَّه؛ بل عدوٌّ له، فكذلك من المنافقين ـ الذين يُظهرون الإسلام ـ يُقرُّون في الظاهر بشهادة ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وأنه مرسَلٌ إلىٰ جميع الإنس ـ بل إلىٰ الثقلين الإنس والجن ـ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك؛ مثل ألَّا يُقرُّوا في الباطن بأنه رسول اللَّه، وإنما كان مَلِكًا مطاعًا ساس الناسَ برأيه من جنس غيره من الملوك، أو يقولون: إنه رسول اللَّه إلىٰ الأميِّين دون أهل الكتاب ـ كما يقوله كثيرٌ من اليهود والنصارىٰ ـ، أو أنه مرسلٌ إلىٰ عامة الخلق، وأن للَّه أولياءَ خاصةً لم يرسَل إليهم ولا يحتاجون إليه؛ بل لهم طريقٌ إلىٰ اللَّه من غير جهته، كما كان الخَضِر مع موسىٰ، أو أنهم يأخذون عن اللَّه كلَّ ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة، أو أنه مرسَل بالشرائع الظاهرة، وهم موافقون له فيها، وأما الحقائقُ الباطنة فلم يرسَل بها، أو لم يكن يعرفها، أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثلما يعرفها من غير طريقته!

وقد يقول بعضُ هؤلاء: إن «أهل الصُّفَّة» كانوا مستغنين عنه، ولم يرسَل إليهم.

ومنهم من يقول: إن اللَّه أوحىٰ إلىٰ أهل الصفة في الباطن ما أوحىٰ إليه ليلة المعراج، فصار أهلُ الصفة بمنزلته!

وهؤلاء من فَرْط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة؛ كما

= «الكبير» (٢٤١/٢٠)، و«الشاميين» (٩٩١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٢)، من حديث معاذ بن جبل ﷺ. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٧٩/٣٦)، والشيخ الألباني في «المشكاة» (٥١٢٧).

قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وأن الصُّفَّة لم تكن إلا بالمدينة، وكانت صفةً في شماليِّ مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهلٌ وأصحاب ينزلون عندهم؛ فإنَّ المؤمنين كانوا يُهاجرون إلىٰ النبي ﷺ إلىٰ المدينة، فمن أمكنه أن ينزل في مكانٍ نزل به، ومن تعذَّر ذلك عليه نزل في المسجد إلىٰ أن يتيسَّر له مكانٌ ينتقل إليه.

ولم يكن أهل الصُّفة ناسًا بأعيانهم يلازمون الصفة؛ بل كانوا يَقِلُّون تارةً، ويكثرون أخرىٰ، ويقيم الرجل بها زمانًا ثم ينتقل منها. والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين؛ ليس لهم مزيةٌ في علم ولا دين؛ بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقتله النبي ﷺ؛ كالعُرنيِّين الذين اجتَوَوُا المدينة ـ أي استوخموها[١] ـ، فأمر لهم النبيُّ ﷺ بلِقاح ـ أي إبل لها لبن ـ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها؛ فلمَّا صحُّوا قتلوا الراعي، واستاقوا الذَّوْد[٢]، فأرسل النبيُّ ﷺ في طلبهم، فأُتي بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمرت[٣] أعينهم، وتركهم في الحرة يَستسقون فلا يُسقَون، وحديثهم في «الصحيحين» من حديث أنس[٤]، وفيه أنهم نزلوا الصُّفَّة.

فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين سعدُ بن أبي

(١) **استوخموها**: لم يوافقهم هواها، فأصابتهم بعض الأوبئة.

(٢) **الذَّوْد**: الإبل.

(٣) **سُمرت**: فقئت بحديدة محماة. وفي بعض النسخ: «وسَمَل»، وهي روايةٌ صحيحةٌ ـ أيضًا ـ، وهي بمعنىٰ «سُمرت».

(٤) رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١).

وقاص ـ وهو أفضل من نزل بالصُّفة[١] ـ، ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وغيره.

وقد جمع أبو عبدالرَّحمٰن السلمي «تاريخ من نزل الصُّفة»[٢].

وأما «الأنصار» فلم يكونوا من أهل الصفة، وكذلك أكابر

(١) لأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ﷺ.

(٢) «أبو عبدالرَّحمٰن السلمي»، هذه الكُنية اشتُهر بها رجلان؛ لابد من التفريق بينهما:

الأول: عبداللَّه بن حبيب بن ربيعة الكوفي، مقرئ الكوفة، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجَوَّدَه، ومهر فيه، وعَرَض علىٰ عثمان وعلىٰ عَليٍّ، وابن مسعود. وكان ثَبْتًا في القراءة والحديث.

والآخر: محمد بن الحسين النَّيْسابوري ـ صاحب الكتاب الذي أشار إليه المصنف رحمه الله ـ، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ يقولون: إنها تزيد عن مئة كتاب، لكنه ضعيفٌ عند أهل العلم. ومِن أَشهرِ كُتُبِهِ في التفسير الكتابُ المعروفُ بـ«حقائق التفسير»، وهو تفسير من النوع الذي يُعْرَفُ بـ«التفسير الإشاري الصوفي»، ويُقْصَدُ به: تأويلُ القرآن علىٰ خِلافِ ظاهرِهِ؛ لإشاراتٍ خَفِيَّةٍ ومعانٍ باطنة تَظهرُ للعارفين باللَّهِ من أرباب السلوك والتَّصوف، بواسطة الإلهام الإلٰهي أو الفتح الرباني، فهو لا يُفسِّر الألفاظ بالآثار، أو ما عُهِد في كلام العرب، وإنما بإشارات أو بخواطر وأباطيلَ في كثيرٍ من المواضع، يُلْقِي الكلام فيها علىٰ عَوَاهِنِه، مِن غير خِطَام ولا زِمَام، فالتفسير الإشاري لا يَسْتَوْعِبُ كُلَّ مَوْضِعٍ في القرآن، وإنما هو في أشياءَ مُفرَّقةٍ مما عَنَّ له من هذه الخواطر الَّتي لا تَنضبِط بحال من الأحوال مع طُرُق الدِّلالة المعروفة، والأصول التي يُبْنَىٰ عليها الفَهْم والاستنباط.

انظر: «شرح مقدمة في أصول التفسير»، للشيخ خالد السبت ص(٤٩).

المهاجرين ـ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وعبدالرَّحمٰن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم ـ، لم يكونوا من أهل الصفة.

وقد روي أنه كان بها غلامٌ للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ قال: «**هذا واحدٌ من السَّبعة**»، وهذا الحديث كذبٌ باتفاق أهل العلم ـ وإن كان قد رواه أبو نعيم في «الحلية»[(١)] ـ، وكذا كل حديث يروىٰ عن النبي ﷺ في عدة «الأولياء» و«الأبدال» و«النقباء» و«النجباء» و«الأوتاد» و«الأقطاب» مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثِمئة، أو ثلاثمئة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد= فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلفُ بشيءٍ من هذه الألفاظ إلا بلفظ «الأبدال»؛ وروي فيهم حديثٌ: «**أنهم أربعون رجلًا، وأنهم بالشام**»، وهو في «المسند» من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وهو حديثٌ منقطعٌ ليس بثابت[(٢)]، ومعلوم أن عليًّا ومن معه من الصحابة كانوا أفضلَ من معاوية ومن معه بالشام،

(١) **باطلٌ لا أصل له**: ولم أجده في «الحلية». ويكفينا حكم الإمام رحمه الله.

(٢) **باطل**: رواه أحمد (١/١١١)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٢٦)، وابن المبارك في «الجهاد» (١٩٢)، ومعمر في «جامعه» (١١/٢٤٩)، ونُعيم بن حماد في «الفتن» (٦٦٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٠٥)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٤٤٩)، **وضعَّفه** شيخ الإسلام ـ كما رأينا أعلاه ـ، وحكم عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢/٢٣١) **بالبطلان**.
وانظر: «المنار المنيف» للعلامة ابن القيم رحمه الله ص(١٣٢ ـ ط: عالم الفوائد).

فلا يكون أفضلُ الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي.

وقد أخرجا في «الصحيحين» عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَمرُقُ مارقةٌ من الدين علىٰ حين فُرقةٍ من المسلمين، يقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق**»(١).

وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحَرورية؛ الذين مَرَقوا لمَّا حصلت الفُرقة بين المسلمين في خلافة عليٍّ، فقتلهم عليُّ بن أبي طالب وأصحابه، فدل هذا الحديثُ الصحيح علىٰ أن عليَّ بن أبي طالب أولىٰ بالحق من معاوية وأصحابه، وكيف يكون الأبدال في أدنىٰ العسكرين دون أعلاهما؟

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشدٌ:

قد لسعتْ حيةُ الهوىٰ كبدي ... فلا طبيبَ لها ولا راقي

إلا الحبيبَ الذي شُغفتُ به ... فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتىٰ سقطت البُردة عن منكبه؛ فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث(٢).

وأكذب منه ما يرويه بعضهم: «أنه مزَّق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعةً منه، فعلقها علىٰ العرش»(٣).

(١) رواه مسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وليس في البخاري بهذا السياق.

(٢) **باطل لا أصل له**: انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١٦٤/٣)، ووصفه بأنه **خرافة**. و«تذكرة الموضوعات» للفتَّني ص(١٩٧)، وحكم عليه **بالوضع**. و«السلسلة الضعيفة» (٥٥٨).

(٣) **باطل مختلق**: كما قال الإمام رحمه الله. ولم أجده.

فهذا وأمثاله مما يَعرف أهلُ العلم والمعرفة برسول اللَّه ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبًا عليه ﷺ.

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كان النبيُّ ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي». وهو كذبٌ موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث(١).

والمقصود هنا أن فيمن يقرُّ برسالته العامة [ﷺ] في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يُناقض ذلك، فيكون منافقًا، وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياءُ اللَّه، مع كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول ﷺ - إما عنادًا وإما جهلًا -، كما أن كثيرًا من النصارىٰ واليهود يعتقدون أنهم أولياء اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، ولكن يقولون: «إنما أُرسل إلىٰ غير أهل الكتاب، وأنه لا يجب علينا اتباعه؛ لأنه أُرسل إلينا رُسلٌ قبله»! فهؤلاء كلهم كفار، مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء اللَّه الذين وصفهم اللَّه تعالىٰ بولايته بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

ولابد في الإيمان من أن يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر، ويؤمن بكل رسولٍ أرسله اللَّه، وكل كتاب أنزله اللَّه.

كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن

(١) **باطل مختلق**: وانظر: «أحاديث القصَّاص» (١٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣٧٦/١٨)، و«منهاج السنة» (٤٢/٨).

رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ...﴾ [البقرة: ١٨٥] إلىٰ آخر السورة.

وقال في أول السورة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

فلابد في الإيمان من أن تؤمن أن محمدًا ﷺ خاتمُ النبيين، لا نبي بعده، وأن اللَّه أرسله إلىٰ جميع الثقلين الجن والإنس، فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن؛ فضلًا عن أن يكون من أولياء اللَّه المتقين؛ ومَن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافرٌ ليس بمؤمن.

كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

ومن الإيمان به [ﷺ]: الإيمان بأنه الواسطة بين اللَّه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، فالحلالُ

ما أحلَّه اللَّه ورسوله، والحرام ما حرَّمه اللَّه ورسوله، والدين ما شرعه اللَّه ورسوله ﷺ، فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقًا إلىٰ اللَّه من غير متابعة محمد ﷺ، فهو كافرٌ من أولياء الشيطان.

وأما خَلْقُ اللَّه تعالىٰ للخلق، ورزقُه إياهم، وإجابتُه لدعائهم، وهدايتُه لقلوبهم، ونصرُهم علىٰ أعدائهم... وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار= فهذا للَّه وحده يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا وساطةُ الرسل.

ثم لو بلغ الرجلُ في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمدٌ ﷺ، فليس بمؤمن، ولا وليٍّ للَّه تعالىٰ، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارىٰ وعُبَّادهم، وكذلك المنتسبون إلىٰ العلم والعبادة من المشركين ـ مشركي العرب والتُّرك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ومَن له علمٌ أو زهد وعبادة في دينه ـ، وليس مؤمنًا بجميع ما جاء به محمدٌ ﷺ= فهو كافرٌ عدوٌّ للَّه، وإن ظن طائفةٌ أنه وليٌّ للَّه، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارًا مجوسًا.

وكذلك حكماء اليونان ـ مثل أرسطو وأمثاله ـ كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثِمئة سنة، وكان وزيرًا للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وهو الذي تؤرَّخ به تواريخ الروم واليونان، وتؤرِّخُ به اليهودُ والنصارىٰ، وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره اللَّه في كتابه، كما يظنُّ بعض الناس أن أرسطو كان وزيرًا لذي القرنين لمَّا رأوا أن ذاك اسمه الإسكندر، وهذا قد يسمىٰ بالإسكندر، وظنوا أن هذا ذاك ـ كما يظنه ابن سينا وطائفة معه ـ، وليس الأمر كذلك؛ بل هذا الإسكندر المشرك ـ الذي

قد كان أرسطو وزيرَه ـ متأخرٌ عن ذاك، ولم يَبْنِ هذا السد، ولا وصل إلىٰ بلاد يأجوج ومأجوج، وهذا الإسكندر ـ الذي كان أرسطو من وزرائه ـ يؤرَّخ له تاريخ الروم المعرف.

وفي أصناف المشركين ـ من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم ـ من له اجتهادٌ في العلم والزهد والعبادة، ولكن ليس بمتبعٍ للرسل، ولا يؤمن بما جاؤوا به، ولا يصدِّقهم بما أخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء للَّه، وهؤلاء تقترن بهم الشياطينُ وتنزل عليهم، فيكاشِفون الناسَ ببعض الأمور، ولهم تصرفاتٌ خارقةٌ من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين.

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ[1] ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ[2] ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

وهؤلاء جميعًا ـ الذين ينتسبون إلىٰ المكاشفات وخوارق العادات ـ إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلابد أن يكذبوا، وتَكذِبُهم شياطينُهم، ولابد أن يكون في أعمالهم ما هو إثمٌ وفجورٌ ـ مثل نوعٍ من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة ـ؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين، واقترنت بهم؛ فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرَّحمٰن.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ

(١) ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذابٌ فاجر.

(٢) أي: يستمعون من الملائكة، فيُلقون إلىٰ الكَهَنة، ويخلطون بما يسمعون كذبًا كثيرًا.

﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

و﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: هو الذكر الذي بعث به رسولَه مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن، ويصدِّق خبره، ويعتقد وجوب أمره= فقد أعرض عنه؛ فيقيَّض له الشيطان فيقترن به.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

فدل ذلك علىٰ أن «ذِكرَه» هو آياتُه التي أنزلها؛ ولهذا لو ذَكر الرجلُ اللَّهَ ﷻ دائمًا ليلًا ونهارًا مع غاية الزهد، وعَبَده مجتهدًا في عبادته ولم يكن متبعًا لذِكره الذي أنزله ـ وهو القرآن ـ، كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشىٰ علىٰ الماء؛ فإن الشيطان يحملُه في الهواء وعلىٰ الماء. وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان، وفيه شعبةٌ من نفاق:

كما جاء في «الصحيحين» عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتىٰ يَدَعَها: إذا حدَّث كذب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا ائتُمن خان، وإذا عاهد غدر**»(١).

وفي «الصحيحين» ـ أيضًا ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمانُ بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبةً، أعلاها قول: لا إلٰه إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»(٢).

فبيَّن النبي ﷺ أن من كان فيه خصلةٌ من هذه الخصال ففيه خصلةٌ من النفاق حتىٰ يدعها.

وقد ثبت في «الصحيحين» أنه قال لأبي ذر ـ وهو من خيار المؤمنين ـ: «**إنك امرؤٌ فيك جاهلية**». فقال: يا رسول اللَّه، أعلىٰ كِبَرِ سنِّي؟! قال: «**نعم**»(٣).

وثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية [لا يتركونهنَّ]: الفخر في الأحساب**(٤)**، والطعن في الأنساب، والنياحة**

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) هذه رواية صحيحة، والرواية الشائعة: «**الفخر بالأحساب**».

علىٰ الميت، والاستسقاءُ بالنجوم»[(١)].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا ائتُمن خان**»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم»: «**وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم**»[(٣)].

▫ وذكر البخاري عن ابن أبي مُليْكةَ قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ؛ كلُّهم يَخاف النفاق علىٰ نفسه».

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [آل عمران].

فقد جعل هؤلاء إلىٰ الكفر أقربَ منهم للإيمان، فعُلم أنهم مخلِّطون، وكفرهم أقوىٰ؛ وغيرهم يكون مخلِّطًا وإيمانه أقوىٰ.

وإذا كان أولياء اللَّه هم المؤمنين المتقين؛ فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون وَلايته للَّه تعالىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوىٰ، كان أكمل وَلايةً للَّه. فالناس متفاضلون في ولاية اللَّه ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ، وكذلك يتفاضلون في عداوة اللَّه بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

(١) **صحيح**: وقد تقدم. وما بين الحاصرتين من مصادر التخريج.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

وقال تعالىٰ في المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

فبيَّن ﷻ أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسطٌ من ولاية اللَّه بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسطٌ من عداوة اللَّه بحسب كفره ونفاقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

❁ فصل ❁



وأولياء اللَّه علىٰ طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم اللَّه في عدةِ مواضعَ من كتابه العزيز: في أول سورة الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر.

فإنه ﷻ ذكر في الواقعة القيامة الكبرىٰ في أولها، وذكر القيامة الصغرىٰ في آخرها:

فقال في أولها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ[١] ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ[٢] ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا[٣] ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا[٤] ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة].

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرىٰ التي يجمع اللَّه فيها الأولين والآخرين، كما وصف اللَّه ـ سبحانه ـ ذلك في كتابه في غير موضع.

(١) **الكاذبة**: الكذب. أي: هي واقعةٌ لا محالة.

(٢) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تخفض أقوامًا إلىٰ النار، وترفع آخرين إلىٰ الجنة. وقيل: تخفض أقوامًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقوامًا كانوا في الدنيا مستضعفين.

(٣) ﴿بَسًّا﴾: فتِّتت فتًّا وكسِّرت تكسيرًا.

(٤) ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: صارت غبارًا متفرقًا كالذي يُرىٰ في شعاع الشمس.

ثم قال تعالىٰ في آخر السورة: ﴿فَلَوْلَآ﴾، أي: فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ(١) ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ(٢) ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ(٣) ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالىٰ في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا(٤) ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(٥) ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ الآيات [الإنسان].

وكذلك ذكر في سورة المطففين؛ فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾، إلىٰ أن قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

(١) ﴿مَدِينِينَ﴾: محاسَبين.
(٢) ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: منزلهم ومستقرهم في الحميم.
(٣) ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: إدخال نارٍ عظيمة.
(٤) ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرًا فاشيًا.
(٥) ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديدًا كريهًا.

خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

▫ وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا: «يُمزج لأصحاب اليمين مزجًا، ويَشرب بها المقربون صرفًا».

وهو كما قالوا؛ فإنه تعالىٰ قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، ولم يقل: «يشرب منها»؛ لأنه ضَمَّن قوله: ﴿يَشْرَبُ﴾ معنىٰ: يُروىٰ بها؛ فإن الشارب قد يشرب ولا يُروىٰ، فإذا قيل: «يشربون منها» لم يدل علىٰ الرِّي، فإذا قيل: «يشربون بها» كان المعنىٰ: يُروَوْن بها، فالمقربون يُروون بها فلا يحتاجون معها إلىٰ ما دونها؛ فلهذا يشربون منها صرفًا، بخلاف أصحاب اليمين؛ فإنها مُزجت لهم مزجًا، وهو كما قال تعالىٰ في سورة الإنسان: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

فعباد اللَّه هم المقربون المذكورون في تلك السورة؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَن نَفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرب الدنيا، نفَّس اللَّهُ عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّر علىٰ معسرٍ، يسَّر اللَّهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومن سَتر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة. واللَّهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل اللَّهُ له به طريقًا إلىٰ الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت اللَّه**[1] **يتلون**

(١) وجاءت روايةٌ صحيحةٌ ـ أيضًا ـ بعدم تقييد هذا الفضل ببيوت اللَّه ـ وهي المساجد ـ، بل ينال هذا الثواب العظيم ـ أيضًا ـ من جلس في أي مكانٍ مع إخوانه مجتمعين علىٰ تلاوة كلام الرَّحمٰن ومدارسته.

كتاب، ويتدارسونه بينهم= إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده، ومَن بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نَسَبُه[(١)]». رواه مسلم في «صحيحه»[(٢)].

وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمُهم الرَّحمٰن؛ ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم مَن في السماء**». قال الترمذي: «حديث صحيح»[(٣)].

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن: «**يقول اللَّه تعالىٰ: أنا الرَّحمٰن؛ خلقت الرحم، وشققتُ لها اسمًا من اسمي؛ فمن وصلها وصلتُه، ومن قطعها بَتَتُّه[(٤)]**»[(٥)].

(١) أي: من لم يوصِّله عمله إلىٰ جنات اللَّه تعالىٰ ورحمته، لم يوصِّله نسبُه ـ وإن كان عريقًا شريفًا ـ.

(٢) برقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١٦٠/٢)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٦٩)، والحاكم (١٥٩/٤)، وابن أبي شيبة (٥٢٦/٨)، والحميدي (٥٩١)، والبيهقي في «السنن» (٢٤١/٩)، وفي «الشعب» (١٠٥٣٧)، وفي «الآداب» (٢٨)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٢٦٠)، وابن وهب في «الجامع» (١٤٦)، والمروزي في «البر والصلة» (١٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠١٣)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٦٦/١)، من حديث عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/١١).

(٤) **بتتُّه**: قطعته.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١٩٤/١)، والبخاري في «التاريخ» (٥٣)، وأبو داود (١٦٩٤)، والتِّرمذي (١٩٠٧)، وأبو يعلىٰ (٨٢٠)، والحميدي (٦٥)، والمروزي في «البر والصلة» (١١٢)، وابن حِبَّان (٤٤٣)، والحاكم (٤/ =

وقال ﷺ: «**ومَن وَصلها وصله اللَّه، ومن قطعها قطعه اللَّه**»(١).

ومثلُ هذا كثير.

وأولياء اللَّه تعالىٰ علىٰ نوعين: مقربون، وأصحاب يمين ـ كما تقدم ـ. وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء؛ فقال: «**يقول اللَّه تعالىٰ: مَن عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها**»(٢).

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقرِّبون إليه بالفرائض؛ يفعلون ما أوجب اللَّه عليهم، ويتركون ما حرَّم اللَّه عليهم، ولا يكلِّفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكفَّ عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقرَّبوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبَّهم الرب

= ١٥٧)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٧٥٦٦)، وفي «الأسماء والصفات» (٨١)، وفي «الآداب» (١١)، وفي «الكبرىٰ» (٤١/٧)، والبزار (٩٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٠٦)، وفي «الشاميين» (٣٠٥٧)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن عوف رضي الله عنه، **وصحَّحه** التِّرمذي، **وسكت عليه** الحاكم، **وصحَّحه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨٦/١٦).

(١) رواه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) ـ كلاهما بلفظٍ مقارب ـ، وأحمد (٦٢/٦) ـ واللفظ له ـ، من حديث أمِّنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

حبًّا تامًّا، كما قال تعالىٰ: «**ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه**»، يعني الحب المطلق، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، أي: أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء].

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون بها إلىٰ اللَّه ﷻ، فكانت أعمالهم كلُّها عبادات للَّه، فشربوا صرفًا كما عَمِلوا له صرفًا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم[1]، فلا يعاقَبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفًا، بل مُزج لهم من شراب المقرَّبين بحسب ما مزجوه في الدنيا.

ونظير هذا انقسامُ الأنبياء عليهم السلام إلىٰ عبدٍ رسول، ونبيٍّ مَلِك، وقد خَيَّر اللَّه ـ سبحانه ـ محمدًا ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولًا، وبين أن يكون نبيًّا مَلِكًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا[2]، فالنبيُّ الملِك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام.

قال اللَّه تعالىٰ في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي

(١) مما هو مباحٌ وليس عصيانًا؛ ولذلك سيقول الإمام: «فلا يعاقبون عليه، ولا يثابون عليه»، وهذا هو ضابطُ «المباح».

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢٣١)، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥)، والبزار (٣/١٥٥)، وابن حبان (٦٣٦٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢٥)، والبزار في «مسنده» (٢٤٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٢/٧٧)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٠٢).

﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص]، أيْ: أعطِ من شئت، واحرِمْ من شئت لا حساب عليك، فالنبي المَلِك يفعل ما فرض اللَّهُ عليه، ويترك ما حرَّم اللَّه عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبُّ ويختار من غير إثمٍ عليه.

وأما العبد الرسول فلا يُعطي أحدًا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء، ويَحرِمُ من يشاء؛ بل يعطي من أمره ربُّه بإعطائه، ويولِّي من أمره ربُّه بتوليته؛ فأعماله كلها عباداتٌ للَّه تعالىٰ؛ كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إني - واللَّهِ - لا أُعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا، إنما أنا قاسمٌ أضعُ حيث أُمرتُ**»(١).

ولهذا يضيف اللَّه الأموالَ الشرعية إلىٰ اللَّه والرسول؛ كقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء أن هذه الأموال تُصرف فيما يحبه اللَّه ورسوله بحسب اجتهاد وليِّ الأمرُ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف، ويُذكر هذا روايةً عن أحمد. وقد قيل في الخُمس: إنه يقسم علىٰ خمسة، كقول الشافعي وأحمد في المعروف عنه، وقيل: علىٰ ثلاثة، كقول أبي حنيفة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والمقصود هنا: أن العبد الرسول هو أفضل من النبي المَلِك،

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩، ٣١١٧).

كما أن إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل من يوسف وداود وسليمان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كما أن المقرَّبين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين الذين ليسوا مقربين سابقين؛ فمن أدىٰ ما أوجب اللَّه عليه وفعل من المباحات ما يحبه فهو من هؤلاء، ومن كان إنما يفعل ما يحبه اللَّه ويرضاه، ويقصد أن يستعين بما أُبيح له علىٰ ما أمره اللَّه فهو من أولئك.



فصل

وقد ذكر اللَّه تعالىٰ أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ[1] ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصةً، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

وأمة محمد ﷺ هم الذين أُورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصًّا بحُفَّاظ القرآن؛ بل كلُّ من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسَّمهم إلىٰ: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات؛ بخلاف الآيات التي في الواقعة والمطففين والإنسان والانفطار؛ فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ:

فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرُّون عليها.

(١) **النَّصَب**: العناء والمشقة. **اللغوب**: الإعياء من التعب.

والمقتصد: المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات.

ومن تاب من ذنبه ـ أي ذنب كان ـ توبةً صحيحةً لم يخرج من بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ مما يَستدل به أهل السنة علىٰ أنه لا يخلَّد في النار أحدٌ من أهل التوحيد.

وأما دخول كثيرٍ من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ، كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبيِّنا محمد ﷺ في أهل الكبائر، وإخراجِ مَن يُخرج من النار بشفاعته وشفاعة غيره؛ فمن قال: «إن أهل الكبائر مخلدون في النار»، وتأوَّل الآية علىٰ أن السابقين هم الذين يدخلونها[1]، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها، كما تأوله من تأوَّله من المعتزلة= فهو مقابَلٌ بتأويل المرجئة الذين لا يقطعون بدخول أحدٍ من أهل الكبائر النار، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من

(١) يعني الجنة.

غير عذاب! وكلاهما مخالفٌ للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ولإجماع سلف الأمة وأئمتها.

وقد دلَّ علىٰ فساد قول الطائفتين قول اللَّه تعالىٰ في آيتين من كتابه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ ـ ١١٦]، فأخبر تعالىٰ أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يُراد بذلك التائب ـ كما يقوله من يقوله من المعتزلة ـ؛ لأن الشرك يغفره اللَّه لمن تاب، وما دون الشرك يغفره اللَّه ـ أيضًا ـ للتائب؛ فلا يُعلق بالمشيئة؛ ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

فهنا عمَّم المغفرة وأطلقها؛ فإن اللَّه يغفر للعبد أيَّ ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر اللَّه له، ومن تاب من الكبائر غفر اللَّه له، وأيَّ ذنب تاب العبد منه غفره اللَّه له، ففي آية التوبة[(١)] عمم وأطلق، وفي تلك الآية[(٢)] خصَّص وعلَّق؛ فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلَّق ما سواه علىٰ مشيئته.

ومن الشرك التعطيل للخالق؛ وهذا يدلُّ علىٰ فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب. ونبَّه بالشرك علىٰ ما هو أعظم منه كتعطيل الخالق، أو أنه يَجوزُ أن يعذِّب لا بذنب[(٣)]؛ فإنه لو كان كذلك لما

(١) يقصد آية الزمر السابقة مباشرةً.

(٢) يقصد قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(٣) في المطبوعات و«مجموع الفتاوىٰ»: «ألَّا يعذِّب بذنب»، والظاهر أن =

ذكر أنه يغفر البعض دون البعض، ولو كان كلُّ ظالم لنفسه مغفورًا له بلا توبةٍ ولا حسناتٍ ماحية، لم يعلق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ دليلٌ علىٰ أنه يغفر البعض دون البعض، فبطل النفيُ والعفو العام[1].



= الصحيح ما أثبتُّه؛ لأن اللَّه ﷻ قد لا يعذِّب علىٰ الذنب، لكنه سبحانه لا يعذِّب إلا بذنب. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) في بعض النسخ و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/١٨٥): «والوقف العام».

فصل

وإذا كان أولياء اللَّه ﷻ هم المؤمنون المتقون[١]، والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوىٰ= فهم متفاضلون في ولاية اللَّه بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة اللَّه بحسب ذلك.

وأصل الإيمان والتقوىٰ: الإيمانُ برسل اللَّه، وجِماعُ ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمدٍ ﷺ، فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب اللَّه ورسله، وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤوا به؛ فإن هذا هو الكفر الذي يستحقُّ صاحبُه العذاب في الآخرة؛ فإن اللَّه تعالىٰ أخبر في كتابه أنه لا يعذِّب أحدًا إلا بعد بلوغ الرسالة.

قال اللَّه تعالىٰ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى

(١) في بعض النسخ: «المؤمنين المتقين»، وكلاهما صحيح.

ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

فأخبر أنه كلما أُلقي في النار فوجٌ أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك علىٰ أنه لا يُلقىٰ فيها إلَّا من كذَّب النذير.

وقال تعالىٰ في خطابه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص]، فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه؛ فإذا مُلئت بهم لم يدخلها غيرهم، فعُلم أنه لا يدخل النار إلَّا من تَبِع الشيطان، وهذا يدل علىٰ أنه لا يدخلها من لا ذنب له؛ فإنه ممن لم يَتْبَع الشيطان ولم يكن مذنبًا، وما تقدم يدل علىٰ أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل.



فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانًا مجملًا، وأما الإيمان المفصَّل فيكون قد بلغه كثيرٌ مما جاءت به الرسل؛ فآمن به إيمانًا مفصَّلًا، ولم يبلغه بعض ذلك؛ فيؤمن بما بَلَغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لآمن به؛ ولكن آمن بما جاءت به الرسلُ إيمانًا مجملًا، فهذا إذا عَمِل بما عَلِم أن اللَّه أمره به - مع إيمانه وتقواه - فهو من أولياء اللَّه تعالىٰ، له من ولاية اللَّه بحسب إيمانه وتقواه، وما لم تقم عليه الحجة به فإن اللَّه تعالىٰ لم يكلِّفه معرفتَه والإيمان المفصل به، فلا يعذبه علىٰ تركه، لكن يفوتُه من كمال ولاية اللَّه بحسب ما فاته من ذلك، فمن علم ما[1] جاء به الرسل وآمن به إيمانًا مفصلًا وعمل به= فهو أكمل إيمانًا وولايةً للَّه ممن لم يعلم ذلك مفصَّلًا ولم يعمل به؛ وكلاهما وليٌّ للَّه تعالىٰ.

والجنة درجاتٌ متفاضلةٌ تفاضلًا عظيمًا، وأولياء اللَّه المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا[2] ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

(١) في المطبوع: «بما»، ولعل الأدق ما أثبتُّه.

(٢) ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مُهانًا ذليلًا.

بَعْضٍۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء].

فبيَّن اللَّه ﷻ أنه يُمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظورًا من برٍّ ولا فاجر، ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

فبيَّن اللَّه ـ سبحانه ـ أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثرَ مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا، وقد بيَّن تفاضُلَ أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين.

فقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علىٰ ما ينفعُك، واستعِنْ باللَّه ولا تَعجِزنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللَّه وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[1].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ»**[2].

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) صحيح: أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه: فرواه التِّرمذي (١٣٢٦)، وفي =

وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

= «العلل» (١٩٩/١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٨٩)، وفي «المجتبىٰ» (٥٣٨١)، وابن حِبَّان (٥٠٦٠)، وأبو يعلىٰ (٥٩٠٣)، وابن الجارود (٩٩٦)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٦٣٩٧)، والدَّارَقُطْني (٢٠٤/٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٠٢/١٠)، وتمَّام في «الفوائد» (١٥٣٥)، وابن عبدالبر في «جامع العلم» (١٦٦٤)، والدينوري في «المجالسة» (٣٥٩٠ ـ تهذيبي)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١٦٦/٣)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (١٨٦/٨).

وأما حديث عمرو بن العاص ﷺ: فرواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

﴿٩﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

فصل



وإذا كان العبد لا يكون وليًّا للَّه إلا إذا كان مؤمنًا تقيًّا، لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وفي «صحيح البخاري» الحديث المشهور ـ وقد تقدم ـ، يقول اللَّه ﷻ فيه: «**ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه**»[(١)]، ولا يكون مؤمنًا تقيًّا حتىٰ يتقرب إلىٰ اللَّه بالفرائض؛ فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتىٰ يكون من السابقين المقربين= فمعلوم[(٢)] أن أحدًا من الكفار والمنافقين لا يكون وليًّا للَّه، وكذلك من لا يصحُّ إيمانه وعباداته، وإن قُدِّر أنه لا إثم عليه؛ مثل أطفال الكفار، ومَن لم تبلغه الدعوة، ونحوهم ـ وإن قيل: إنهم لا يعذَّبون حتىٰ يرسَل إليهم رسولٌ ـ؛ فلا يكونون من أولياء اللَّه إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين؛ فمن لم يتقرب إلىٰ اللَّه لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء اللَّه. وكذلك المجانين والأطفال؛ فإن النبي ﷺ قال: «**رُفع القلم عن ثلاثةٍ: عن المجنون حتىٰ يُفيق، وعن الصبيِّ حتىٰ يَحتلم، وعن النائم حتىٰ يستيقظ**». وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) هذا جواب الشرط في قوله: «وإذا كان العبدُ لا يكون...» في أول الصفحة.

عليٍّ[١] وعائشة رضي الله عنهما[٢]. واتفق أهل المعرفة على تلقِّيه بالقبول.

لكنَّ الصبيَّ المميِّز تصحُّ عباداته ويُثاب عليها عند جمهور العلماء.

وأما المجنون ـ الذي رُفع عنه القلم ـ فلا يصح شيءٌ من عباداته باتفاق العلماء. ولا يصح منه إيمانٌ ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات؛ بل لا يصلح هو ـ عند عامة العقلاء ـ لأمور الدنيا

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/١١٥)، وفي «الفضائل» (١٢٠٩)، وعبدالرزاق (٧/٧٩)، والطيالسي (٩١)، وأبو داود (٤٤٠٣)، والتِّرمذي (١٤٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٣٠٣)، وابن ماجه (٢٠٤٢)، وأبو يعلىٰ (٥٨٧)، والدَّارَقُطْني (٣٢٦٧)، وابن خزيمة (١٠٠٣)، وابن حِبَّان (١٤٣)، والحاكم (١/٢٥٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/٣٠٧)، وفي «المعرفة» (٨٨٨١)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٠٧٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٢٧٤)، وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/ ٤٥٥)، والشيخ الألباني في «السنن».

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/١٠١)، والطيالسي (١٤٨٥)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والتِّرمذي في «العلل» (٤٠٤)، والنسائي (٣٤٣٢)، وفي «الكبرىٰ» (٥٥٩٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، والدارمي (٢٣٤٢)، وابن حِبَّان (١٤٢)، والحاكم (٢/٥٩)، وأبو يعلىٰ (٤٤٠٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٨٦)، وفي «الكبرىٰ» (٦/١٣٩)، وابن الجارود (١٤٨)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢٣٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/٧٤)، وفي «شرح المشكل» (٣٩٨٧)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤١/٢٤٢).

كالتجارة والصناعة، فلا يصلح أن يكون بزَّازًا[١] ولا عطارًا ولا حدادًا ولا نجارًا، ولا تصح عقودُه باتفاق العلماء؛ فلا يصح بيعه ولا شراؤه، ولا نكاحه ولا طلاقه، ولا إقراره ولا شهادته، ولا غير ذلك من أقواله؛ بل أقواله كلها لغوٌ لا يتعلق بها حكمٌ شرعي، ولا ثواب ولا عقاب. بخلاف الصبيِّ المميِّز؛ فإن له أقوالًا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع، وفي مواضع فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصحُّ منه الإيمان ولا التقوىٰ ولا التقرب إلىٰ اللَّه بالفرائض والنوافل، وامتُنع أن يكون وليًّا للَّه= فلا يجوز لأحدٍ أن يعتقد أنه وليٌّ للَّه؛ لا سيما حين تكون[٢] حجتُه علىٰ ذلك إما مكاشفةٌ سمعها منه، أو نوعٌ من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلىٰ واحد فمات أو صُرع؛ فإنه قد عُلم أن الكفار والمنافقين ـ من المشركين وأهل الكتاب ـ لهم مكاشفاتٌ وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعُبَّاد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحدٍ أن يَستدل بمجرد ذلك علىٰ كون الشخص وليًّا للَّه ـ وإن لم يَعلم منه ما يناقض ولايةَ اللَّه ـ، فكيف إذا عَلِم منه ما يناقض ولاية اللَّه؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوبَ اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء اللَّه طريقًا إلىٰ اللَّه غيرَ طريق الأنبياء عليهم السلام، أو يقول: إن الأنبياء ضيَّقوا الطريق، أو هم قدوةُ العامة دون الخاصة، أو نحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية؛ فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض

(١) **البزاز**: بائع الأقمشة.

(٢) في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (١١/١٨٥): «أن تكون». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه ـ أو نحوه ـ.

الإيمان ـ فضلًا عن ولاية اللَّه ﷻ ـ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادةٍ علىٰ ولايتهم كان أضلَّ من اليهود والنصارىٰ.

وكذلك المجنون؛ فإن كونه مجنونًا يناقض أن يصحَّ منه الإيمان والعبادات التي هي شرطٌ في ولاية اللَّه، ومن كان يُجنُّ أحيانًا ويُفيق أحيانًا؛ إذا كان في حال إفاقته مؤمنًا باللَّه ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم، فهذا إذا جُنَّ لم يكن جنونه مانعًا من أن يثيبَه اللَّه علىٰ إيمانه وتقواه الذي أتىٰ به في حال إفاقته، ويكون له من ولاية اللَّه بحسب ذلك. وكذلك مَن طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه، فإن اللَّه يُثيبُه ويأجره علىٰ ما تقدم من إيمانه وتقواه، ولا يُحبطه بالجنون الذي ابتُلي به من غير ذنبٍ فَعَله، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه.

فعلىٰ هذا: من أظهر الولاية، وهو لا يؤدِّي الفرائض ولا يجتنب المحارم ـ بل قد يأتىٰ بما يناقض ذلك ـ لم يكن لأحد أن يقول: هذا وليٌّ للَّه، فإن هذا إن لم يكن مجنونًا، بل كان متولِّهًا[1] من غير جنون، أو كان يغيب عقله بالجنون تارةً، ويفيق أخرىٰ، وهو لا يقوم بالفرائض؛ بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ= فهو كافر، ومن اعتقد أن هذا وليٌّ للَّه فهو كافرٌ ـ أيضًا ـ.

وإن كان مجنونًا باطنًا وظاهرًا قد ارتفع عنه القلم، فهذا وإن لم يكن معاقبًا عقوبةَ الكافرين، فليس هو مستحقًّا لما يستحقُّه أهل الإيمان والتقوىٰ من كرامة اللَّه ﷻ.

فلا يجوز علىٰ التقديرين أن يَعتقد فيه أحدٌ أنه وليٌّ للَّه، ولكن

(١) **متولِّهًا**: دهشًا كأنه غائبٌ عن الوعي.

إن كان له حالةٌ في إفاقته كان فيها مؤمنًا باللَّه متقيًا، كان له من ولاية اللَّه بحسب ذلك. وإن كان له حالٌ في إفاقته فيه كفرٌ أو نفاق أو كان كافرًا أو منافقًا ثم طرأ عليه الجنون، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقَبُ عليه، وجنونُه لا يُحبط عنه ما يحصل منه حالَ إفاقته من كفرٍ أو نفاق.



فصل

وليس لأولياء اللَّه شيءٌ يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات؛ فلا يتميزون بلباس دون لباس ـ إذا كان كلاهما مباحًا ـ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظُفْرِه ـ إذا كان مباحًا ـ.

▫ كما قيل: «كم من صدِّيقٍ في قَباء[1]! وكم من زنديقٍ في عباء[2]!».

بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصُّناع والزُّراع.

وقد ذكر اللَّه أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠].

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: «القراء»؛ فيَدخل فيهم العلماء والنُّسَّاك، ثم حدث بعد ذلك اسم «الصوفية والفقراء».

(١) **القَباء**: نوعٌ من ثياب الفقراء.

(٢) **العَباء**: نوعٌ من الثياب الجيدة.

[اشتقاق التصوف]:

واسم «الصوفية» هو نسبةٌ إلىٰ لباس الصوف؛ هذا هو الصحيح.

وقد قيل: إنه نسبةٌ إلىٰ صوفة القفا.

وقيل: إلىٰ صُوفة بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة ـ قبيلة من العرب ـ؛ كانوا يعرفون بالنسك.

وقيل: إلىٰ أهل الصُّفة.

وقيل: إلىٰ الصفاء.

وقيل: إلىٰ الصفوة.

وقيل: إلىٰ الصف المقدَّم بين يدي اللَّه تعالىٰ.

وهذه أقوال ضعيفة؛ فإنه لو كان كذلك لقيل: صُفِّي، أو صفائي، أو صَفَوي، أو صَفِّي، ولم يُقَل: صوفي.

وصار ـ أيضًا ـ اسم «الفقراء» يُعنىٰ به: أهل السلوك، وهذا عُرفٌ حادث.

وقد تنازع الناس: أيما أفضل: مسمىٰ «الصوفي»، أو مسمىٰ «الفقير»؟

ويتنازعون ـ أيضًا ـ: أيما أفضل: الغني الشاكر، أو الفقير الصابر؟

وهذه المسألة فيها نزاعٌ قديم بين الجُنيد وبين أبي العباس بن عطاء، وقد رُوي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان.

والصواب في هذا كله ما قاله اللَّه ﷻ؛ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الناس أفضل؟ قال: «**أتقاهم**». قيل له: ليس عن هذا نسألُك. فقال: «**يوسف نبي اللَّه ابنُ يعقوبَ نبيِّ اللَّه ابنِ إسحاقَ نبيِّ اللَّه ابنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّه**». فقيل له: ليس عن هذا نسألك. فقال: «**عن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادنُ كمعادن الذهب والفضة؛ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»(١).

فدل الكتاب والسنة [على] أن أكرم الناس عند اللَّه أتقاهم.

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا فضلَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا لأسودَ على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب**»(٢).

وعنه ـ أيضًا ـ ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه تعالى أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية**(٣)**، وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقي**»(٤).

(١) رواه البخاري (٣٣٨٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤١١/٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٠٠/٣)، وفي «المعرفة» (٧٣٠٠)، والحارث في «مسنده» (٥١)، من حديث رجلٍ من الصحابة ﷺ. **وصحَّحه** شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٣/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨٣/٨): «**رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٤٩/٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٧٤/٣٨)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٠٠).

(٣) **العُبِّيَّة**: الكبر والتعالي.

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٣٦١/٢)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٦٠/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٢٧)، =

فمن كان من هذه الأصناف أتقىٰ للَّه فهو أكرم عند اللَّه، وإذا استويا في التقوىٰ استويا في الدرجة.

ولفظ «الفقر» في الشرع يراد به: الفقر من المال، ويراد به: فقر المخلوق إلىٰ خالقه.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد مدح اللَّه تعالىٰ في القرآن صنفين من الفقراء: أهل الصدقات، وأهل الفَيْء:

فقال في الصنف الأول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا(١)﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال في الصنف الثاني ـ وهم أفضل الصنفين ـ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

وهذه صفة المهاجرين الذين هَجَروا السيئات، وجاهدوا أعداء اللَّه باطنًا وظاهرًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**المؤمنُ مَن أَمِنه الناس علىٰ**

= وفي «السنن» (٢٣٢/١٠)، وفي «الآداب» (٤٢٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٨٨/٦)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وحسنه** ـ أيضًا ـ الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٤٩/١٤).

(١) **الإلحاف**: الإلحاح في السؤال.

دمائهم وأموالهم، والمسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ من هجر ما نهىٰ اللَّه عنه، والمجاهدُ من جاهد نفسه في ذات اللَّه[(١)]»[(٢)].

أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**»[(٣)]، فلا أصل له، ولم يروه أحدٌ من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله. وجهاد الكفار من أعظم

(١) في بعض النسخ: «**من جاهد بنفسه في طاعة اللَّه**».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **ضعيف**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٨٥/١٥)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٦٨ ـ تهذيبي)، **وضعَّفه** البيهقي بعد تخريجه، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٣)، ونقل الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٩١) **تضعيف** الإمام النووي له، **وأقرَّه** عليه، **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٤٨٩/١)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط ـ أيضًا ـ في «تحقيقه». وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**إسناده تالف**». وحكم عليه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٦٠) **بالنكارة**. ثم ذكر كلام شيخ الإسلام المذكور هنا.

ولفظ الحديث: عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قدم علىٰ رسول اللَّه ﷺ قومٌ غزاةٌ، فقال ﷺ: «**قدِمتم خيرَ مَقدَمٍ من الجهادِ الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدةُ العبد هواه**».

قلت: وعليه فكلام الإمام رحمه الله بأن هذا الحديث «لا أصل له» فإنما قصد من ناحية معناه ـ لا من ناحية سنده ـ؛ فإن المعنىٰ باطلٌ قطعًا وجزمًا؛ فهو مخالفٌ لنصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة المباركة، وسوف يأتي قريبًا النصُّ «القطعي» أنه لا يوجد عملٌ في الإسلام مثل الجهاد في سبيل اللَّه ﷻ، وأنه ﷺ لما سأله سائلٌ: هل هناك أفضل من الجهاد؟ قالها ﷺ صريحة: «**لا تطيقه**». وفي رواية: «**لا أجده**».

الأعمال؛ بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما أبالي ألَّا أعمل عملًا بعد الإسلام إلَّا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن أعمل عملًا بعد الإسلام إلَّا أن أعمُرَ المسجد الحرام. وقال عليُّ بن أبي طالب: الجهاد في سبيل اللَّه أفضل مما ذكرتما. فقال عمر: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللَّه ﷺ، ولكن إذا قُضيت الصلاة سألته. فسأله، فأنزل اللَّه تعالىٰ هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[(١)].

وفي «الصحيحين» عن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الأعمال أفضل عند اللَّه ﷻ؟ قال: «**الصلاةُ علىٰ وقتها**». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهادُ في سبيل اللَّه**». قال: حدثني بهن رسول اللَّه ﷺ، ولو استزدته لزادني[(٢)].

(١) رواه مسلم (١٨٧٩). (٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمانٌ باللَّه، وجهادٌ في سبيله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**»(١).

وفي «الصحيحين» أن رجلًا قال له ﷺ: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يَعدِلُ الجهادَ في سبيل اللَّه، قال: «**لا تستطيعه**». أو «**لا تطيقه**». قال: فأخبرني به، قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تُفطر، وتقوم ولا تفتُر**(٢)؟»(٣).

وفي السنن عن معاذ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه وصَّاه لمَّا بعثه إلىٰ اليمن؛ فقال: «**يا معاذ، اتق اللَّه حيثما كنت، وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناس بخُلقٍ حسن**»(٤).

(١) رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ومن المضحكات المبكيات أننا سمعنا من بعض ضُلَّال الجماعات المبتدعة في أيامنا هذه ـ وهي المسماة جماعة التبليغ ـ أنهم يقولون: إن مجاهدة النفس أعظم من الجهاد في سبيل اللَّه ﷻ وأعلىٰ أجرًا! ووصل بهم الضلال البعيد أنهم ذهبوا في يوم من الأيام إلىٰ جماعةٍ من المجاهدين في سبيل اللَّه تعالىٰ، وطلبوا منهم أن يتركوا جهاد الكفار، ويخرجوا معهم خروجَهم البدعي ـ كما حكاه عنهم الشيخ التويجري في «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» ص(٤٩) ـ، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه علىٰ ما وصل إليه حال الإسلام، لكن هكذا يكون الأمر حينما يتصدر أهل الجهل للدعوة إلىٰ اللَّه تعالىٰ.

(٣) رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١٥٣/٥)، والدارمي (٢٧٩١)، والترمذي (١٩٨٧)، والحاكم (٥٤/١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٨/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٢٦)، والبزار في «مسنده» (٤٠٢٢)، والقضاعي في «الشهاب» (٦٥٢). وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصححه** الحاكم، =

وقال: «**يا معاذ، إني لأحبُّك، فلا تدعْ أن تقول في دبر كل صلاة**[(١)]: **اللهم أعنِّي علىٰ ذِكرك وشكرك وحُسن عبادتك**»[(٢)].

وقال له ـ وهو رديفه ـ: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللَّه علىٰ عباده؟**». قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حقُّه عليهم أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق العباد علىٰ اللَّه إذا فعلوا ذلك؟**». قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حقُّهم عليه ألَّا يعذبهم**»[(٣)].

وقال ـ أيضًا ـ لمعاذ: «**رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذِروةُ سنامه الجهاد في سبيل اللَّه**». وقال[(٤)]: «**يا معاذ، أَلَا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جُنَّةٌ**[(٥)]، **والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار،**

= **ووافقه** الذهبي، وكذا **صححه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٢٨٤).

(١) أي: بعد التشهد في آخر الصلاة.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٢٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٨٥٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٩)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦١)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والحاكم (١/٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٠)، وفي «الدعاء» (٦٥٤)، وفي «الشاميين» (١٦٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٤١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١١٨)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وأقرَّ** الحافظُ ابن حجر ابنَ حبان والحاكم علىٰ التصحيح في «فتح الباري» (١١/١٣٣). **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٦/٤٣٠).

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) هذا بقية الحديث.

(٥) **الجُنَّة**: الوقاية من العذاب.

وقيامُ الرجل في جوف الليل[١]». ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

ثم قال: «**يا معاذ، ألا أخبرك بمِلاكِ ذلك كله**[٢]؟[٣]». قلت: بلىٰ! فقال: «**أمسك عليك لسانك هذا**»، فأخذ بلسانه[٤]، قال: يا رسول اللَّه، وإنَّا لمؤاخَذون بما نتكلم به[٥]؟ فقال: «**ثكلتك أمُّك ـ يا معاذ ـ! وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم**»[٦].

وتفسير هذا ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**مَن كان يؤمنُ باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٧].

فالتكلمُ بالخير خيرٌ من السكوت عنه، والصمت عن الشر خيرٌ من التكلُّم به، فأما الصمت الدائم فبدعةٌ منهيٌّ عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء؛ فذلك من البدع المذمومة ـ أيضًا ـ.

كما ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) أي: يطفئ الخطيئة ـ أيضًا ـ.

(٢) في بعض النسخ: «**أَلَا أخبرك بما هو أملكُ لك من ذلك؟**».

(٣) أي: بما يملك عليك ذلك كلَّه ويحفظه.

(٤) أي: بلسانه هو ﷺ.

(٥) إنما قصد معاذٌ فضول الكلام الذي لا فائدة منه، ولم يقصد الحرام الظاهر، فإن هذا لا يَسألُ عن المعاقَبةِ به عاقل.

(٦) **صحيح**: وقد تقدم.

(٧) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رأىٰ رجلًا قائمًا في الشمس، فقال: «**ما هذا؟**»، فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مُروهُ فلْيَجلس، ولْيَستظلَّ، ولْيَتكلَّمْ، ولْيُتمَّ صومَه**»(١).

وثبت في «الصحيحين» عن أنس: أن رجالًا سألوا عن عبادة رسول اللَّه ﷺ، فكأنهم تَقَالُّوها(٢)، فقالوا: وأيُّنا مثل رسول اللَّه ﷺ؟! ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر. وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام. وقال الآخر: أما أنا فلا آكُل اللحم. وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بالُ رجالٍ يقول أحدهم: كذا وكذا؟! ولكني أصوم وأفطر، وأقومُ وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٣).

فقوله: «**فمن رغب عن سُنتي فليس مني**»، أي: من سلك غيرها ظانًّا أن غيرها خيرٌ منها، فمن كان كذلك فهو بريءٌ من اللَّه ورسوله(٤)، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]؛ بل يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلامُ اللَّه، وخير الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ، كما ثبت عنه في «الصحيح» أنه كان يخطب بذلك كلَّ يوم جمعة(٥).

(١) رواه البخاري (٦٧٠٤).

(٢) أي: رأَوْها قليلةً.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٤) وقال رحمه الله - أيضًا - في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠٣/٢٤): «من تبيَّنت له السنة، فظن أن غيرها خيرٌ منها فهو ضالٌّ مبتدعٌ؛ بل كافر» اهـ.

(٥) رواه مسلم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

تنبيه: ليس في الحديث التصريح بأنه ﷺ كان يخطب بذلك كل جمعة؛ =



= بل فيه أنه كان إذا خطب ـ هكذا عامةً في الجمعة وغيرها ـ قال هذه الكلمة. وكذلك لا تفيد ملازمة ذلك في كلِّ خطبة.
وانظر ـ للفائدة ـ: «تصحيح الدعاء» للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (٤٥٤).

فصل

وليس من شرط وليِّ اللَّه أن يكون معصومًا لا يَغلَط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفىٰ عليه بعضُ علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعضُ أمور الدين، حتىٰ يحسب بعضَ الأمور مما أمر اللَّه به، وتكون مما نهىٰ اللَّه عنه(١)، ويجوز أن يَظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء اللَّه تعالىٰ، وتكون من الشيطان لَبَّسها عليه لنقص درجته، ولا يَعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن وَلاية اللَّه تعالىٰ؛ فإن اللَّه ﷻ تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه(٢).

فقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

(١) هكذا في النسخة المحققة، وجاءت في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٠١/١١): «حتىٰ يحسب بعض الأمور مما أمر اللَّه به ومما نهىٰ عنه» اهـ. ويكون المراد: حتىٰ يحسب بعض الأمور ـ مما لم يرد في الشرع ـ من المأمورات أو المنهيات، وهي في الحقيقة ليست كذلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٩٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم (١٩٨/٢)، والطبراني في «الصغير» (٧٦٥)، والدَّارَقُطْني (٤٣٥١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٥٦/٧)، وابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (١٤٩/٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٢٠١/٣).

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

وقد ثبت في «الصحيح»[(١)] أن اللَّه ـ سبحانه ـ استجاب هذا الدعاء، وقال: «**قد فعلت**»[(٢)].

ففي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة] قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخلها قبل ذلك شيءٌ أشد منه، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمْنا**». قال: فألقىٰ اللَّه الإيمان في قلوبهم؛ فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال اللَّه: «**قد فعلت**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: «**قد فعلت**»: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: «**قد فعلت**»[(٣)].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

(١) في بعض المطبوعات: «الصحيحين»، وهو خطأ، فليس هو في البخاري.

(٢) انظر التالي.

(٣) رواه مسلم (١٢٦).

وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر**»[(١)]؛ فلم يؤثِّم المجتهد المخطئ؛ بل جعل له أجرًا علىٰ اجتهاده، وجعل خطأه مغفورًا له، ولكنَّ المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان وليُّ اللَّه يجوز أن يغلط، لم يجب علىٰ الناس الإيمانُ بجميع ما يقوله من هو وليٌّ للَّه إلَّا أن يكون نبيًّا[(٢)]؛ بل ولا يجوز لوليِّ اللَّه أن يعتمد علىٰ ما يُلقىٰ إليه في قلبه إلَّا أن يكون موافقًا للشرع، وعلىٰ ما يقع له مما يراه إلهامًا ومحادثةً وخطابًا من الحق؛ بل يجب عليه أن يَعرضَ ذلك جميعه علىٰ ما جاء به محمد ﷺ، فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافقٌ هو أم مخالفٌ توقف فيه.

[أصناف الناس مع الأكابر والأولياء]:

والناس في [هذا] الباب ثلاثة أصناف: طرفان، ووسط:

١ ـ فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه وليٌّ للَّه وافقه في كل ما يظنُّ أنه حَدَّث به قلبُه عن ربه، وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

٢ ـ ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية اللَّه بالكلية ـ وإن كان مجتهدًا مخطئًا ـ.

٣ ـ وخيار الأمور أوساطها، وهو ألَّا يُجعل معصومًا ولا مأثومًا

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) وردت الجملة في المطبوع و«الفتاوىٰ» (١١/٢٠٣): «لئلا يكون نبيًّا»، أي: حتىٰ لا ينزلوه منزلة النبي ﷺ.

ـ إذا كان مجتهدًا مخطئًا ـ، فلا يُتبع في كل ما يقوله، ولا يُحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده.

والواجب علىٰ الناس اتباع ما بعث اللَّه به رسولَه. وأما إذا خالف [الإنسانُ] قولَ بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين= لم يكن لأحدٍ أن يُلزِمَه بقول المخالف ويقول: «هذاخالف الشرع».

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ فعمرُ منهم**»(١).

وروىٰ الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو لم أُبعث فيكم لبُعث فيكم عمر**»(٢).

وفي حديثٍ آخر: «**إن اللَّه ضَرَب الحقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه**»(٣).

(١) رواه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **موضوع**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/٣٢٤)، وابن عساكر في «التاريخ» (٤٤/١١٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣٢٠)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وقال ابن عدي: «**لا يصح**». وحكم عليه ابن الجوزي **بالوضع**. وانظر ـ أيضًا ـ: «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (١/٣٠٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٤٠١)، وعبداللَّه بن أحمد في «زوائده» علىٰ «فضائل الصحابة» ـ لأبيه ـ (٣١٥)، والقَطِيعي في زياداته عليه (٥٢٥)، وعبد بن حميد (٨٥٧)، وابن أبي شيبة (٦/٣٥٥)، وابن حِبَّان (٦٨٨٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٣٥)، أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٢٧)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٨/١٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٧٥)، والدينوري في «المجالسة» (١٨٢ ـ تهذيبي)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٩/١٤٤)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» =

وفيه: «**لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر**»(١).

▫ وكان عليُّ بن أبي طالب ﷺ يقول: «ما كنا نُبعِدُ أنَّ السكينة تَنطق علىٰ لسان عمر». ثبت هذا عنه من رواية الشعبي.

▫ وقال ابن عمر: «ما كان عمر يقول في شيء: إني لأُراه كذا، إلا كان كما يقول».

▫ وعن قيس بن طارق قال: «كنا نتحدث أن عمر ينطقُ علىٰ لسانه مَلَك».

▫ وكان عمرُ يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون؛ فإنه تتجلىٰ لهم أمورٌ صادقة».

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ﷺ أنها تتجلىٰ للمطيعين هي الأمور التي يَكشفُها اللَّه ﷻ لهم؛ فقد ثبت أن

= (١٧٣٦)، **وحسَّنه** الشيخ مشهور آل سلمان في «المجالسة» (٥٦/٢).

(١) **حسن**: رواه أحمد (١٥٤/٤)، وفي «الفضائل» (٤٩٨)، والتِّرمذي (٣٦٨٦)، والفسوي في «المعرفة» (٤٦٢/١)، وابن عساكر في «تاريخه» (١١٥/٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٨/١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٢٠٣)، والحاكم (٨٥/٣)، والبيهقي في «المدخل» ص(١٢٤)، والروياني (٢١٤)، وابن شاهين في «مذاهب أهل السنة» (١٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٩١)، والخطيب في «الموضح» (٤٧/٢)، وقِوَام السُّنة في «الحجة في بيان المحجة» (٣٤١)، والدينوري في «المجالسة» (١٩٩ ـ تهذيبي)، من حديث عقبة بن عامر ﷺ. وقال التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٢٤/٢٨)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٨٦/٢).

لأولياء اللَّه مخاطباتٍ ومكاشفات. وأفضل هؤلاء في هذه الأمة ـ بعد أبي بكر ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

وقد ثبت في «الصحيح» تعيينُ عمر بأنه محدَّثٌ في هذه الأمة[١]، فأي محدَّث ومخاطب فُرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيَعرض ما يقع له علىٰ ما جاء به الرسول ﷺ، فتارةً يوافقه؛ فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته غيره مرة، وتارةً يخالفه؛ فيرجع عمرُ عن ذلك، كما رجع يوم الحديبية لمَّا كان قد رأىٰ محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره؛ فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ستٍّ من الهجرة ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمئة ـ وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ـ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعةٍ جرت بينه وبينهم علىٰ أن يرجع في ذلك العام، ويعتمرَ من العام القابل، وشَرَط لهم شروطًا فيها نوعُ غضاضةٍ علىٰ المسلمين في الظاهر، فشق ذلك علىٰ كثير من المسلمين، وكان اللَّه ورسوله أعلمَ وأحكمَ بما في ذلك من المصلحة، وكان عمر فيمن كَرِه ذلك، حتىٰ قال للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه، ألسنا علىٰ الحق وعدوُّنا علىٰ الباطل؟ قال: «بلىٰ»، قال: أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلىٰ»، قال: فعلام نُعطي الدنيَّةَ في ديننا[٢]؟! فقال له النبي ﷺ: «**إني رسولُ اللَّه، وهو ناصري، ولست**

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الدنية**: النقيصة؛ وذلك بأن نردَّ من استجار بنا.

أَعصيه». ثم قال: أفلم تكن تحدِّثُنا أنَّا نأتي البيت ونُطوِّفُ به؟ قال: «بلىٰ». قال: «**أقلتُ لك: إنك تأتيه العامَ؟**»، قال: لا، قال: «**إنك آتيه ومُطوِّفٌ به**». فذهب عمر إلىٰ أبي بكر ﷺ، فقال له مثلما قال للنبي ﷺ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ - ولم يكن أبو بكر يسمع جوابَ النبي ﷺ -، فكان أبو بكر ﷺ أكمل موافقةً للَّه وللنبي ﷺ من عمر، وعمر ﷺ رجع عن ذلك، وقال: فعملتُ لذلك أعمالًا[(١)].

وكذلك لما مات النبي ﷺ أنكر عمرُ موته أولًا، فلما قال أبو بكر: «إنه مات» رجع عمر عن ذلك[(٢)].

وكذلك في قتال مانعي الزكاة، قال عمر لأبي بكر: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتىٰ يشهدوا ألَّا إلٰه إلا اللَّه، وأني رسولُ اللَّه، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»؟ فقال له أبو بكر ﷺ: ألم يقل: «**إلَّا بحقِّها**»؟! فإن الزكاة من حقها، واللَّهِ لو منعوني عَناقًا[(٣)] كانوا يؤدُّونها إلىٰ رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها. قال عمر: فواللَّهِ ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمتُ أنه الحق[(٤)].

ولهذا نظائر تبيِّن تقدُّمَ أبي بكر علىٰ عمر، مع أن عمر ﷺ مُحدَّث، فإن مرتبة «الصدِّيق» فوق مرتبة «المحدَّث»؛ لأن الصديق

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٧)، من حديث أمِّنا عائشة ﷺ.

(٣) **العَناق**: أُنثىٰ الماعز. يقصد: من نصاب الزكاة.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

يتلقىٰ عن الرسول المعصوم كلَّ ما يقوله ويفعله، والمحدَّث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبُه ليس بمعصوم؛ فيحتاج أن يعرضه علىٰ ما جاء به النبيُّ المعصوم ﷺ، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء، فيَحتجُّ عليهم، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويُقرِّرهم علىٰ منازعته، ولا يقول لهم: «أنا محدَّث ملهَم مخاطَب؛ فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني».

فأيُّ أحدٍ ادَّعىٰ أو ادَّعىٰ له أصحابُه أنه وليٌّ للَّه، وأنه مخاطَبٌ يجب علىٰ أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلِّموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسُّنة= فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس[1]، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه، وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله، ويعرضون ما يقول هو علىٰ الكتاب والسُّنة[2]، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها علىٰ أن كل أحدٍ يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم؛ فإن الأنبياء ـ صلوات اللَّه عليهم وسلامه ـ يجب لهم الإيمانُ بجميع ما يخبِرون به عن اللَّه ﷻ، وتجبُ طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء؛ فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به؛ بل يُعرَضُ أمرهم وخبرهم علىٰ الكتاب والسنة، فما وافق

(١) في النسخة المحققة: «ولو قُدِّر هذا من أفضل الناس». وكلاهما صحيح.

(٢) كذا في النسخة المحققة، وجاءت في المطبوع و«الفتاوىٰ» (٢٠١/١١): «وهو وهم علىٰ الكتاب والسنة».

الكتاب والسنة وجب قبولُه، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودًا ـ وإن كان صاحبه من أولياء اللَّه، وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله، له أجرٌ علىٰ اجتهاده ـ، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئًا، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقىٰ اللَّه ما استطاع؛ فإن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

□ قال ابن مسعود وغيره: «﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يُطاع فلا يعصىٰ، وأن يُذكر فلا ينسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر».

أي: بحسب استطاعتكم؛ فإن اللَّه تعالىٰ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقد ذكر اللَّه ﷻ الإيمان بما جاء به الأنبياء في غير موضع:

كقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وهذا الذي ذكرتُه ـ من أن أولياء اللَّه يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصومٌ يسوغ له أو لغيره اتباعُ ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة ـ هو مما اتفق عليه أولياء اللَّه ﷻ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء اللَّه ـ سبحانه ـ الذين أَمَر اللَّه باتباعهم؛ بل إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مُفرِطًا في الجهل.

وهذا كثيرٌ في كلام المشايخ.

▫ كقول الشيخ أبي سليمانَ الداراني: «إنه ليقع في قلبي النكتةُ من نكت القوم[1]؛ فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة».

▫ وقال أبو القاسم الجُنيد ـ رحمة اللَّه عليه ـ: «عِلمُنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا». أو قال: «لا يُقتدىٰ به».

▫ وقال أبو عثمان النَّيسابوري: «مَن أمَّر السُّنة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوىٰ علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق

(١) النكتة: الفائدة اللطيفة.

بالبدعة؛ لأن اللَّه تعالىٰ يقول[(١)]: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤][(٢)]».

▫ وقال أبو عمرو بن نُجيد: «كلُّ وَجْدٍ[(٣)] لا يَشهدُ له الكتاب والسنة فهو باطل».

وكثيرٌ من الناس يغلط في هذا الموضع؛ فيظن في شخص أنه وليٌّ للَّه، ويظن أن وليَّ اللَّه يُقبل منه كلُّ ما يقوله، ويسلَّم إليه كل ما يفعلُه ـ وإن خالف الكتاب والسنة ـ؛ فيوافق ذلك الشخص، ويخالف ما بعث اللَّه به رسوله ﷺ الذي فرض اللَّه علىٰ جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء اللَّه المتقين، وجُنده المفلحين، وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء اللَّه الخاسرين المجرمين، فتجرُّه مخالفةُ الرسول وموافقةُ ذلك الشخص أولًا إلىٰ البدعة والضلال، وآخرًا إلىٰ الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قولِه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

(١) ورد في المطبوع و«الفتاوىٰ» (٢١٠/١١): «يقول في كلامه القديم»، وليست في النسخة المحققة، ولا في المصادر الآتية.

(٢) في النسخة المحققة ورد بدلًا من هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]. والمثبت أصح، فانظر: «الحلية» لأبي نعيم (٢٤٤/١٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (١٠٥/٤)، و«رسالة القشيري» ص(٢٦)، و«الاعتصام» للشاطبي (١٦٥/١).

(٣) **الوَجْد**: ما يجده الإنسان في قلبه، كالإلهام.

جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وهؤلاء مشابهون للنصارىٰ الذين قال اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وفي «المسند» ـ وصححه الترمذي ـ عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية لما سأل النبيَّ ﷺ عنها، فقال: ما عبدوهم! فقال النبي ﷺ: «**أحلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال؛ فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتَهم إياهم**»(١).

ولهذا قيل في مثل هؤلاء: «إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول»؛ فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ؛ فلابد من الإيمان باللَّه ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ، فلابد من الإيمان بأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ إلىٰ جميع الخلق إنسهم وجنهم، وعربهم

(١) **حسن**: وقد تقدم.

وعجمهم، علمائهم وعُبَّادهم، ملوكهم وسُوقتهم، وأنه لا طريق إلىٰ اللَّه ﷻ لأحدٍ من الخلق إلا بمتابعته باطنًا وظاهرًا، حتىٰ لو أدركه موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما من الأنبياء= لوجب عليهم اتباعه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ(١) قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

▫ قال ابن عباس ﷺ: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولينصُرَنَّه، وأمره أن يأخذ علىٰ أمته الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهم أحياءٌ ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه».

وقد قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا(٢) ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا(٣) ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

(١) ﴿إِصْرِى﴾: عهدي.

(٢) ﴿إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾: حقًّا وصوابًا. وقيل: مداراةً ومصانعةً.

(٣) ﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: كلامًا رادعًا بيِّنًا.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

وكلُّ من خالف شيئًا مما جاء به الرسول مقلِّدًا في ذلك لمن يظن أنه وليٌّ للَّه، فإنه بنىٰ أمره علىٰ أنه وليٌّ للَّه، وأن ولي اللَّه لا يخالَف في شيء! ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء اللَّه ـ كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ لم يُقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟!

وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًّا للَّه أنه قد صدر عنه مكاشفةٌ في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة؛ مثل أن يشير إلىٰ شخصٍ فيموت، أو يطير في الهواء إلىٰ مكة أو غيرها، أو يمشي علىٰ الماء أحيانًا، أو يملأ إبريقًا من الهواء، أو يُنفق بعض الأوقات من الغيب[1]، أو أن يختفي أحيانًا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائبٌ أو ميت، فرآه قد جاءه فقضىٰ حاجته، أو يخبر الناسَ بما سُرق لهم، أو بحالِ غائبٍ لهم أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور.

وليس في شيء من هذه الأمور ما يدلُّ علىٰ أن صاحبها وليٌّ للَّه؛ بل قد اتفق أولياءُ اللَّه علىٰ أن الرجل لو طار في الهواء أو مشىٰ علىٰ الماء، لم يُغترَّ به حتىٰ يُنظر متابعتُه لرسول اللَّه ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

وكراماتُ أولياء اللَّه تعالىٰ أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة، وإن كان قد يكون صاحبها وليًّا للَّه، فقد يكون

(١) أي: يختفي عن أعينهم قليلًا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

عدوًّا للَّه؛ فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يُظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليٌّ للَّه؛ بل يُعتبر أولياء اللَّه بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويُعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال ذلك: أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص، ويكون أحدهم لا يتوضأ؛ ولا يصلي الصلوات المكتوبة؛ بل يكون ملابسًا للنجاسات، معاشرًا للكلاب، يأوي إلىٰ الحمامات والقمَّامين[(١)] والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف.

وقد قال النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيه جُنبٌ ولا كلب**»[(٢)].

(١) أي: أهل القاذورات.

(٢) **حسن ـ دون ذكر الجُنب ـ**: رواه أحمد (٨٣/١)، والطيالسي (١١٠)، وأبو داود (٢٢٧)، والنسائي (٢٦١)، وفي «الكبرىٰ» (٢٥٣)، وأبو يعلىٰ (٣١٣)، وابن حبان (١٢٠٥)، والحاكم (١٧١/١)، والدارمي (٢٦٦٣)، والبزار (٨٨١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٣٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣١٠/١)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، مع أنه طعن في أحد رواته في «الميزان» ـ كما في «تحقيق المسند» ـ! **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «السنن»، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٥/٢) دون جملة «الجُنب».
والحديث رواه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر الجنب. =

وقال عن هذه الأَخْلية[١]: «**إن هذه الحشوشَ مُحتَضَرةٌ**»[٢]. أي يحضرها الشيطان.

وقال: «**مَن أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يَقرَبَنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكةَ تتأذىٰ مما يتأذَّىٰ منه بنو آدم**»[٣].

وقال: «**إن اللَّهَ طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا**»[٤].

وقال: «**إن اللَّهَ نظيفٌ يحبُّ النظافة**»[٥].

= وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ.

(١) **الأخلية**: أمكان قضاء الحاجة.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣٦٩/٤)، وابن أبي شيبة (١/١)، وأبو داود (٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٩٠٦)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٨)، وابن ماجه بعد (٢٩٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٥١١٥)، وفي «الدعاء» (٣٦٣)، وفي «الشاميين» (٢٦٩٤)، وابن خزيمة (٦٩)، وابن حِبَّان (١٤٠٦)، والحاكم (١٨٧/١)، والخطيب في «التاريخ» (٣٠١/١٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩٦/١)، والدينوري في «المجالسة» (٣٥٨٦ ـ تهذيبي)، من حديث زيد بن أرقم ﷺ. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٦٣)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/١)، وقال الشيخ مشهور في «المجالسة» (١٨٣/٨): «صحيح إن سلم من الاضطراب». وانظر: تحقيق «المسند» (٨٠/٣٢)، وتحقيق سنن أبي داود (٦/١ ـ الرسالة).

(٣) رواه ـ بنحوه ـ البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١)، من حديث ابن عمر ﷺ.

وانظر: «المسند» (٣٥٢/٢٣)، و(١٨٠/٢٦).

(٤) رواه مسلم (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) **ضعيف**: رواه الترمذي (٢٧٩٩)، وأبو يعلىٰ (٧٩١)، والبزار (١١١٤)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٥٥)، والدولابي في «الكُنىٰ» =

وقال: «**خمسٌ من الفواسق[١] يُقتلن في الحِلِّ والحرم: الحيةُ، والفأرة، والغُراب، والحُدَأةُ، والكلب العقور**». وفي رواية: «**الحية، والعقرب**»[٢].

وأَمَر ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ بقتل الكلب[٣].

وقال: «**من اقتنىٰ كلبًا لا يُغني عنه زرعًا ولا ضَرْعًا[٤]، نَقص من عمله كلَّ يوم قيراط**»[٥].

وقال: «**لا تصحبُ الملائكةُ رُفقةً معهم كلبٌ**»[٦].

وقال: «**إذا ولغ الكلبُ في إناء أحدكم، فلْيَغسِلْه سبع مراتٍ إحداهن بالتراب**»[٧].

= (١٠٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (٤١٤/٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ. **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦١٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن الترمذي» (٨٤/٥).
ورواه ابن عدي ـ أيضًا ـ (٥١٠/٦)، من حديث ابن عمر ﷺ، **وضعَّفه**، وكذا فعل الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٧٠٨٦).

(١) سُميت هكذا لأنها تخرج علىٰ الناس بالإضرار؛ لأن «الفسق» ـ لغةً ـ: الخروج.

(٢) رواه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨)، من حديث أمنا عائشة ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٠)، من حديث ابن عمر ﷺ.

(٤) **ضَرْعًا**: كناية عن الماشية. أي: كلب حراسةٍ للماشية.

(٥) رواه البخاري (٢٣٢٣)، ومسلم (١٥٧٦)، من حديث سفيان بن أبي زُهير ﷺ.

(٦) رواه مسلم (٢١١٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) رواه ـ بنحوه ـ مسلم (٢٨٠)، من حديث عبداللَّه بن مغفَّل ﷺ.
وانظر اختلاف الروايات حول موضع غسلة التراب في «مسند الإمام أحمد» (٤٥/١٣ ـ الرسالة). والمسألة مبسوطة في مصنفات الفقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ[1] فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ[2] وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلىٰ الحمامات والحشوش التي تحضُرُها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير، ويقتني[3] الكلاب ـ التي هي خبائث وفواسق ـ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبُّها الشيطان، أو يدعو غير اللَّه؛ فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد إلىٰ ناحية شيخه، ولا يُخلص الدين لربِّ العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلىٰ المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلىٰ المقابر ـ ولا سيما إلىٰ مقابر الكفار من اليهود والنصارىٰ أو المشركين ـ، أو يكره سماع القرآن ويَنفرُ عنه، ويقدِّم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويُؤثِر سماع مزامير الشيطان علىٰ

(١) **الإصر والأغلال**: التشديدات والمشقات الذي كان عليهم في شريعتهم.

(٢) **التعزير**: الاحترام والتوقير.

(٣) في النسخة المحققة: «وآذان»، وفي المطبوع و«الفتاوىٰ» (١١/٢١٠): «وإذ أن...»، وقال بعض من علقوا علىٰ «الفتاوىٰ»: «هكذا بالأصل». والظاهر أن الصواب ما أثبتُّه ـ أو ما يشبه معناه ـ؛ لأن الإمام يذكر بإجمال ما أورد فيه الأدلة السابقة ـ كما هو ظاهرٌ من السياق ـ، واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

سماع كلام الرَّحمٰن= فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرَّحمٰن.

▫ قال ابن مسعود ﷺ: «لا يسأل أحدُكم عن نفسه إلَّا القرآن، فإن كان يحبُّ القرآن[1] فهو يحب اللَّه [ورسوله]، وإن كان يُبغض القرآن فهو يبغض اللَّه ورسوله».

▫ وقال عثمان بن عفان ﷺ: «لو طهرت قلوبُنا لَمَا شبعت من كلام اللَّه ﷻ».

▫ وقال ابن مسعود: «الذِّكرُ يُنبت الإيمانَ في القلب كما ينبت الماءُ البَقْل، والغناء يُنبت النفاق في القلب كما ينبت الماءُ البقل».

وإن كان الرجل خبيرًا بحقائق الإيمان الباطنة، فارقًا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية، فيكون قد قذف اللَّه في قلبه من نوره.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ[2] وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخُدْري، عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا فراسةَ المؤمن؛ فإنه**

(١) المقصود: يحبُّ العمل بأوامره، ولا يتضجر منها، ولا يراها ثقيلةً علىٰ نفسه وقلبه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) ﴿كِفْلَيْنِ﴾: أجرين؛ لإيمانكم بعيسىٰ عليه السلام، وبمحمدٍ ﷺ.

ينظرُ بنُور اللَّه»، قال الترمذي: «حديث حسن»[(١)].

وقد تقدَّم الحديث الصحيح ـ الذي في البخاري وغيره ـ قال [ﷺ] فيه: «**لا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها، فبي يَسمع، وبي يُبصِرُ، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددتُ في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قَبض نفس عبدي المؤمن؛ يكرهُ الموت، وأكره مَساءتَه،**

(١) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه البخاري في «التاريخ» (٣٥٤/٧)، والتِّرمذي (٣١٢٧)، والطبري (٥٢٨/٧)، والخطيب في «التاريخ» (٣١٣/٤). وقال الإمام التِّرمذي: «**غريب**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٣٥٤/٥)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذلك الشيخ خلدون الأحدب في: «زوائد تاريخ بغداد علىٰ الكتب الستة» (٣٤٠/٤).

تنبيه: رأينا أن الإمام الترمذي استغربه، خلافًا ما ذكره الإمام من التحسين. وكلام الترمذي أثبتُّه من النسخة المحققة، طبعة «مؤسسة الرسالة».

وورد الحديث من رواية أبي أمامة ﷺ: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢/٨)، و«الأوسط» (٣٢٨٧)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٥ ـ تهذيبي)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٠٠٩ ـ تهذيبي)، **وحسَّنه** الأئمة: الهيثمي في «المجمع» (٤٧٣/١٠)، ابن عرَّاق في «تنزيه الشريعة» (٣٠٦/٢)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٢٤٤)، والسيوطي في «اللآلئ» (٣٣٠/٢). **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣٣٥/٢١).

وانظر: تحقيق «الطرُق الحكمية في السياسة الشرعية» للإمام ابن القيم (٢٨/١ ـ ط: عالم الفوائد).

ولابد له منه»[(١)].

فإذا كان العبدُ من هؤلاء فَرَّق بين حال أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، كما يفرِّق الصَّيرفيُّ[(٢)] بين الدرهم الجيد والدرهم الزَّيْف، وكما يفرِّق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق بين النبيِّ الصادق وبين المتنبئ الكذاب، فيفرِّق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسىٰ والمسيح... وغيرهم، وبين مسيلِمة الكذاب، والأسود العَنْسي، وطُليحة الأسدي، والحارث الدمشقي، وباباه الرُّومي، وغيرهم من الكذَّابين، وكذلك يفرِّق بين أولياء اللَّه المتقين وأولياء الشيطان الضالين.



(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **الصَّيرفي**: الخبير بالأموال.

فصل



والحقيقة ـ حقيقة الدين، دين رب العالمين ـ: هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكلٍّ منهم شِرعةٌ ومنهاج.

فـ«**الشرعة**»: هي الشريعة.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

و«**المنهاج**»: هو الطريق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا(١) ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ(٢) وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا(٣) ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي يُسلَكُ فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام؛ فإن دين الإسلام هو أن يستسلم العبد للَّه رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، واللَّهُ ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦].

ومن لم يستسلم للَّه ـ بل استكبر عن عبادته ـ كان ممن قال

(١) ﴿غَدَقًا﴾: كثيرًا. والمراد: عيشًا هنيئًا.

(٢) أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيما أنعمنا عليهم.

(٣) ﴿صَعَدًا﴾: شاقًّا لا راحة فيه. عياذًا باللَّه الكريم.

اللَّه فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] عام في كل زمانٍ ومكان.

فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسىٰ وعيسىٰ والحواريون كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

قال اللَّه تعالىٰ عن نوح: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

وقال السحرة: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

وقال تعالىٰ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الحواريُّون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

فدين الأنبياء واحدٌ وإن تنوَّعت شرائعهم، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «**إنَّا ـ معشر الأنبياء ـ دينُنا واحد**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ (٢) كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون].



(١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ﴿أَمۡرَهُم﴾: دينهم. ﴿زُبُرٗا﴾: فِرَقًا وأحزابًا.

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء اللَّه تعالىٰ: علىٰ أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب اللَّه عباده السعداءَ المنعَمَ عليهم أربعَ مراتب:

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

وفي الحديث: «**ما طلعتِ الشمسُ ولا غَرَبت علىٰ أحدٍ ـ بعد النبيين والمرسلين ـ أفضلَ من أبي بكر**»(١).

وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث الذي في «المسند»: «**أنتم تُوَفُّون**

(١) **ضعيف**: رواه أحمد في «الفضائل» (١٣٥)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٤٣٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/٣٢٥)، وفي «فضائل الخلفاء» (٩)، وعبد بن حميد (٢١٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٤)، والآجُرِّي في «الشريعة» (١٣٠٩)، وابن بشران في «الأمالي» (٥٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٤٤٠)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١٦٨٣ ـ تهذيبي)، وفي «الرحلة في طلب الحديث» (٨١)، من حديث أبي الدرداء ﷺ. **وضعَّفه** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذا الشيخ وصي اللَّه عباس في تحقيق «فضائل الصحابة».

سبعين أمةً، أنتم خيرُها وأكرمُها علىٰ اللَّه»[(١)].

وأفضل أمة محمد ﷺ هم القرنُ الأول.

وقد ثبت عن النبي ﷺ ـ من غير وجهٍ ـ أنه قال: «**خيرُ القرون**[(٢)] **القرنُ الذي بعثتُ فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٣)].

وهذا ثابت في «الصحيحين» من غير وجه.

وفي «الصحيحين»[(٤)] ـ أيضًا ـ عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مِثلُ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه**[(٥)]».

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/٤٤٧)، وفي «الفضائل» (١٧١٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/١١٤)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (٤٨)، والتِّرمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧)، والدارمي (٢٨٠٢)، وعبد بن حميد (٤٠٩)، والحاكم (٤/٨٤)، والروياني (٩٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٤١٩)، وفي «الأوسط» (١٤١٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/٨)، من حديث معاوية بن حَيدة رضي الله عنه، **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣/٢١٩)، والشيخ الألباني عند الترمذي.

(٢) أفاد شيخنا أبو إسحاق الحويني ـ حفظه اللَّه ـ أنه لم يثبت في طرق الحديث لفظ: «**القرون**»، وإنما الصحيح لفظ: «**الناس**».

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) **المُدُّ**: إناء مكعبٌ معلوم. **النصيف**: النصف. =

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون الأولون: الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية؛ فإنه كان أولَ فتح مكة، وفيه أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح]، فقالوا: يا رسول اللَّه، أوَ فَتحٌ هو؟! قال: «نعم»(١).

وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمة الأمة وجماهيرها، وقد دلت علىٰ ذلك دلائل بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية، في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية».

وبالجملة: اتفقت طوائف السنة والشيعة علىٰ أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحدٌ من الخلفاء، ولا يكون مَن بعد الصحابة أفضل مِن الصحابة.

وأفضل أولياء اللَّه تعالىٰ أعظمُهم معرفةً بما جاء به الرسول ﷺ

= والمراد: أن القليل الذي ينفقه الصحابيُّ ﷺ خيرٌ من الكثير الذي ينفقه غيره؛ فهم الذين بنَوا الإسلام، وشيَّدوا أركانه، ويكفيهم فضلًا عن هذا شرفُ الصحبة التي لا ينافسهم فيها أحدٌ مهما كان ﷺ.

(١) رواه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، من حديث سهل بن حُنيف ﷺ.

واتباعًا له، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكملُ معرفةً بما جاء به وعملًا به، فهو أفضل أولياء اللَّه؛ إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضلَ الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ظن طائفةٌ غالطةٌ أن «خاتم الأولياء» أفضل الأولياء قياسًا علىٰ خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفةٌ من المتأخرين يزعم كلُّ واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم باللَّه، وأن الأنبياء يستفيدون العلم باللَّه من جهته ـ كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» ـ؛ فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء اللَّه تعالىٰ وأوليائه، كما يقال لمن قال: «فخرَّ عليهم السقف من تحتهم»: لا عقل ولا قرآن!

ذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة، والأنبياء عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل من الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم؟ والأولياء إنما يستفيدون معرفة اللَّه ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخِرُ الأولياء أفضلهم، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم؛ فإن فضل محمد ﷺ علىٰ سائر الأنبياء ثبت بالنصوص الدالة علىٰ ذلك.

كقوله ﷺ: «**أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ**»[1].

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢٨٢/١) ـ واللفظ له ـ، والطيالسي (٢٧١١)، وابن أبي شيبة (١٣٥/١٤)، وعبد بن حميد (٦٩٥)، والتِّرمذي (٣٦١٦)، وأبو =

وقوله: «**آتي بابَ الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ ألَّا أفتح لأحدٍ قبلَك**»[(١)].

وليلة المعراج رفع اللَّه درجته فوق الأنبياء كلهم؛ فكان أحقَّهم بقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلىٰ غير ذلك من الدلائل.

والأنبياءُ كلُّ منهم يأتيه الوحي من اللَّه، لا سيما ومحمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجًا إلىٰ غيره؛ فلم تحتج شريعته إلىٰ نبيٍّ سابق ولا إلىٰ لاحق، بخلاف المسيح أحالهم في أكثر الشريعة علىٰ التوراة، وشريعة التوراة جاء المسيح يكمِّلها؛ ولهذا كان النصارىٰ محتاجين إلىٰ النبوات المتقدمة علىٰ المسيح ـ كالتوراة والزبور وتمام الأربع وعشرين نبوة ـ، وكان الأممُ قبلنا محتاجين إلىٰ محدَّثين، بخلاف أمة محمد ﷺ؛ فإن اللَّه أغناهم به؛ فلم يحتاجوا معه إلىٰ نبي ولا إلىٰ محدَّث؛ بل جَمَع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرَّقه في غيره من الأنبياء؛ فكان ما فضَّله اللَّه به[(٢)]: بما أنزله

= يعلىٰ (٢٣٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٤٨١/٥)، من حديث عبداللَّه بن عباس رضي الله عنهما، ضمن حديث طويل. **واستغربه** الترمذي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني عنده، بينما **حسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٣٢/٤).

وجملة المتن **صحيحة بلا ريب**، وقد رواها مسلم (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، دون قوله: «**ولا فخر**»، وكذا مع تقييدها بـ«يوم القيامة».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) في المطبوع و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٢٤/١١) زيادة: «من اللَّه». والمثبت =

إليه، وأرسله إليه، لا بتوسُّط بشر.

وهذا بخلاف الأولياء؛ فإن كل من بلغه رسالةُ محمد ﷺ لا يكون وليًّا للَّه إلا باتباع محمد ﷺ، وكلُّ ما حصل له من الهدىٰ ودين الحق هو بتوسُّط محمد ﷺ، وكذلك من بَلَغه رسالةُ رسولٍ إليه لا يكون وليًّا للَّه إلا إذا اتبع ذلك الرسولَ الذي أُرسل إليه.

ومَن ادعىٰ أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ مَن له طريقٌ إلىٰ اللَّه لا يحتاج فيه إلىٰ محمد= فهذا كافرٌ ملحد، وإذا قال: «أنا محتاج إلىٰ محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة»؛ فهو شر من اليهود والنصارىٰ الذين قالوا: «إن محمدًا رسولٌ إلىٰ الأميين دون أهل الكتاب»؛ فإن أولئك آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض؛ فكانوا كفارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: «إن محمدًا بُعث بعلم الظاهر دون علم الباطن» آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض؛ فهو كافرٌ، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن ـ الذي هو عِلم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ـ هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعىٰ المدعي أن محمدًا ﷺ إنما عَلَّم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائقَ عن الكتاب والسنة، فقد ادعىٰ أن بعض الذي آمن به ـ مما جاء به الرسول ـ دون البعض الآخر، وهذا شرٌّ ممن يقول: «أُومِنُ ببعض، وأكفر ببعض»، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنىٰ القسمين.

= من بعض مطبوعات الكتاب.

وهؤلاء الملاحدة يدَّعون أن «الولاية» أفضل من «النبوة»، ويلبِّسون علىٰ الناس فيقولون: «ولايته أفضل من نبوته»، ويُنشدون:

مقامُ النبوَّةِ في برزخٍ فُويقَ الرسولِ ودون الولي

ويقولون: «نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته»، وهذا من أعظم ضلالهم؛ فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ـ لا إبراهيم ولا موسىٰ ـ، فضلًا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبيٌّ، وكلُّ نبيٍّ وليٌّ، فالرسول نبي وليٌّ، ورسالته متضمنة لنبوته، ونبوته متضمنة لولايته[1]، وإذا قدَّروا مجرد إنباء اللَّه إياه بدون ولايته للَّه فهذا تقديرٌ ممتنِع؛ فإنه حالَ إنباء اللَّه إياه ممتنعٌ أن يكون إلا وليًّا للَّه، فلا تكون نبوةً مجردة عن ولايته، ولو قُدرت مجردةً لم يكن أحدٌ مماثلًا للرسول في ولايته.

وهؤلاء قد يقولون ـ كما يقول صاحب «الفصوص» ابن عربي ـ: «إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحي به إلىٰ الرسول»؛ وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة؛ وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا: «إن الأفلاك قديمةٌ أزلية لها علةٌ تتشبَّه بها» ـ كما يقوله أرسطو وأتباعه ـ؛ أو: «لها موجب بذاته» ـ كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله ـ، ولا يقولون: إن الرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات؛ بل إما أن ينكروا علمَه مطلقًا ـ كقول أرسطو ـ، أو يقولوا: «إنما

(١) جاء في النسخة المحققة هنا هذه العبارة: «فكيف يكون ولايته المتضمنة في نبوته أفضل من نبوته الداخلة لولايته؟» اهـ.

يعلم في الأمور المتغيِّرة كلياتها» ـ كما يقوله ابن سينا ـ. وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها؛ فإن كل موجود في الخارج فهو معيَّن جزئي، والأفلاك كلَّ معيَّنٍ منها جزئي، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئًا من الموجودات، والكليات إنما توجد كلياتٍ في الأذهان لا في الأعيان.

والكلام علىٰ هؤلاء مبسوط في موضع آخر في «درء تعارض العقل والنقل» وغيره؛ فإنَّ كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارىٰ، بل ومشركي العرب؛ فإن جميع هؤلاء يقولون: إن اللَّه خلق السماوات والأرض، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته. وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء، وليس في كتب أرسطو ذِكرُ شيءٍ من ذلك، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلٰهية فكلٌّ منهم فيها قليلُ الصواب كثيرُ الخطأ، واليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل أعلمُ بالإلٰهيات منهم بكثير، ولكنْ متأخروهم ـ كابن سينا ـ أرادوا أن يلفِّقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة، وركَّبوا منها ومن قول أولئك مذهبًا قد يعتزي إليه متفلسفةُ أهل الملل؛ وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبَّهنا علىٰ بعضه في غير هذا الموضع.

وهؤلاء لما رأَوْا أَمْرَ الرسل ـ كموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ ـ قد بهر العالم، واعترفوا بأن الناموس الذي بُعث به محمد ﷺ أعظمُ ناموس طَرَقَ العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن= أرادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين أقوال سلفهم اليونان الذين هم

أبعد الخلق عن معرفة اللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأولئك قد أثبتوا عقولًا عشرةً يسمونها «المجردات» و«المفارِقات». وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن، وسمَّوا تلك «المفارقات» لمفارقتها المادة، و«مجردات» لتجردها عنها، وأثبتوا الأفلاك؛ لكل فَلَك نفسًا، وأكثرهم جعلوها أعراضًا، وبعضهم جعلها جواهر.

وهذه «المجردات» التي أثبتوها ترجع ـ عند التحقيق ـ إلىٰ أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان، كما أثبت أصحاب فيثاغورس «أعدادًا مجردةً»، وكما أثبت أصحاب أفلاطون «الأمثال الأفلاطونية المجردة»؛ وأثبتوا هَيُولَىٰ مجردةً عن الصورة، ومُدَّةً وخلاءً مجردين. وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ـ كابن سينا ـ أن يُثبت أمر النبوات علىٰ أصولهم الفاسدة، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي:

الأول: أن تكون له قوةٌ علمية يسمونها: «القوة القدسية»، ينال بها العلم بلا تعلم.

الثاني: أن يكون له قوة تخيُّلية؛ تُخيِّل له ما يعقل في نفسه؛ بحيث يرىٰ في نفسه صورًا، أو يسمع في نفسه أصواتًا ـ كما يراه النائم ويسمعه ـ، ولا يكون لها وجودٌ في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة اللَّه، وتلك الأصوات هي كلام اللَّه تعالىٰ.

الثالث: أن يكون له قوةٌ فعَّالةٌ يؤثر بها في هَيُولَىٰ العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة هي من قوىٰ النفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم من قلب العصا حيةً، دون انشقاق القمر ونحو ذلك، فإنهم ينكرون وجود هذا.

وقد بسطنا الكلام علىٰ هؤلاء في مواضع، وبيَّنا أن كلامهم هذا أفسد الكلام، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي يحصل ما هو أعظمُ منه لآحاد العامة ولأتباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياءٌ ناطقون أعظم مخلوقات اللَّه، وهم كثيرون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وليسوا عشرةً، وليسوا أعراضًا، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو «العقل الأول»، وعنه صدر كلُّ ما دونه، فهو عندهم ربُّ كلِّ ما سوىٰ اللَّه، وكذلك كل عقل ربُّ كلِّ ما دونه، و«العقل الفعَّال العاشر» ربُّ كلِّ ما تحت فلك القمر.

وهذا كله يُعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل؛ فليس أحد من الملائكة مبدعٌ لكل ما سوىٰ اللَّه. وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول هو المذكور في حديث يروىٰ: «**أن أولَ ما خلق اللَّه العقل، فقال له: أقبِلْ فأقبل، فقال له: أدبِرْ، فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقتُ خلقًا أكرمَ عليَّ منك، فبك آخُذُ، وبكَ أُعطي، ولك الثوابُ، وعليك العقاب**»[(١)].

(١) **موضوع**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٨١/٧)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها. **وضعَّفه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٨٣/١).
ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٨٣/٣)، وفي «الأوسط» (٧٢٤١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. **وضعَّفه** الحافظ العراقي في الموضع السالف.
وقال الهيثمي في «المَجمع» (٦٠/٨): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه «الفضل بن عيسىٰ الرَّقَاشي»، وهو **مجمعٌ علىٰ ضعفه**». وكذا **ضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٦٣/١٦).
والحديث مرويٌّ عن عدةٍ من الصحابة الكرام ـ منهم أبو هريرة، وابن عباس، وغيرهما رضي الله عنهم ـ، وحكم عليه **بالبطلان** شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٤٤/١)، وهنا ـ أيضًا ـ كما سيأتي، وحكم عليه =

= **بالوضع** ـ أيضًا ـ في (٣٣٣/١٧)، و(٣٣٦/١٨)، و(٢٤٢/٢٧)، و(٣٥/ ١٣٥) من «الفتاوىٰ»، وكذا في «الرد علىٰ البكري» (٢٧٥/٢)، وحكم عليه الشوكاني ـ أيضًا ـ **بالبطلان** في «الفوائد المجموعة» (٤٧). وقال الصَّغاني ـ كما في «كشف الخفا» (٨٢٣) ـ: «**موضوع باتفاق**». وبنحوه قال الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٨٩/١)، وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣١٢/٤): «**لا يثبُتُ في هذا المتن شيءٌ**»، وقال في «الفتح» (٢٨٩/٦): «**ليس له طريقٌ تثبت**»، **وأقرَّه** المُناوي في «فيض القدير» (٤/ ٥١٠)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «المشكاة» (١٢).

وانظر ـ أيضًا ـ: «ضعفاء العُقيلي» (١١٦٩)، و«الكامل في الضعفاء»، لابن عدي (٣٩٠/٢) و(١٣/٦)، و«إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (٧٥٠/١ : ٧٥٣).

تنبيه هام: قال العلَّامة ابن القيم في «المنار المنيف» (٦٦): «أحاديث العقل كلها كذب» اهـ.

وقال الإمام العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: الأحاديثُ التي ذكرها المصنِّفُ (يعني الغزالي في «الإحياء») في العقل كلُّها ضعيفة، وتعبيرُ المصنِّف في بعضها بصيغة «الجزم» مما يُنكَرُ عليه، وبالجملة فقد قال غيرُ واحد من الحفاظ: «**إنه لا يصحُّ في العقل حديثٌ**» اهـ. ذكره العلَّامة الزبيدي في خاتمة كتاب «العلم» من «الإتحاف» (٧٨٧/١).

وقال الحافظ ابن حجر عن أحاديث «العقل» التي رواها «داود بن المُحبَّر»: «أودعها الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، وهي **موضوعةٌ كلها**، لا يَثبت منها شيء» اهـ «المطالب العالية» (١٣/٣).

وقال الزيلعي ـ عن جزء داود بن المحبَّر في العقل ـ: «هو جزءٌ لطيف، رواه بإسناده المذكور، ورأيت في حاشيةٍ عليه بخط بعض الفضلاء: قال عبدالغني: قال الدَّارَقُطْني: كتابُ «العقل» وضعه أربعة: وضعه مَيْسرةُ بنُ عبدربِّه، ثم سرقه دوادُ بنُ المُحبَّر منه، فركَّبه بأسانيدِ غيرِ =

ويسمونه ـ أيضًا ـ: «القلم»؛ لما روي: «**إن أول ما خلق اللَّه القلم...**» الحديث، رواه الترمذي[(١)].

والحديث الذي ذكروه في العقل كذبٌ موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم البُستي والدَّارقُطني وابن الجوزي وغيرهم، وليس في شيء من دواوين الحديث التي يُعتمد عليها، ومع هذا فلفظه ـ لو كان ثابتًا ـ حجةٌ عليهم، فإن لفظه: «**أولَ ما خلق اللَّه تعالىٰ العقل قال له..**»، ويروىٰ: «**لما خلق اللَّهُ العقلَ قال له...**»، فمعنىٰ الحديث: أنه خاطبه في أولِ أوقات خلقه، ليس معناه أنه أول المخلوقات، و«أولَ» منصوب علىٰ الظرف كما في اللفظ الآخر «لمَّا»، وتمام الحديث: «**ما خلقتُ خلقًا أكرم عليَّ منك**»؛ فهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره، ثم قال: «**فبك آخذ، وبك أُعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب**»؛ فذكر أربعة أنواع من الأعراض، وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صَدَر عن ذلك العقل. فأين هذا من هذا؟!

وسبب غلطهم أن لفظ «العقل» في لغة المسلمين ليس هو لفظ «العقل» في لغة هؤلاء اليونان؛ فإن «العقل» في لغة المسلمين مصدر عَقَل يَعقِل عقلًا، كما في القرآن: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ

= ميسرة، وسرقه عبدُالعزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيدَ أُخَر، ثم سرقه سليمانُ بن عيسىٰ السِّجزي، وركبه بأسانيدَ أُخَر» اهـ.
وقال العلَّامة مشهور حسن آل سلمان عن «كتاب العقل» لداود: «وهو كتابٌ مكذوب» اهـ. انظر تحقيق: «المجالسة» للدِّينَوَري (١٢٥/٢).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

ويراد «بالعقل» الغريزة التي جعلها اللَّه تعالىٰ في الإنسان يعقل بها.

وأما أولئك فـ«العقل» عندهم جوهرٌ قائم بنفسه كالعاقل! وليس هذا مطابقًا للغة الرسل والقرآن. وعالَمُ الخلق عندهم ـ كما يذكره أبو حامد ـ عالم الأجسام، وأما العقول والنفوس فيسميها: «عالم الأمر»، وقد يسمي «العقول»: «عالم الجبروت»، و«النفوس»: «عالم الملكوت»؛ و«الأجسام»: «عالم المُلك»! ويظنُّ مَن لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنىٰ الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر المُلك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك.

وهؤلاء يُلبِّسون علىٰ المسلمين تلبيسًا كثيرًا، كإطلاقهم أن «الفَلَك» محدَث ـ أي معلول ـ، مع أنه قديمٌ عندهم، والمحدَث لا يكون إلا مسبوقًا بالعدم، وليس في لغة العرب ولا في لغة أحدٍ أنه يسمىٰ القديم الأزلي: «مُحدِثًا»، واللَّهُ قد أخبر أنه خالقُ كل شيء، وكل مخلوق فهو محدَث، وكل محدَث كائنٌ بعد أن لم يكن، لكنْ ناظَرَهم بعض أهل الكلام ـ من الجهمية والمعتزلة ـ مناظرةً قاصرةً لم يعرفوا بها ما أخبرت به الرسل، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ، والخيالُ تابع للعقل، فجاء الملاحدة المتصوفة

ـ الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ـ، وزعموا أنهم أولياء اللَّه، وأن أولياء اللَّه أفضل من أنبياء اللَّه، وأنهم يأخذون عن اللَّه بلا واسطة ـ كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» ـ، فقال: إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه المَلَك الذي يوحي به إلىٰ الرسول! و«المعدن» عنده هو العقل، و«المَلَك» هو الخيال، و«الخيال» تابع للعقل، وهو ـ بزعمه ـ يأخذ عن العقل الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال؛ فلهذا صار عند نفسه فوق النبي!

ولو كان خاصةَ النبي ما ذكروه لم يكن هو من جنسه ـ فضلًا عن أن يكون فوقه ـ، فكيف وما ذكروه يحصُل لآحاد المؤمنين؟! والنبوة أمر وراء ذلك؛ فإن ابن عربي وأمثاله وإنِ ادَّعَوْا أنهم من الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل الكلام[1]، فضلًا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة؛ كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبداللَّه التُّستري، وأمثالهم ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ.

واللَّه ﷻ قد وصف الملائكة في كتابه بصفاتٍ تُباين قول هؤلاء: كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ[2] وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن

(١) في بعض النسخ: «صوفية أهل العلم».

(٢) أي: لا يتقدمون عليه ﷻ بالقول، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به.

يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ[1] ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقد أخبر أن الملائكة جاءت لإبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن المَلَك تمثَّل لمريم بشرًا سويًّا، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ويراهم الناسُ كذلك.

وقد وصف اللَّه تعالىٰ جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاعٌ ثَمَّ أمين، وأن محمدًا ﷺ رآه بالأفق المبين، ووصفه بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ[2] ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ «أنه لم

(١) ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾: يتعبون.

(٢) ﴿مِرَّةٍ﴾: قوةٍ وشدةٍ في الخَلْق. وقيل: الحُسن والجمال.

يَرَ جبريلَ في صورته التي خُلق عليها غير مرتين»[١]. يعني المرة الأولىٰ بالأفق الأعلىٰ، والمرة الأخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ.

ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح القدس، إلىٰ غير ذلك من الصفات التي تبيِّن أنه من أعظم مخلوقات اللَّه تعالىٰ الأحياء العقلاء، وأنه جوهرٌ قائم بنفسه، ليس خيالًا في نفس النبي كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة والمدَّعون ولاية اللَّه، وأنهم أعلم من الأنبياء.

وغاية تحقيق هؤلاء إنكار أصول الإيمان؛ فإن أصول الإيمان أن يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحقيقة أمرهم جحدُ الخالق؛ فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يميِّزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع؛ فإن الموجودات تشترك في مسمىٰ «الوجود»، كما تشترك الأَناسيُّ في مسمىٰ «الإنسان»، والحيوانات في مسمىٰ «الحيوان»، ولكن هذا المشتركُ الكليُّ لا يكون مشتركًا كليًّا إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفَرَس، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الإنسان، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته[٢].

وحقيقة قولهم قولُ فرعون الذي عطَّل الصانع؛ فإنه لم يكن منكرًا هذا الوجودَ المشهود، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك، لكن زعموا بأنه هو اللَّه، فكانوا أضلَّ

(١) رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(٢) في بعض النسخ: مباين لوجود مخلوقاته.

منه ـ وإن كان قوله هذا هو أظهر فسادًا منهم ـ؛ ولهذا جعلوا عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا اللَّه، وقالوا: «لما كان فرعون في منصب التحكُّم صاحبَ السيف ـ وإن جار في العرف الناموسي ـ، كذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، أي وإن كان الكل أربابًا بنسبة ما، فأنا الأعلىٰ منكم بما أُعطيتُه في الظاهر من الحكم فيكم». قالوا: «ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك، وقالوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه]، قالوا: فصح قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وكان فرعون عين الحق».

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر، فجعلوا أهلَ النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة، فصاروا كافرين باللَّه واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله، مع دعواهم أنهم خلاصةُ خاصةِ الخاصة من أهل ولاية اللَّه، وأنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء إنما يَعرفون اللَّه من مِشْكاتهم!

وليس هذا موضعَ بسط بيان إلحاد هؤلاء؛ ولكن لما كان الكلام في أولياء اللَّه، والفرقِ بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاءً لولاية اللَّه، وهم من أعظم الناس ولايةً للشيطان= نبَّهنا علىٰ ذلك؛ ولهذا عامة كلامهم إنما هو في الحالات[1] الشيطانية، ويقولون ما قاله صاحب «الفتوحات»: «باب أرض الحقيقة»، ويقولون: «هي أرض الخيال». فيعترف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال، ومحلُّ تصرف الشيطان؛ فإن الشيطان يخيِّل للإنسان الأمور بخلاف ما هي عليه.

(١) في بعض النسخ: التخيُّلات.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال].

وقد رُوي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أنه رأىٰ جبريل يَزَعُ الملائكة**[1]»[2]، والشياطين إذا رأت ملائكة اللَّه التي يؤيِّد بها

(١) **يزعهم**: ينظم صفوفهم. «النهاية في غريب الحديث» (٥/١٨٠).

(٢) **ضعيف**: رواه مالك في «الموطأ» (١٥٩٧)، وعبدالرزاق في «المصنَّف» (٨٨٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٩٣٠)، من رواية طلحة بن عبيداللَّه بن كُريز رحمه الله - ويقال: كَريز -، وفيه ضعفٌ وإرسال. **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «المشكاة» (٢٦٠٠).
وقد ورد موصولًا **بإسنادٍ ضعيف**: رواه البيهقي في «الشُّعَب» (٣٧٧٦)، =

عباده هربت منهم، واللَّهُ يؤيد عباده المؤمنين بملائكته.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ [(١)] ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

وهؤلاء تأتيهم أرواحٌ تخاطبهم وتتمثل لهم ـ وهي جنٌّ وشياطين ـ، فيظنونها ملائكةً، كالأرواح التي تخاطب مَن يعبُد الكواكب والأصنام، وكان أول مَن ظهر مِن هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عُبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في ثقيفٍ كذَّابٌ ومُبيرٌ**[(٢)]»[(٣)].

وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمُبير: الحجاج بن يوسف.

= من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه، **وضعَّفه** محققه (٤٩٨/٥ ـ الرشد).

(١) ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلَّمين بعلامات.

(٢) **المُبير**: المهلك للناس.

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

▫ فقيل لابن عمر وابن عباس: «إن المختار يزعم أنه يُنزَل إليه، فقالا: صدق، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]».

▫ وقال ابن عباس ـ وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحىٰ إليه ـ، فقال: «قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]».

ومِن هذه الأرواح الشيطانية: الروح الذي يزعم صاحب «الفتوحات» أنه أُلقىٰ إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين وحالٍ معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالًا بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية. وأعرفُ من هؤلاء عددًا، ومنهم من كان يُحمل في الهواء إلىٰ مكانٍ بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتىٰ بمالٍ مسروقٍ تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدلُّه علىٰ السرقات بجُعْلٍ يحصلُ له من الناس، أو بعطاءٍ يُعطونه إذا دلَّهم علىٰ سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوالُ هؤلاء شيطانيةً كانوا مناقضين للرسل ـ صلوات اللَّه تعالىٰ وسلامه عليهم ـ كما يوجد في كلام صاحب «الفتوحات المكية» و«الفصوص» وأشباه ذلك، يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، ويتنقَّص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسىٰ وهارون وغيرهم، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد ابن محمد وسهل بن عبداللَّه التُّسْتَري وأمثالهما، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تخلِّياته[1] الخيالية

(١) في بعض النسخ: «تجلياته».

الشيطانية؛ فإن الجنيد ـ قدس اللَّه روحه ـ كان من أئمة الهدىٰ:

▫ فسُئل عن التوحيد، فقال: «التوحيد: إفراد الحدوث عن القِدَم».

فبين أن التوحيد أن تميِّز بين القديم والمحدَث، أي: بين الخالق والمخلوق. وصاحب «الفصوص» أنكر هذا، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له: «يا جنيد، هل يميِّز بين المحدَث والقديم إلا من يكون غيرهما؟»، فخطَّأَ الجنيد في قوله: «إفراد الحدوث عن القدم»؛ لأن قوله هو: «إن وجود المحدَث هو عين وجود القديم».

▫ كما قال في «فصوصه»: «ومن أسمائه الحسنىٰ «العليُّ» علىٰ من؟ وما ثَمَّ إلا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعُلوُّه لنفسه، وهو ـ من حيث الوجود ـ عينُ الموجودات، فالمسمىٰ محدثاتٍ هي العليَّة لذاتها، وليست إلا هو».

▫ إلىٰ أن قال: «فهو عينُ ما بَطَن، وهو عينُ ما ظهر، وما ثم من يراه غيره، وما ثَم من ينطق عنه سواه، وهو المسمىٰ أبو سعيد الخرَّاز، وغير ذلك من الأسماء المحدثات».

فيقال لهذا الملحد: ليس من شرط المميِّز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثًا غيرهما؛ فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثًا، فالعبد يعرف أنه عبد، ويميز بين نفسه وبين خالقه، والخالق ﷻ يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يُقرُّون به باطنًا وظاهرًا.

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التِّلمساني منهم

ـ وهو أحذقُهم في إلحادهم[١] ـ لما قُرئ عليه «الفصوص»، فقيل له: «القرآن يخالف «فصوصكم»، فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له: فإذا كان الوجود واحدًا، فلم كانت الزوجةُ حلالًا والأخت حرامًا؟ فقال: الكلُّ عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم».

وهذا ـ مع كُفره العظيم ـ متناقضٌ تناقضًا ظاهرًا؛ فإن الوجود إذا كان وحدًا فمَن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده: «من قال لك: إن في الكون سوىٰ اللَّه فقد كَذَب، فقال له مريدُه: فمن هو الذي يكذب؟»، وقالوا لآخر: «هذه مظاهر، فقال لهم: المظاهرُ غير الظاهر أم هي؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالتثنية، وإن كانت هي إياها فلا فرق».

وقد بسطنا الكلام علىٰ كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر، وبيَّنَّا حقيقة قول كلِّ واحد منهم، وأن صاحب «الفصوص» يقول: «المعدوم شيء، ووجود الحق فاض عليه»، فيفرق بين الوجود والثبوت. والمعتزلةُ الذين قالوا: «المعدوم شيء ثابت في الخارج» مع ضلالهم خيرٌ منه، فإن أولئك قالوا: «إن الرب خلق لهذه الأشياء الثابتة في العدم وجودًا ليس هو وجودَ الرب». وهذا زَعَم أن عين وجود الرب فاض عليها، فليس عنده وجودُ مخلوقٍ مباينٌ لوجود الخالق، وصاحبه الصدر القُونَوي يفرِّق بين المطلق والمعين؛ لأنه كان أقربَ إلىٰ الفلسفة، فلم يقرَّ بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنَّف «مفتاح غيب الجمع والوجود».

(١) في بعض النسخ: «اتحادهم».

وهذا القول أَدْخَلُ في تعطيل الخالق وعدمه؛ فإن المطلق بشرط الإطلاق ـ وهو الكلِّي العقلي ـ لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان. والمطلق لا بشرط ـ وهو الكلي الطبيعي ـ وإن قيل: إنه موجود في الخارج فلا يوجد في الخارج إلا معيَّنًا، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج؛ فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفيًا في الخارج، وإما أن يكون جزءً من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عينَ وجود المخلوقات. وهل يَخلق الجزءُ الكلَّ، أم يخلق الشيءُ نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء خالقًا لجميعه؟!

وهؤلاء يَفِرُّون من لفظ «الحلول» لأنه يقتضي حالًّا ومَحِلًّا، ومن لفظ «الاتحاد» لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجودُ واحد. ويقولون: «النصارىٰ إنما كفروا لما خصُّوا المسيح بأنه هو اللَّه، ولو عمَّموا لما كفروا».

وكذلك يقولون في عُباد الأصنام: «إنما أخطؤوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض»؛ فلو عبدوا الجميع لما أخطؤوا عندهم. والعارف المحقِّق عندهم لا يضره عبادةُ الأصنام.

وهذا ـ مع ما فيه من الكفر العظيم ـ ففيه ما يلزمهم دائمًا من التناقض؛ لأنه يقال لهم: فمن المخطئ؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصَف بها المخلوق. ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يُوصف بها الخالق، ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»: «فالعليُّ لنفسه هو الذي يكونُ له الكمال الذي يستوعب به جميعَ النعوت الوجودية والنِّسبَ العدمية، سواءٌ كانت محمودةً عُرْفًا أو عقلًا أو شرعًا، أو مذمومةً

عرفًا وعقلًا وشرعًا، وليس ذلك إلا لمسمَّىٰ اللَّه خاصةً».

وهم ـ مع كفرهم هذا ـ لا يندفع عنهم التناقض؛ فإنه معلومٌ بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: «إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل». ويقولون: «من أراد التحقيق ـ يعني تحقيقهم ـ فليترك العقل والشرع».

وقد قلتُ لمن خاطبته منهم: معلومٌ أن كشف الأنبياء أعظمُ وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم، والأنبياء ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ يخبرون بما تَعجِزُ عقول الناسُ عن معرفته، لا بما يعرف الناسُ بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في إخبار الرسول ما يناقض صريح العقول، ويمتنع أن يتعارض دليلانِ قطعيَّان، سواءٌ كانا عقليين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقليًّا والآخر سمعيًّا، فكيف بمن ادعىٰ كشفًا يناقض صريح الشرع والعقل؟

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب، لكن يخيَّل لهم أشياءُ تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج، وأشياء يرونها تكون موجودةً في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين، وتكون من تلبيسات الشياطين.

وهؤلاء ـ الذين يقولون بالوحدة ـ قد يقدِّمون الأولياء علىٰ الأنبياء، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع، كما يُذكر عن ابن سبعين وغيره، ويجعلون المراتب ثلاثةً؛ يقولون: العبد يشهد أولًا طاعةً ومعصيةً، ثم طاعةً بلا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية.

والشهود الأول: هو الشهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي.

وأما الشهود الثاني: فيريدون به شهود القَدَر؛ كما كان بعض هؤلاء يقول: «أنا كافر بربٍّ يُعصىٰ». وهذا يزعم أن المعصية مخالَفةُ الإرادة التي هي المشيئة. والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحتُ منفعلًا لما يختارُه ... مني ففعلي كلُّه طاعاتُ

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل اللَّه به رسله، وأنزل به كتبه؛ فإن المعصية التي يستحقُّ صاحبُها الذم والعقاب مخالفةُ أمر اللَّه ورسوله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية والأمر الكوني والديني.

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت علىٰ طائفةٍ من الصوفية، فبيَّنها الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهم، فمن اتبع الجنيد فيها كان علىٰ السداد، ومن خالفه ضل؛ لأنهم تكلموا في أن الأمور كلَّها بمشيئة اللَّه وقدرته، وفي شهود هذا التوحيد، وهذا يسمونه «الجَمعُ الأول»، فبيَّن لهم الجنيد أنه لابد من شهود الفرق الثاني؛ وهو أنه ـ مع شهود كون الأشياء كلِّها مشتركةً في مشيئة اللَّه وقدرته وخلقه ـ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهىٰ عنه ويكرهه ويَسخطه،

ويفرَّق بين أوليائه وأعدائه:

كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر].

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن اللَّه خالقُ كل شيء وربُّه ومليكه؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع ذلك أَمَر بالطاعة، ونهىٰ عن المعصية، وهو لا يحب الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، وإن كانت واقعةً بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها؛ بل يُبغضها ويذمُّ أهلها ويعاقبهم.

وأما المرتبة الثالثة: ألَّا يشهد طاعةً ولا معصيةً؛ فإنه يرىٰ أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا غايةُ التحقيق والولاية للَّه! وهو في الحقيقة غايةُ الإلحاد في أسماء اللَّه وآياته، وغايةُ العداوة للَّه؛ فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارىٰ وسائر الكفار أولياء، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

ولا يتبرأ من الشرك والأوثان، فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات اللَّه وسلامه عليه.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ

قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتبًا وقصائدَ علىٰ مذهبه؛ مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بـ«نظم السلوك» يقول فيها:

لها صلاتي بالمقام أُقيمُها ... وأَشهدُ فيها أنها لي صلَّتِ
كلانا مصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلىٰ ... حقيقتِه بالجمع في كل سجدةِ
وما كان لي صلَّىٰ سوائي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كلِّ ركعةِ

إلىٰ أن قال:

وما زلتُ إياها وإياي لم تزلْ ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبتِ[1]
إليَّ رسولًا كنتُ مني مرسِلًا ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلتِ
فإن دُعيتُ كنتُ المجيبَ وإن أكن ... منادي أجابتْ مَن دعاني ولبَّتِ

إلىٰ أمثال هذا الكلام.

ولهذا كان هذا القائل عند الموت يُنشد ويقول:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندكم ... ما قد لقيتُ فقد ضيعتُ أيامي

(١) في نسخة: «صلَّتِ».

أمنيةٌ ظفرت نفسي بها زمنًا واليوم أحسبُها أضغاثَ أحلامِ

فإنه كان يظن أنه هو اللَّه، فلما حضرت ملائكةُ اللَّه لقبض روحه تبيَّن له بطلانُ ما كان يظنه.

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد]؛ فجميع ما في السماوات والأرض يسبح للَّه، ليس هو اللَّه، ثم قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد].

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحب والنوىٰ، منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذُ بك من شر كل دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونَك شيء، اقض عني الدين، وأغنِني من الفقر**»(١).

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

فذكر أن السماوات والأرض ـ وفي موضع آخر: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الحجر: ٨٥] ـ مخلوقٌ مسبِّحٌ له، وأخبر ـ سبحانه ـ أنه يعلم كل شيء.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فلفظ «مع» لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحدُ الشيئين مختلطًا بالآخر:

(١) صحيح: وقد تقدم.

كقوله تعالىٰ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

وقوله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥].

[المعيَّة العامة، والمعيَّة الخاصة]:

ولفظ «مع» جاءت في القرآن عامةً وخاصةً:

فـ«**العامة**»: في هذه الآية، وفي آية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة]؛ فافتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم.

▫ ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه».

وأما «المعية الخاصة»: ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

وقولِه تعالىٰ لموسىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه؛ فهو مع موسىٰ وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين.

فلو كان معنىٰ «المعية» أنه بذاته في كل مكان تناقَض الخبرُ الخاص والخبر العام؛ بل المعنىٰ: أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي: هو إلٰهُ مَن في السماوات وإلٰهُ مَن في الأرض، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، كما فسره أئمة العلم ـ كالإمام أحمد وغيره ـ: «أنه المعبود في السماوات والأرض».

وأجمع سلف الأمة وأئمتُها علىٰ أن الرب تعالىٰ بائنٌ من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل[1]، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

▫ قال ابن عباس: «الصَّمَد: العليم الذي كَمَل في علمه، العظيم الذي كمل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سُؤدُده».

▫ وقال ابن مسعود وغيره: «الصمد: هو الذي لا جوف له. والأحد: الذي لا نظير له».

فاسمه «الصمد» يتضمن اتصافَه بصفات الكمال ونفيَ النقائص عنه، واسمه «الأحد» يتضمن أنه لا مثيل له، وقد بسطنا الكلام علىٰ ذلك في تفسير هذه السورة، وفي كونها تعدل ثلث القرآن.



(١) راجع (١/٣٧٨).

فصل

وكثيرٌ من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخَلْقية القدرية الكونية؛ فإن اللَّه ﷻ له الخلق والأمر:

كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

فهو ـ سبحانه ـ خالقُ كل شيء، وربُّه ومليكه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه، وهو ـ سبحانه ـ أَمَر بطاعته وطاعة رسله، ونهىٰ عن معصيته ومعصية رسله، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهىٰ عن الإشراك باللَّه، فأعظمُ الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافةَ أن يَطعم معك**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تزنيَ بحليلةِ جارك**». فأنزل اللَّه تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (١) ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ (٢) وَكَانَ

(١) ﴿أَثَامًا﴾: عذابًا.

(٢) كثيرٌ من الناس يظنُّ أن المقصود من الآية: أن العاصي إذا تاب تنقلب سيئاتُه أيام عصيانه إلىٰ حسنات، فيتحول الزنا والسرقة وترك الصلاة وشرب الخمر... إلخ إلىٰ حسنات بتوبته!! وهذا فهمٌ باطلٌ؛ إذ ليس في الشريعة أيُّ دليلٍ علىٰ أن المعصية تتحولُ إلىٰ حسنة ـ سواءٌ بالتوبة أو بغيرها ـ، وإلا فما علىٰ المرء إلا أن يشتد في العصيان والعدوان، ويُكثر من ألوان المخالفات، ثم بعد ذلك يتوب وينيب لتنقلب بلاياه إلىٰ حسناتٍ كأمثال الجبال! وإنما المقصود من الآية الكريمة: أن الكافر والعاصي كانت حياتُه غاصَّةً بالسيئات والمخالفات، فلما تاب جعل اللَّه تعالىٰ حياته عامرةً بالحسنات والقربات، فهكذا امتن اللَّهُ ﷻ عليه وقلب حياة السيئات إلىٰ حياة حسنات.

وأما الحديث الذي رواه مسلم (١٩٠) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخرَ أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخرَ أهل النار خروجًا منها: رجلٌ يؤتىٰ به يوم القيامة، فيقال: اعرضُوا عليه صغارَ ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فتُعرض عليه صغارُ ذنوبه، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا: كذا وكذا، وعملتَ يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيقول: نعم ـ لا يستطيع أن ينكر ـ، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرَضَ عليه، فيقال له: فإن لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً، فيقول: رب، قد عملتُ أشياء لا أَراها هاهنا!**». فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه.

فهذا الحديث ليس فيه أن سيئاته بُدِّلت حسنات؛ بل محا اللَّه ﷻ عنه سيئاته، وجعل له مكان كلِّ سيئةٍ حسنةً كرمًا منه ﷻ وجودًا وإحسانًا؛ لا أن السيئات ذاتها تحولت إلىٰ حسنات، فانتبه إلىٰ هذه المسألة التي =

﴿ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان][(١)].

وأمر ـ سبحانه ـ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ، ونهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأخبر أنه يحبُّ المتقين، ويحبُّ المحسنين، ويحب المُقسِطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهِّرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيانٌ مرصوص، وهو يكره ما نَهىٰ عنه، كما قال في سورة «سبحان»: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء].

وقد نهىٰ عن الشرك وعقوق الوالدين، وأمر بإيتاء ذي القربىٰ الحقوق، ونهىٰ عن التبذير، وعن التقتير، وأن يجعل يده مغلولةً إلىٰ عنقه[(٢)]، وأن يبسطها كل البسط[(٣)]، ونهىٰ عن قتل النفس بغير الحق، وعن الزنا، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، إلىٰ أن قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، وهو ـ سبحانه ـ لا يحب الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر.

والعبد مأمورٌ أن يتوب إلىٰ اللَّه تعالىٰ دائمًا، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس، توبوا إلىٰ ربكم؛ فوالذي نفسي بيده إني لأستغفرُ اللَّه وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً**»[(٤)].

= غلط فيها الكثيرون. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) كنايةٌ عن البخل.

(٣) كناية عن الإسراف.

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٧).

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال: «**إنه لَيُغانُ علىٰ قلبي**[(١)]، **وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مئةَ مرة**»[(٢)].

وفي السنن عن ابن عمر قال: كنا نَعُدُّ لرسول اللَّه ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم**»، مئة مرة. أو قال: أكثرَ من مئة مرة[(٣)].

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: «**إنه ليُغانُ علىٰ قلبي**»: قال أهل اللغة: الغَيْن ـ بالغين المعجمة ـ والغيم بمعنًىٰ، والمراد هنا: ما يتغشَّىٰ القلب. قال القاضي [عياض]: **قيل**: المراد الفتراتُ والغفلاتُ عن الذِّكر الذي كان شأنُه الدوام عليه، فإذا فَتر عنه أو غفل عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه. قال: **وقيل**: هو همُّه بسبب أمَّته وما اطَّلع عليه من أحوالها بعده، فيَستغفر لهم. **وقيل**: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمَّتِه وأمورهم، ومحاربةِ العدو ومداراته، وتأليف المؤلفة، ونحو ذلك؛ فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه، فيراه ذنبًا بالنسبة إلىٰ عظيم منزلته، وإن كانت هذه الأمورُ من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال؛ فهي نزولٌ عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع اللَّه تعالىٰ ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه؛ فيستغفر لذلك. **وقيل**: يُحتمل أن هذا «الغَينَ» هو السكينة التي تغشىٰ قلبه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، ويكون استغفارُه إظهارًا للعبودية والافتقارِ وملازمة الخشوع، وشكرًا لما أولاه. وقد قيل: خوفُ الأنبياء والملائكة خوفُ إعظام ـ وإن كانوا آمنين عذاب اللَّه تعالىٰ ـ. **وقيل**: يحتمل أن هذا الغين حالُ خشيةٍ وإعظام يَغشَىٰ القلب، ويكون استغفارُه شكرًا ـ كما سبق ـ. **وقيل**: هو شيءٌ يَعتري القلوبَ الصافيةَ مما تتحدث به النفس، واللَّهُ أعلم» اهـ. «شرح صحيح مسلم» (تحت الحديث ٢٧٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢)، من حديث الأغرِّ المُزني رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢١/٢)، الطيالسي (٢٠٥٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ =

وقد أمر اللَّه ـ سبحانه ـ عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار:

فكان النبي ﷺ إذا سلَّم من الصلاة يستغفر ثلاثًا، ويقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**». كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه[(١)].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، فأمرهم أن يقوموا بالليل، ويستغفروا بالأسحار.

وكذلك ختم سورة المزمل ـ وهي سورة قيام الليل ـ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].

وكذلك قال في الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ

= ٢٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، وعبد بن حميد (٧٨٦)، أبو داود (١٥١٦)، والتِّرمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢١٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٥٨)، والبغوي (١٢٨٩)، وابن السني في «عمل اليوم» (٣٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢/٥)، وابن حِبَّان (٩٢٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٤١٦/١٢)، وفي «الأوسط» (٦٢٦٧)، وفي «الدعاء» (١٨٢٤).
وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩٩/٩)، وكذا عند أبي داود (٦٢٧/٢).
تنبيه: جُلُّ السابقين رَوَوُا الحديث بلفظ: «**التواب الغفور**»، وبعضهم: «**التواب الرحيم**».

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة].

بل أنزل ﷻ في آخر الأمر ـ لما غزا النبيُّ ﷺ غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ـ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة]، وهي آخر ما نزل من القرآن.

وقد قيل: إن آخر سورة نزلت قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

فأمره تعالىٰ أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار.

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﵂ أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**». يتأوَّلُ القرآن[(١)].

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني. اللهم اغفر لي هَزْلي وجِدِّي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرت، وما أسررتُ وما أعلنت، لا إلٰه إلا أنت**»[(٢)].

(١) رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩)، من حديث أبي موسىٰ ﵁.

وفي «الصحيحين» أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول اللَّه، علِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفورُ الرحيم**»(١).

وفي السنن عن أبي بكر ﷺ قال: يا رسول اللَّه، علمني دعاءً أدعو به إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، فقال: «**قل: اللهم فاطرَ السماواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كل شيء ومَلِيكَه، أشهد ألَّا إلٰه إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشِرْكه**(٢)**، وأن أقترفَ علىٰ نفسي سوءً، أو أجرَّه إلىٰ مسلم. قُلْهُ إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مَضْجَعَك**»(٣).

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥)، من حديث الصدِّيق ﷺ.

(٢) وضُبطت ـ أيضًا ـ: «وشَرَكِه»، وهو الفخ والمصيدة.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٩/١)، وابن السني في «عمل اليوم» (٧٢٧)، وابن منده في «التوحيد» (٢٠٠). **وحسنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤٣/١).
وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ: رواه أحمد (٢٩٧/٢)، والطيالسي (٩)، وابن أبي شيبة (٢٣٧/١٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣٨)، وأبو داود (٥٠٦٧)، والتِّرمذي (٣٣٩٢)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٦٤٤)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١١)، والدارمي (٢٦٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢٨٨)، وابن السني في «عمل اليوم» (٤٥)، وابن حبان (٩٦٢)، والحاكم (٥١٣/١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩)، وفي «الدعوات الكبير» (٢٩)، والخطيب في «التاريخ» (١٦٧/١١). وقال الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» =

فليس لأحدٍ أن يظن استغناءه عن التوبة إلىٰ اللَّه والاستغفار من الذنوب؛ بل كل أحدٌ محتاج إلىٰ ذلك دائمًا.

قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب].

فالإنسان ظالمٌ جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر اللَّه تعالىٰ في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم.

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخلَ الجنةَ أحدٌ بعمله**»، قالوا: ولا أنت ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمدنيَ اللَّهُ برحمةٍ منه وفضل**»[(١)].

وهذا لا ينافي قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة]؛ فإن الرسول نفىٰ باء المقابلة والمعادلة[(٢)]، والقرآنَ أثبت باء السبب.

▫ وقولُ من قال: «إذا أحب اللَّه عبدًا لم تضرَّه الذنوب».

معناه: أنه إذا أحب عبدًا ألهمه التوبةَ والاستغفار؛ فلم يُصِرَّ علىٰ الذنوب. ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصرَّ عليها فهو ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة؛ بل من يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره.

= (٣٤١/١٣).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) يعني المساواة؛ فإن الأعمال مهما بلغت لا تساوي ذرةً في الجنة.

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران].

ومن ظن أن القَدَر حجةٌ لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال اللَّه تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾، قال اللَّه تعالىٰ ردًّا عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام].

ولو كان القدرُ حُجةً لأحدٍ لم يعذِّبِ اللَّهُ المكذِّبين للرسل ـ كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات[1] وقوم فرعون ـ، ولم يأمر بإقامة الحدود علىٰ المعتدين. ولا يحتجُّ أحدٌ بالقدر إلا إذا كان متبعًا لهواه بغير هدًىٰ من اللَّه، ومن رأىٰ القدر حجةً لأهل الذنوب يرفع عنهم الذمَّ والعقاب؛ فعليه ألا يذمَّ أحدًا ولا يعاقبه إذا اعتدىٰ عليه؛ بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم، فلا يفرِّق بين من يفعل معه خيرًا وبين من يفعل معه شرًّا! وهذا ممتنع طبعًا وعقلًا وشرعًا.

وقد قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي

(١) **المؤتفكات**: قوم لوط ـ عليهم لعائن اللَّه ـ.

﴿ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة]، أي: مهملًا لا يُؤمر ولا يُنهىٰ.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**احتج آدمُ وموسىٰ؛ قال موسىٰ: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللَّه بيده، ونَفَخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسَك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك اللَّه بكلامه، وكتب لك التوراة بيده، فبكم وجدت مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه]؟ قال: بأربعين سنة، قال: فلِمَ تلومُني علىٰ أمر قدَّره اللَّه عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة؟ قال: فحجَّ آدمُ موسىٰ**»[1]. أي: غلبه بالحُجة.

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان:

- طائفة كذَّبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفعَ الذمِّ والعقاب عمن عصىٰ اللَّه لأجل القَدَر.

- وطائفة شرٌّ من هؤلاء؛ جعلوه حجةً، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الذين لا يَرَون أن لهم فعلًا.

(١) صحيح: وقد تقدم.

ـ ومن الناس من قال: إنما حج آدمُ موسىٰ لأنه أبوه، أو لأنه كان قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعةٍ واللوم في أخرىٰ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرىٰ.

وكل هذا باطل.

ولكنْ وَجهُ الحديث: أن موسىٰ عليه السلام لم يَلُم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟»، لم يلُمْه لمجرد كونه أذنب ذنبًا وتاب منه؛ فإن موسىٰ يعلم أن التائب من الذنب لا يُلام، وهو قد تاب منه ـ أيضًا ـ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

والمؤمنُ مأمورٌ عند المصائب أن يصبر ويسلِّم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]؛ فأمره بالصبر علىٰ المصائب، والاستغفار من المعائب.

وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

▫ قال ابن مسعود: «هو الرجل تصيبُه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند اللَّه، فيرضىٰ ويُسلِّم».

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة ـ مثل المرض والفقر والذل ـ صبروا لحكم اللَّه ـ وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ـ، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذُكر لهم القدر.

والصبر واجبٌ باتفاق العلماء، وأعلىٰ من ذلك الرضا بحكم اللَّه.

والرضا قد قيل: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلىٰ من ذلك أن يشكر اللَّهَ علىٰ المصيبة لما يرىٰ من إنعام اللَّه عليه بها، حيث جعلها سببًا لتكفير خطاياه، ورفع درجاته، وإنابته وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين.

وأما أهل الغَيِّ والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسنات إلىٰ أنفسهم إذا أنعم اللَّهُ عليهم بها.

▫ كما قال بعض العلماء: «أنت عند الطاعة قَدَري، وعند المعصية جبري، أيَّ مذهب وافق هواك تمذهبت به».

وأهل الهدىٰ والرشاد إذا فعلوا حسنةً شَهِدوا إنعام اللَّه عليهم بها، وأنه هو الذي أنعم عليهم، وجعلهم مسلمين، وجعلهم يقيمون الصلاة، وألهمهم التقوىٰ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به؛ فزال عنهم بشهود القدر العُجْبُ والمَنُّ والأذىٰ، وإذا فعلوا سيئةً استغفروا اللَّه، وتابوا إليه منها.

ففي «صحيح البخاري» عن شدادِ بن أوس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي؛ لا إلٰه إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت**[(١)]**، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت، أبوءُ لك**[(٢)] **بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات من**

(١) أي: أعاهدك علىٰ الثبات علىٰ دينك قدر طاقتي.

(٢) **أبوء**: أعترف دومًا وأبدًا.

ليلته دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسىٰ موقنًا بها فمات من ليلته دخل الجنة»[(١)].

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ فيما يَروي عن ربه ﷻ أنه قال: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم علىٰ نفسي، وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تَظَالَموا.

ياعبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوب جميعًا ولا أُبالي؛ فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه؛ فاستطعموني أُطعِمْكم.

يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه؛ فاستكسوني أَكسُكُم.

ياعبادي، كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته؛ فاستهدوني أَهدِكم.

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخرَكم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقص البحرُ إذا غُمس فيه المِخيَطُ غمسةً واحدةً.

يا عبادي، إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها، فمَن

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

وَجَد خيرًا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يَلومَنَّ إلا نفسه»[(١)].

فأمر ـ سبحانه ـ بحمد اللَّه علىٰ ما يجده العبدُ من خير، وأنه إذا وجد شرًّا فلا يلومن إلا نفسه.

📖 **[الحقيقة والشريعة]:**

وكثيرٌ من الناس يتكلم بلسان «الحقيقة»، ولا يفرق بين الحقيقة «الكونية القدرية» المتعلقة بخلقه ومشيئته، وبين الحقيقة «الدينية الأمرية» المتعلقة برضاه ومحبته. ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقًا لما أمر اللَّه به علىٰ ألسُن رسله، وبين من يقوم بوَجْده وذَوْقه غير معتبِرٍ ذلك بالكتاب والسنة.

كما أن لفظ «الشريعة» يتكلم به كثيرٌ من الناس، ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند اللَّه تعالىٰ ـ وهو الكتاب والسنة الذي بعث اللَّه به رسوله؛ فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر ـ، وبين الشرع الذي هو حُكمُ الحاكم[(٢)]؛ فالحاكم تارةً يصيب وتارةً يخطئ؛ هذا إذا كان عالمًا عادلًا، وإلا ففي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**القضاةُ ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة: رجلٌ علم الحق وقضىٰ به فهو في الجنة، ورجلٌ قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار، ورجلٌ علم الحق فقضىٰ بغيره فهو في النار**»[(٣)].

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) يعني القاضي.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٧٣)، والتِّرمذي (١٣٢٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٩١)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والرُّوياني في «مسنده» (٦٦)، =

وأفضلُ القضاة العالِمين العادلين سيدُ ولد آدم محمد ﷺ.

وقد ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: «**إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضَكم يكون ألحَنَ بحُجته من بعض**[(١)]، **وإنما أقضىٰ بنحو مما أسمع، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعةً من النار**»[(٢)].

فقد أخبر سيدُ الخلق أنه إذا قضىٰ بشيء مما سمعه، وكان في الباطن بخلاف ذلك، لم يجز للمقضيِّ له أن يأخذ ما قَضَىٰ به له، وأنه إنما يقطع له به قطعةً من النار.

وهذا متفقٌ عليه بين العلماء في الأملاك المُطلَقة؛ إذا حكم الحاكم بما ظنه حجةً شرعيةً ـ كالبيِّنة والإقرار ـ، وكان الباطن بخلاف الظاهر، لم يجز للمقضيِّ له أن يأخذ ما قُضي به له بالاتفاق.

وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك، فأكثر العلماء يقول:

= والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٤)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٣٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٥٤)، وفي «الأوسط» (٦٧٥٧)، والحاكم (٩٠/٤)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٩٩/١٠)، و«الشعب» (٧١٢٥)، و«المعرفة» (٢٢٢/١٤)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٣٩٤ ـ تهذيبي)، والدينوري في «المجالسة» (١٦٨٩ ـ تهذيبي)، من حديث بُريدة رضي الله عنه، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٤١/١)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٩٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٤٢٦/٥)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (٤٠٤/٤).

(١) أي: أشد إقناعًا بالألفاظ.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، من حديث أُمِّنا أم سلمة رضي الله عنها.

إن الأمر كذلك، وهو مذهبُ مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرَّق أبو حنيفة بين النوعين.

١ ـ فلفظ «الشرع، والشريعة» إذا أريد به الكتاب والسنة= لم يكن لأحدٍ من أولياء اللَّه ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحدٍ من أولياء اللَّه طريقًا إلىٰ اللَّه غيرَ متابعة محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا فهو كافر. ومن احتج في ذلك بقصة موسىٰ مع الخضر كان غالطًا من وجهين:

أحدهما: أن موسىٰ لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولا كان يجبُ علىٰ الخضر اتباعُه؛ فإن موسىٰ كان مبعوثًا إلىٰ بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامةٌ لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه مَن هو أفضل من الخضر ـ كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ـ وجب عليهم اتباعُه، فكيف بالخضر ـ سواء كان نبيًّا أو وليًّا ـ؟! ولهذا قال الخضر لموسىٰ: «**أنا علىٰ علمٍ مِن علمِ اللَّه علَّمَنيه اللَّهُ لا تَعْلَمُه، وأنت علىٰ علمٍ من علمِ اللَّه علَّمَكَه اللَّهُ لا أعلمه**»[(١)].

وليس لأحدٍ من الثقلين ـ الذين بلغتهم رسالةُ محمد ﷺ ـ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا لشريعة موسىٰ عليه السلام؛ بل كان موافقًا لها، لكن موسىٰ عليه السلام لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بيَّنها له وافقه علىٰ ذلك؛ فإنَّ خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفًا من الظالم أن يأخذها إحسانٌ إليهم، وذلك جائز، وقتلَ الصائل جائز ـ وإن كان صغيرًا ـ، ومن كان تكفيره لأبويه[(٢)]

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) أي: دفعهما للكفر وترك الإيمان.

لا يندفع إلا بقتله جاز قتله.

▫ قال ابن عباس رضي الله عنهما لنَجدة الحروري ـ لما سأله عن قتل الغلمان ـ، قال له: «إن كنت علمتَ منهم ما علمه الخضرُ من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم». رواه البخاري[(١)].

وأما الإحسان إلىٰ اليتيم بلا عوض، والصبر علىٰ الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفًا لشرع اللَّه.

٢ ـ وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظُلمًا، وقد يكون عدلًا، وقد يكون صوابًا، وقد يكون خطأً.

٣ ـ وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه ـ كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم ـ، فهؤلاء أقوالهم يُحتج لها بالكتاب والسنة، وإذا قَلَّد المقلدُ أحدهم ـ حيث يجوز ذلك ـ كان جائزًا؛ وليس اتباع أحدهم واجبًا علىٰ جميع الأمة كاتباع الرسول ﷺ، ولا يحرم تقليدُ أحدهم كما يحرُم اتباع من يتكلم بغير علم.

وأما إن أضاف أحدٌ إلىٰ الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة، أو تأوَّل النصوصَ بخلاف مراد اللَّه ونحو ذلك، فهذا من نوع التبديل، فيجب الفرق بين الشرع المنزل، والشرع المؤوَّل، والشرع المبدَّل، كما يفرق بين «الحقيقة الكونية» و«الحقيقة الدينية الأمرية»، وبين ما يُستدل عليها بالكتاب والسنة، وبين ما يكتفىٰ فيها بذَوق صاحبها ووجده.



(١) رواه مسلم (١٨١٢)، من حديث يزيد بن هرمز. ولم أجده في البخاري.

فصل

وقد ذكر اللَّه في كتابه الفرق بين «الإرادة» و«الأمر» و«القضاء» و«الإذن» و«التحريم» و«البعث» و«الإرسال» و«الكلام» و«الجَعْل»: بين الكوني الذي خَلقه وقَدَّره وقضاه ـ وإن كان لم يأمر به، ولا يحبه، ولا يرضاه، ولا يثيب أصحابه، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ـ، وبين الديني الذي أمر به، وشرعه، وأحبه، ورضيه، وأحب فاعليه، وأثابهم عليه، وأكرمهم، وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين؛ وهذا من أعظم الفروق التي يفرَّق بها بين أولياء اللَّه وأعدائه، فمن استعمله الربُّ ﷻ فيما يحبه ويرضاه ومات علىٰ ذلك كان من أوليائه، ومن كان عمله فيما يُبغضه الرب ويكرهه ومات علىٰ ذلك كان من أعدائه.

١ ـ [الإرادة]:

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه، وجميعُ المخلوقات داخلةٌ في مشيئته وإرادته الكونية.

والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه، المتناوِلةُ لما أمر به، وجعله شرعًا ودينًا؛ وهذه مختصةٌ بالإيمان والعمل الصالح.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال نوحٌ عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالىٰ في الثانية: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال في آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

ولما ذكر ما أحلَّه وما حرَّمه من النكاح قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء].

وقال ـ لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

والمعنىٰ: أنه أمركم بما يُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا، فمن أطاع أمره كان مطهَّرًا قد أذهب عنه الرجس، بخلاف من عصاه.

٢ ـ وأما «الأمر»:

فقال في الأمر الكوني: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر].

وقال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

وأما الأمر الديني: فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٣ ـ وأما «الإذن»:

فقال في الكوني ـ لما ذَكَر السِّحْر ـ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: بمشيئته وقُدرته، وإلا فالسحر لم يُبِحْه اللَّه ﷻ.

وقال في الإذن الديني: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ[1] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر].

٤ ـ وأما «القضاء»:

فقال في الكوني: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

(١) اللِّينة: النخل كلُّه. وقيل: هي نوع منها فحسب.

وقال في الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الإسراء: ٢٣].

أي: أَمَر، وليس المراد به: قَدَّر ذلك؛ فإنه قد عُبد غيره كما أخبر في غير موضع:

كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، ولا تقتضي رضاه بذلك، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس].

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضًا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم؛ كمن ظن أن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ بمعنىٰ: قدَّر، وأن اللَّه ـ سبحانه ـ ما قضىٰ بشيء إلا وقع، وجعل عُبَّادَ الأصنام ما عبدوا إلا اللَّه؛ فإن هذا من أعظم الناس كفرًا بالكتب.

٥ ـ وأما لفظ «البعث»:

فقال تعالىٰ في البعث الكوني: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا

لَنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ(١) خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال في البعث الديني: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

٦ ـ وأما لفظ «الإرسال»:

فقال في الإرسال الكوني: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا(٢) ﴿٨٣﴾﴾ [مريم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨].

وقال في الديني: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

٧ ـ وأما لفظ «الجَعْل»:

فقال في الكوني: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

وقال في الديني: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) ﴿فَجَاسُواْ﴾: طافوا.

(٢) ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تدفعهم للعصيان دفعًا.

وقال تعالىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٨ ـ وأما لفظ «التحريم»:

فقال في الكوني: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

وقال في الديني: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ الآية [النساء: ٢٣].

٩ ـ وأما لفظ «الكلمات»:

فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أعوذُ بكلمات اللَّه التامة كلِّها من شرِّ ما خلق، ومن غضبه وعقابه، وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»(١).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٨١/٢)، وابن أبي شيبة (٣٩/٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص(٨٩)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٣٣)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٧)، وفي «الآداب» (٦٩٦)، وفي «الدعوات» (٤٢٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٨٦)، وابن السني في «عمل اليوم» (٧٥٣)، وعثمان الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» ص (١٥٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٣١)، من حديث عبداللَّه بن عَمرو رضي الله عنهما.
وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عنده، **وصحَّحه** =

وقال ﷺ: «**مَن نزل منزلًا فقال: أعوذُ بكلمات اللَّه التامات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيءٌ حتي يرتحلَ من منزله ذلك**»(١).

وكان يقول: «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر، مِن شر ما ذَرَأَ(٢) في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتنِ الليل والنهار، ومن شرِّ كل طارقٍ؛ إلا طارقًا يطرُق بخير - يا رحمٰن -**»(٣).

= الشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٦/٤٠).

تنبيه: بهذا يتبين لنا أن الحديث ليس في «الصحيح» كما وهم الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **ذرأ**: خَلَق وبثَّ.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٤١٩)، وأبو يعلىٰ (٦٨٤٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٥١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥)، وفي «الدعوات» (٥٩٩)، وابن قانع في «معجمه» (٢/١٧٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٣٦)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن خنبش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. **وضعَّفه** الإمام البخاري - كما نقله الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/٢٧٥) -، **وأعلَّه** الإمام ابن منده كما نقله الحافظ - أيضًا -، وقال الحافظ نفسه: «**في إسناده نظر**». **وجوَّد إسناده** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٢٤٨٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٢٧): «رجال أحد إسنادي أحمد وأبي يعلىٰ وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح، وكذلك رجال الطبراني»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤)، و«الصحيحة» (٨٤٠)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٢٤/٢٠٠)، والشيخ حسين الداراني في «المجمع» (٢٠/٢٤٦).

فائدة: من علامات ضعفه ونكارته: أنه ورد - **بإسنادٍ صحيح** - عن =

و«كلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجر»: هي التي كوَّن بها الكائنات؛ فلا يخرج برٌّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته.

وأما كلماته الدينية ـ وهي كتبُه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ـ، فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجار.

وأولياء اللَّه المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجَعْلِه الديني، وإذنه الديني، وإرادتِه الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق، حتىٰ إبليسُ وجنوده، وجميعُ الكفار، وسائرُ من يدخل النار؛ فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقَدَر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب.

وأولياء اللَّه المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا علىٰ المقدور؛ فأحبَّهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو يُبغضهم ويمقتهم، ويغضب عليهم، ويلعنهم ويعاديهم.

وبَسْطُ هذه الجُمَل له موضع آخر، وإنما كتبتُ هنا تنبيهًا علىٰ مجامع الفرق بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان.

= عبداللَّه بن مسعود ﷺ عند أحمد في «المسند» (٤١٤٩): «أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن أحدٌ من الصحابة». والحديث أعلاه كان فيه زيادةٌ في أوَّله أنه قال هذا الدعاء ليلة الجن؛ فراجع نصَّه كاملًا في مصادر التخريج. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

وجماعُ الفرق بينهما: اعتبارهم بموافقة رسول اللَّه ﷺ؛ فإنه هو الذي فرَّق اللَّه تعالىٰ به بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدىٰ والرشاد وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وبين أوليائه جند الرَّحمٰن وأعدائه حزب الشيطان، وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال في أعدائه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ

رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(١) ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(٢) ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم(٣) بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور].

فنزه ﷻ نبينا محمدًا ﷺ عمن تقترن به الشياطين، من الكهان والشعراء والمجانين؛ وبيَّن أن الذي جاءه بالقرآن ملَكٌ كريم اصطفاه اللَّه تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ(٤) ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء].

(١) ﴿الْوَتِينَ﴾: الشريان المعلَّق به القلب. وعلىٰ هذا أكثرُ المفسرين. وقيل: الحبل الذي في الظَّهر. وقيل: هو عِرْقٌ يجري في الظهر حتىٰ يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه. والمراد من الجميع واحد، وهو أنه لو كَذَب علينا لأهلكناه وما تركناه.

(٢) ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: مصائب الزمان.

(٣) ﴿أَحْلَامُهُم﴾: عقولهم.

(٤) **الزُّبُر**: الكتب.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل] فسماه: الروح الأمين، وسماه: روح القدس.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ يعني: الكواكب التي تكون في السماء خانسةً أي: مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جاريةً في السماء، فإذا غربت ذهبت إلىٰ كُنَّاسِها الذي يحجبها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾، أي: إذا أدبر وأقبل الصبح، ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ أي: أقبل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾، أي: مطاع في السماء أمين، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير] أي: صاحبكم الذي مَنَّ اللَّه عليكم به؛ إذ بعثه إليكم رسولًا من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تُطيقون أن تروا الملائكة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ [1] ﴿٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، أي: رأىٰ جبريل عليه السلام ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي: بمتَّهَم، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي: ببخيل يكتم العلم ولا يبذُله إلا بجُعل، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعِوَض، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير]، فنزَّه

(١) اللَّبْس: التخليط.

جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانًا، كما نزَّه محمدًا ﷺ عن أن يكون شاعرًا أو كاهنًا.

فأولياء اللَّه المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ؛ فيفعلون ما به أمر، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بُيِّن لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته ورُوح منه، ويقذف اللَّه في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يُكرِمُ اللَّه بها أولياءه المتقين.

📖 [**من حِكَم الكرامات**]:

وخيارُ أولياء اللَّه كراماتُهم لحُجةٍ في الدين، أو لحاجةٍ بالمسلمين، كما كانت معجزاتِ نبيهم ﷺ كذلك.

وكراماتُ أولياء اللَّه إنما حصلت ببركةِ اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخُل في معجزات الرسول ﷺ: مثل انشقاق القمر[(١)]، وتسبيح الحصىٰ في كفِّه[(٢)]، وإتيان الشجر إليه[(٣)]، وحنين الجذع

(١) هذا ثابتٌ في القرآن العظيم أوائل سورة «القمر».
وكذا هو ثابتٌ عند البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف**: رواه البخاري في «التاريخ» (٢٥٠/٤)، البيهقي في «الدلائل» (٦٤/٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٦/٧)، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.
وأشار البيهقي إلىٰ **ضعفه، وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٧/٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٣٠٣/١٧). وانظر: «البداية والنهاية» (٦٩٤/٨).
ويشبهه: تسبيح الطعام بين يديه ﷺ، كما رواه البخاري (٣٥٧٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

إليه[١]، وإخباره ليلة المعراج بصفةِ بيت المقدس[٢]، وإخبارِه بما كان وما يكون[٣]، وإتيانِه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مراتٍ كثيرة؛ كما أَشبع في الخندق العسكرَ من قِدْرِ طعام، وهو لم ينقص في حديث أمِّ سُليم المشهور[٤]، وأروىٰ العسكر في غزوة خيبر من مَزادةِ ماءٍ[٥] ولم تنقص[٦]، وملأ أوعية العسكر عامَ تبوك من طعام قليل ولم ينقص ـ وهم نحو ثلاثين ألفًا[٧] ـ، ونبع الماء من بين أَصابعه مراتٍ متعددةً حتىٰ كفىٰ الناسَ الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربَعِمِئة أو خَمْسِمئة[٨]، وردِّه لعين قتادة[٩] حين سالت علىٰ خدِّه، فرجعت أحسنَ عينيه[١٠]،

(١) رواه البخاري (٣٥٨٣، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، من حديث ابن عمر، وجابر بن عبداللَّه، وأنس ﷺ علىٰ التوالي.

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠)، من حديث جابر بن عبداللَّه ﷺ.

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٢)، من حديث عمرو بن أخطب ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠)، من حديث أنس ﷺ.

(٥) **المزادة**: القِربة.

(٦) رواه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢)، من حديث عمران بن حصين ﷺ.

(٧) رواه مسلم (٢٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٨) رواه البخاري (٢٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩)، من حديث أنس ﷺ.

(٩) في المطبوعات: «أبي قتادة»، وما أثبتُّه أصح، كما أفاد ـ أيضًا ـ الشيخ عبدالرَّحمٰن اليحيىٰ في نسخته المحققة من «الفرقان»، وكما في مصادر التخريج.

(١٠) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧١/١٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٤٥٣/٣)، وابن هشام في «السيرة» (٤٦/٣)، وأبو يعلىٰ =

ولما أَرسل محمدَ بن مَسْلَمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله، فمَسحها بيده الكريمة فبرئت[(١)]، وأطعم من سوادِ بطن شاةٍ مئةً وثلاثين رجلًا؛ كلٌّ منهم حَزَّ له قطعةً، وجعل منها قصعتين، فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فَضلةٌ[(٢)]، و[توفيته] دَيْن عبداللَّه أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقًا[(٣)]. قال جابر: فأمر صاحب الدَّين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له، فلم يقبل، فمشىٰ فيها رسول اللَّه

= (١٥٤٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/١٢)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/٥٢٥)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٧/٣٠٠)، وأفاد الشيخ محمد عوامة في تحقيق «المصنف» أن طرق الحديث تدلُّ علىٰ **أن له أصلًا**. واللَّهُ تعالىٰ أعلم، **وقوَّاه** الشيخ الألباني في تحقيقه لـ«بداية السول» ص(٤٢)، كما أفادني أخي الحبيب أبو عمر الذهبي ـ حفظه اللَّه ونفع به ـ.

تنبيه: روايات الحديث منها ما أفاد أن حادثة قتادة ﷺ كانت «في بدر»، وفي بعضها: «في أُحُد»، وفي أخرىٰ: «في الخندق»، والأصح الأول، كما قال في «الاستيعاب» (٣/١٢٧٥).

(١) رواه البخاري (٤٠٣٩)، من حديث البراء بن عازب ﷺ.

تنبيه: هذه ليست قصة محمد بن مسلمة ﷺ، ولم تكن عند قتل كعب بن الأشرف ـ لعنه اللَّه ـ، وإنما وقعت لجابر بن عتيك ﷺ عند مقتل أبي رافع اليهودي ـ لعنه اللَّه ـ. أما محمد بن مسلمة ﷺ فلم يصب بأذىً عند قتل كعب بن الأشرف ـ لعنة اللَّه ـ. وحديثه في «صحيح البخاري» (٤٠٣٧)، و«صحيح مسلم» (١٨٠١)، من حديث جابر بن عبداللَّه ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر ﷺ.

(٣) **الوَسْق**: ستون صاعًا.

ﷺ، ثم قال لجابر: «**جُدَّ له**»[١]. فوفَّاه الثلاثين وسقًا، وفضل سَبعةَ عَشَر وَسْقًا[٢]. ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدًّا:

▫ مثلما كان أُسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظُّلَّة[٣] فيها أمثال السُّرُج، وهي الملائكة نزلت لقراءته.

▫ وكانت الملائكة تسلِّم علىٰ عمران بن حصين.

▫ وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صَحْفة، فسَبَّحت الصحفة أو سبَّح ما فيها.

▫ وعبَّاد بن بشر وأُسيد بن حُضير؛ خرجا من عند رسول اللَّه ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نورٌ مثل طرفِ السَّوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما. رواه البخاري وغيره[٤].

▫ وقصةُ الصدِّيق في «الصحيحين» لما ذهب بثلاثة أضيافٍ معه إلىٰ بيته، وجعل لا يأكل لقمةً إلا رَبَىٰ من أسفلها أكثرُ منها، فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأتُه، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وجاء إليه أقوامٌ كثيرون، فأكلوا منها وشبعوا[٥].

(١) **جُدَّ له**: اقطع له.

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٣) **الظُّلَّة**: السحابة.

(٤) رواه البخاري (٤٦٥، ٣٦٣٩، ٣٨٠٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧)، من حديث عبدالرَّحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

▫ وخُبيب بن عدي كان أسيرًا عند المشركين بمكة ـ شرفها اللَّه تعالىٰ ـ، وكان يؤتىٰ بعنبٍ يأكله، وليس بمكة عنبة.

▫ وعامر بن فُهَيرة قُتل شهيدًا، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قُتل رُفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع. قال عروة: «فيرون الملائكة رفعته[١]».

▫ وخرجت أم أيمن مهاجرةً وليس معها زادٌ ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقتُ الفطر ـ وكانت صائمةً ـ سمعت حسًّا علىٰ رأسها، فرفعته فإذا دلوٌ برِشاءٍ[٢] أبيض معلق، فشربت منه حتىٰ رَوِيت، وما عطشت بقية عمرها.

▫ وسَفِينة ـ مولىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ أخبر الأسد بأنه رسولُ رسولِ اللَّه ﷺ، فمشىٰ معه الأسد حتىٰ أوصله إلىٰ مقصده.

▫ والبراء بن مالك كان إذا أقسم علىٰ اللَّه تعالىٰ أبرَّ قسمه. وكان الحربُ إذا اشتدت علىٰ المسلمين في الجهاد يقولون: «يا براء، أقسِمْ علىٰ ربك، فيقول: يا رب، أقسمتُ عليك لَمَا منحتنا أكتافهم». فيُهزم العدو. فلما كان يوم القادسية[٣] قال: «أقسمتُ عليك ـ يا رب ـ لَمَا منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد»، فمنحوا أكتافهم، وقُتل البراء شهيدًا.

▫ وخالد بن الوليد حاصر حصنًا منيعًا، فقالوا: «لا نُسلمُ حتىٰ تشرب السم»، فشربه فلم يضرَّه.

(١) في النسخة المحققة: «دفنته».
(٢) **الرِّشاء**: الحبل.
(٣) في النسخة المحققة: «تُستر».

▫ وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة؛ ما دعا قطُّ إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرىٰ وفتح العراق.

▫ وعمر بن الخطاب لما أَرسل جيشًا أَمَّر عليهم رجلًا يسمىٰ سارية؛ فبينما عمرُ يخطب جعل يصيح علىٰ المنبر: «يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقَدِمَ رسولُ الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوًّا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل. يا سارية الجبل. فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم اللَّه».

▫ ولما عُذِّبت الزِّنِّيرة علىٰ الإسلام في اللَّه، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: «ما أصاب بصرَها إلا اللاتُ والعزىٰ، قالت: كلا واللَّه، فرد اللَّه عليها بصرها».

▫ ودعا سعيد بن زيد علىٰ أروىٰ بنت الحكم، فأعمىٰ بصرها لما كذبت عليه، فقال: «اللهم إن كانت كاذبةً فأعم بصرها، واقتلها في أرضها». فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.

▫ والعلاء بن الحَضْرمي كان عاملَ رسول اللَّه ﷺ علىٰ البحرين، وكان يقول في دعائه: «يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم»[1]، فيستجاب له، ودعا اللَّه بأن يُسقَوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما عدموا الماء، ولا يبقىٰ الماء بعدهم= فأُجيب، ودعا اللَّه لما اعترضهم البحر ولم يقدروا علىٰ المرور بخيولهم، فمرُّوا

(١) يقصد ـ لو صحت القصة ـ أنه كان يذكر هذه الأسماء الحسنىٰ وسط الدعاء، وليس المقصود الدعاء بالاسم ـ أو الوصف ـ المفرد؛ فإن هذا بدعةٌ لا أصل لها؛ ولذا قال الإمام: «كان يقول في دعائه»، أي: بين ما يطلبه من ربِّه ﷻ.

كلُّهم علىٰ الماء، ما ابتلَّت سروج خيولهم؛ ودعا اللَّه ألَّا يَرَوا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد.

▫ وجرىٰ مثل ذلك لأبي مسلم الخَوْلاني الذي أُلقيَ في النار؛ فإنه مشىٰ هو ومن معه من العسكر علىٰ دجلة وهي ترمي بالخشب من مَدِّها، ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال: «هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتىٰ أدعو اللَّه ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مِخْلاةً، فقال: اتبعني. فتبعه، فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها».

▫ وطلبه الأسودُ العنسيُّ لَمَّا ادعىٰ النُّبوة، فقال له: «أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟ قال: نعم». فأمر بنار، فأُلقي فيها، فوجدوه قائمًا يصلي فيها، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا.

▫ وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: «الحمد للَّه الذي لم يُمِتْني حتىٰ أرىٰ من أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل اللَّه».

▫ ووَضعت له جاريةٌ السمَّ في طعامه، وأكله فلم يضره، وخبَّبت[1] امرأةٌ عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، فجاءت وتابت، فدعا لها، فرد اللَّه عليها بصرها.

▫ وكان عامر بن عبدِ قيسٍ يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائلٌ في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلىٰ بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها.

▫ ومر بقافلةٍ قد حبسهم الأسد، فجاء حتىٰ مسَّ بثيابه الأسد، ثم

(١) خببت: أفسدت.

وضع رجله علىٰ عنقه، وقال: «إنما أنت كلبٌ من كلاب الرَّحمٰن، وإني أستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا غيره». ومرت القافلة.

▫ ودعا اللَّه تعالىٰ أن يهوِّن عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتي بالماء له بخار.

▫ ودعا ربَّه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه [الشيطان].

▫ وتغيَّب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ستَّ مرات، فدعا اللَّه ﷻ فلم يرَوْه.

▫ ودعا علىٰ بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتًا.

▫ وصِلَةُ بن أَشْيَم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: «اللهم لا تجعل لمخلوقٍ عليَّ مِنَّةً». ودعا اللَّه ﷻ، فأحيا له فرسه، فلما وصل إلىٰ بيته قال: «يا بني، خُذْ سَرْجَ الفرس؛ فإنه عارية». فأخذ سَرْجه فمات الفرس.

▫ وجاع مرةً بالأهواز، فدعا اللَّه ﷻ واستطعمه، فوقعت خلفه دَوخلةُ رُطَبٍ[1] في ثوب حرير، فأكل التمر، وبقي الثوب عند زوجته زمانًا.

▫ وجاء الأسد وهو يصلي في غَيْضةٍ بالليل[2]، فلما سلم قال له: «اطلب الرزق من غير هذا الموضع». فولىٰ الأسد وله زئير.

▫ وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرَّة يسمع الأذان من قبر رسول اللَّه ﷺ أوقات الصلوات، وكان المسجدُ قد خلا فلم يبق غيره.

(١) **الدَّوخلة**: وعاءٌ من خوص. (٢) **الغيضة**: بستانٌ فيه شجرٌ ملتف.

▫ورجل من النَّخَع كان له حمار، فمات في الطريق، فقال له أصحابه: «هلمَّ نتوزَّعُ متاعك علىٰ رحالنا[١]، فقال لهم: أمهلوني هُنيهةً. ثم توضأ فأحسن الوضوء، وصلىٰ ركعتين، ودعا اللَّه تعالىٰ، فأحيا له حماره، فحَمَل عليه متاعه».

▫ولما مات أويسٌ القَرَني وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبلُ، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحدٌ في صخرة، فدفنوه فيه، وكفَّنوه في تلك الأثواب.

▫وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يصلي يومًا في شدة الحر، فأظلته غمامة، وكان السَّبُع يحميه وهو يرعىٰ ركاب أصحابه[٢]؛ لأنه كان يشترط علىٰ أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.

▫وكان مطرِّفُ بن عبداللَّه بن الشخير إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته.

▫وكان هو وصاحبٌ له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرفُ السوط.

▫ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قَلنسوةُ رجلٍ[٣] في قبره، فأهوىٰ ليأخذها، فوجد القبر قد فُسح فيه مد البصر.

▫وكان إبراهيمُ التَّيْمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا، وخرج يمتار[٤] لأهله طعامًا فلم يقدر عليه، فمر بسهلةٍ حمراء، فأخذ منها

(١) **الرِّحال**: الأمتعة.
(٢) **الرِّكاب**: الإبل.
(٣) **القلنسوة**: مثل «الطاقية».
(٤) **يمتار**: يجلب الطعام.

ثم رجع إلىٰ أهله ففتحها، فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلىٰ فرعها حبًّا متراكبًا.

▫ وكان عتبةُ الغلام سأل ربَّه ثلاثَ خصال: صوتًا حسنًا، ودمعًا غزيرًا، وطعامًا من غير تكلُّف. فكان إذا قرأ بكىٰ وأبكىٰ، ودموعُه جاريةٌ دهرَه، وكان يأوي إلىٰ منزله، فيصيب فيه قُوتَه ولا يدري من أين يأتيه.

▫ وكان عبدالواحد بن زيد أصابه الفالجُ[1]، فسأل ربه أن يُطلقَ له أعضاءه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تُطلَقُ له أعضاؤه، ثم تعود بعده.

وهذا بابٌ واسع، وقد بُسط الكلام علىٰ كرامات الأولياء في غير هذا الموضع.

وأما ما نعرفه نحن عيانًا ونعرفه في هذا الزمان فكثير.

ومما ينبغي أن يُعرف: أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوِّي إيمانه ويسدُّ حاجته، ويكون من هو أكمل ولايةً للَّه منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها ـ لا لنقص ولايته ـ؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثرَ منها في الصحابة، بخلاف من يجري علىٰ يديه الخوارقُ لهُدىٰ الخلق ولحاجتهم؛ فهؤلاء أعظم درجةً.

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبداللَّه بن صيَّاد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعضُ الصحابة أنه الدجال،

(١) **الفالج**: الشلل.

وتوقف النبي ﷺ في أمره حتىٰ تبيَّن له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهَّان، قال له: النبي ﷺ «**قد خبَّأتُ لك خَبْأً**»، قال: الدُّخ الدخ ـ وقد كان خبَّأ له سورة الدخان ـ، فقال له النبي ﷺ: «**اخسأ؛ فلن تعدوَ قدرَك**»(١). يعني: إنما أنت من إخوان الكهان.

والكهانُ كان يكون لأحدهم القرينُ من الشياطين يخبره بكثيرٍ من المغيَّبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة تنزلُ في العَنان** ـ وهو السحاب ـ؛ **فتذكر الأمر قُضيَ في السماء، فتسترق الشياطينُ السمعَ، فتُوحيه إلىٰ الكهَّان؛ فيكذبون معها مئةَ كِذْبةٍ من عند أنفسهم**»(٢).

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفرٍ من الأنصار، إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟**»، قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإنه لا يُرمىٰ بها لموتِ أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربنا** ﷻ **إذا قضىٰ أمرًا سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهلُ السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتىٰ يبلغ التسبيحُ أهلَ هذه السماء، ثم يسأل أهلُ السماء السابعة حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهلُ كل سماء، حتىٰ يبلغ الخبرُ أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطينُ السمعَ فيُرمَون، فيقذفونه**

(١) رواه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

إلىٰ أوليائهم، فما جاؤوا به علىٰ وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون»[(١)].

وفي رواية: قال معمر: قلت للزهري: أكان يُرمىٰ بها في الجاهلية؟ قال: نعم؛ ولكنها غُلِّظت حين بُعث النبي ﷺ[(٢)].

والأسود العنسي ـ الذي ادعىٰ النبوة ـ كان له من الشياطين من يُخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتىٰ أعانتهم عليه امرأتُه لما تبيَّن لها كفرُه فقتلوه.

وكذلك مسيلمةُ الكذاب كان معه من الشياطين من يُخبره بالمغيبات، ويُعينه علىٰ بعض الأمور. وأمثال هؤلاء كثيرون؛ مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبدالملك بن مروان وادعىٰ النبوة، وكانت الشياطين يُخرجون رجليه من القَيْد، وتمنع السلاح أن يَنفَذَ فيه، وتسبِّح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يُري الناس بجبل قاسيون رجالًا وركبانًا علىٰ خيل في الهواء، ويقول: «هي الملائكة»، وإنما كانوا جِنًّا. ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم يَنفذ فيه، فقال له عبدُالملك: «إنك لم تسمِّ اللَّه»، فسمىٰ اللَّه فطعنه فقتله.

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرفُ عنهم شياطينُهم إذا ذُكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي؛ فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لمَّا وكَّله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلةً بعد ليلة، وهو يمسكه فيتوب فيُطلقه،

(١) رواه مسلم (٣٣٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣/٣٧٤ ـ الرسالة).

فيقول له النبي ﷺ: «**ما فَعَل أسيرُك البارحة؟**»، فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «**كَذَبك، وإنه سيعود**». فلما كان في المرة الثالثة. قال: دعني حتىٰ أعلِّمك ما ينفعك: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلىٰ آخرها، فإنه لن يزال عليك من اللَّه حافظٌ، ولا يقربُك شيطان حتىٰ تصبح، فلما أَخبر النبيَّ ﷺ قال: «**صَدَقك وهو كذوب**». وأخبره أنه شيطان[(١)].

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدقٍ أبطلتها، مثل مَن يدخل النار بحالٍ شيطاني، أو يَحضر سماع المُكاء والتصدية فتنزل عليه الشياطين، وتتكلم علىٰ لسانه كلامًا لا يَعلَمه وربما لا يفقهه، وربما كاشف بعضَ الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني علىٰ لسان المصروع، والإنسان الذي حصل له الحالُ لا يدري بذلك، بمنزلة المصروع الذي يتخبَّطه الشيطان من المس، ولَبِسَه وتكلم علىٰ لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيءٍ مما قال، ولهذا قد يُضرب المصروعُ ضربًا كثيرًا حتىٰ قد يَقتل مثلُه الإنسيَّ أو يُمرضه لو كان هو المضروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويُخبِرُ إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء؛ لأن الضرب كان علىٰ الجنيِّ الذي لَبِسه.

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمةٍ وفواكهَ وحلوىٰ وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجنيُّ إلىٰ مكة أو بيت المقدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشية عرفة، ثم يعيده من ليلته؛ فلا يحج حجًّا شرعيًّا؛ بل يذهب بثيابه، ولا يحرم إذا

(١) رواه البخاري (٢٣١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حاذىٰ الميقات، ولا يلبِّي، ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت، ولا يسعىٰ بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار؛ بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحجٍّ مشروع باتفاق المسلمين، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء، أو إلىٰ غير القبلة. ومن هؤلاء المحمولين من حُمل مرةً إلىٰ عرفات ورجع، فرأىٰ في النوم ملائكة تكتب الحجاج، فقال: «ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج». يعني لم تحجَّ حجًّا شرعيًّا.

[أهم الفروق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية]:

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة:

منها: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوىٰ، والأحوالُ الشيطانية سببها ما نهىٰ اللَّه عنه ورسوله.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فالقول علىٰ اللَّه بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها اللَّه تعالىٰ ورسولُه؛ فلا تكون سببًا لكرامة اللَّه تعالىٰ، ولا يُستعان بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن؛ بل تحصل بما يحبُّه الشيطان وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يُستعان بها علىٰ ظلم الخلق وفعل الفواحش= فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية.

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المُكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه؛ حتىٰ يحملَه في الهواء، ويخرجه من تلك الدار، فإذا حصل[1] رجلٌ من أولياء اللَّه تعالىٰ طرد شيطانه فيسقط، كما جرىٰ هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلمًا أو نصرانيًّا أو مشركًا، فيَتصوَّر الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو مَلَكٌ تصوَّر علىٰ صورته، وإنما هو شيطان أضلَّه لما أشرك باللَّه، كما كانت الشياطين تَدخُل الأصنام وتكلِّم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: «أنا الخضر»، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه علىٰ بعض مطالبه، كما قد جرىٰ ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارىٰ. وكثيرٌ من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم الميت، فيأتي الشيطان بعد موته علىٰ صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويردُّ الودائع، ويفعل أشياء تتعلقُ بالميت، ويدخل علىٰ زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ـ كما تصنع كفارُ الهند ـ، فيظنون أنه عاش بعد موته.

ومن هؤلاء شيخٌ كان بمصر أوصىٰ خادمه فقال: «إذا أنا متُّ فلا تدَعْ أحدًا يغسِّلُني؛ فأنا أَجيء وأُغسِّل نفسي». فلما مات رأىٰ خادمه شخصًا في صورته، فاعتقد أنه هو، فدخل وغسَّل نفسه، فلما

(١) **حصل**: حضر وجاء.

قضىٰ ذلك الداخلُ غُسْلَه ـ أي غسل الميت ـ غاب، وكان ذلك شيطانًا، وكان قد أضل الميت، وقال: «إنك بعد الموت تجيء فتغسِّل نفسك»، فلما مات جاء ـ أيضًا ـ في صورته ليُغويَ الأحياء كما أغوىٰ الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرىٰ عرشًا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبُه ويقول: «أنا ربك»، فإن كان من أهل المعرفة عَلِم أنه شيطانٌ فزجره، واستعاذ باللَّه منه فيزول[1].

ومنهم من يرىٰ أشخاصًا في اليقظة يدَّعي أحدهم أنه نبيٌّ أو صِدِّيق أو شيخٌ من الصالحين، ويكون من الشياطين، وقد جرىٰ هذا لغير واحد.

ومنهم من يرىٰ ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرىٰ القبر قد انشقَّ وخرج إليه صورةٌ، فيعتقدها الميت، وإنما هو جنيٌّ تصوَّر بتلك الصورة.

(١) ومثل هذا ما ذكره الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أيضًا ـ في «مجموع الفتاوىٰ» (١/١٧٢)، عن الإمام عبدالقادر الجَيْلاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنتُ مرةً في العبادة، فرأيت عرشًا عظيمًا وعليه نور، فقال لي: يا عبدَالقادر، أنا ربُّك، وقد حلَّلتُ لك ما حرَّمتُ علىٰ غيرك. قال: فقلت له: أنت اللَّه الذي لا إلٰه إلا هو؟! اخسأ ـ يا عدو اللَّه ـ. فتمزَّق ذلك النور، وصار ظلمةً. وقال: يا عبدَالقادر، نجوتَ مني بفقهك في دينك وعلمك، وبمنازلاتك في أحوالك؛ لقد فتنتُ بهذه القصة سبعين رجلًا.
فقيل لعبدالقادر رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف علمتَ أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي: «حللتُ لك ما حرمت علىٰ غيرك»، وقد علمتُ أن شريعة محمدٍ ﷺ لا تُنسخ ولا تُبدَّل. ولأنه قال: أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا اللَّه الذي لا إلٰه إلا أنا» اهـ.

ومنهم من يرىٰ فرسًا قد خرج من قبره أو دخل في قبره، ويكون ذلك شيطانًا.

وكلُّ من قال: «إنه رأىٰ نبيًّا بعين رأسه» فما رأىٰ إلا خيالًا.

ومنهم من يرىٰ في منامه أن بعض الأكابر ـ إما الصديق رضي الله عنه أو غيره ـ قد قصَّ شعره أو حلقه، أو ألبسه طاقيته أو ثوبه؛ فيُصبح وعلىٰ رأسه طاقية وشعرُه محلوق أو مقصَّر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصَّروه.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصلُ لمن خرج عن الكتاب والسُّنة وهم درجات. والجنُّ الذين يقترنون بهم من جنسهم، وهم علىٰ مذهبهم، والجنُّ فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسيُّ كافرًا أو فاسقًا أو جاهلًا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم علىٰ ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء مَن يعظِّمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء اللَّه أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يَقلِبُ فاتحة الكتاب، أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن، ويكتبهن بالنجاسة، فيُغوِّرون[1] له الماء، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأةٍ أو صبي؛ إما في الهواء، وإما مدفوعًا مُلجَأً إليه.

إلىٰ أمثال هذه الأمور التي يطولُ وصفُها، والإيمانُ بها إيمانٌ بالجبت والطاغوت، والجبت: السحر، والطاغوت: الشياطين والأصنام[2].

(١) **يغوِّرون**: يُبعدون في الأرض.

(٢) راجع «رسالة في معنىٰ الطاغوت» (١/٢٧٧).

وإن كان الرجل مطيعًا للَّه ورسوله باطنًا وظاهرًا= لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالمته.

ولهذا لما كانت عبادةُ المسلمين المشروعة في المساجد ـ التي هي بيوت اللَّه ـ كان عُمَّارُ المساجد أبعدَ عن الأحوال الشيطانية، وكان أهل الشرك والبدع ـ الذين يعظِّمون القبور ومشاهد الموتىٰ فيَدْعون الميت، أو يدْعون به[١]، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ـ أقربَ إلىٰ الأحوال الشيطانية.

فإنه ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن اللَّهُ اليهودَ والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

وثبت في «صحيح مسلم» عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال: «**إن أمَنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنَّ صاحبَكم خليل اللَّه، لا يَبقَينَّ في المسجد خَوْخَةٌ إلا سُدَّت إلا خوخةَ أبي بكر. وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»[٣].

وفي «الصحيحين» عنه أنه ذُكر له في مرضه كنيسةٌ بأرض الحبشة، وذكروا من حُسنها وتصاويرَ فيها، فقال: «**إن أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيها تلك التصاوير؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه يوم القيامة**»[٤].

(١) يقصد: يتوسلون به.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

وفي «المسند» و«صحيح أبي حاتم» عنه ﷺ قال: «**إن من شرار الخلق مَن تُدركُهم الساعةُ وهم أحياء، والذين اتخذوا القبورَ مساجد**»(١).

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تصلُّوا إليها**»(٢).

وفي «الموطأ» عنه أنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**»(٣).

وفي «السنن» عنه أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغُني**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما من رجلٍ يُسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه السلام**»(٥).

وقال ﷺ: «**إن اللَّه وَكَّل بقبري ملائكةً يبلِّغوني عن أمَّتي السلام**»(٦).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٩٧٢)، من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٥٢٧/٢)، وإسحاق بن راهويه (٢٥٤/١)، وأبو داود (٢٠٤١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٤٧٩)، وفي «الدعوات» (١٧٨)، وفي «الكبرىٰ» (٤٠٢/٥)، وفي «حياة الأنبياء في قبورهم» (١٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٩٢)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٣٣٢/٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٧٧/١٦).

(٦) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٢٨)، وأحمد (٣٨٧/١)، وعبدالرزاق (٣١١٦)، والنسائي (١٢٨٢)، وفي «الكبرىٰ» (١٢٠٦)، وفي =

وقال ﷺ: «**أكثِروا عليَّ من الصلاة يومَ الجمعة وليلةَ الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ**»، قالوا: يا رسول اللَّه، كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ ـ أي بَلِيتَ ـ؟ فقال: «**إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»[1].

= «عمل اليوم» (٦٦)، والدارمي (٢٨١٦)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٢١)، والبزار (٨٤٥)، والشاشي (٨٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٢٩)، وابن حِبَّان (٩١٤)، والحاكم (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٤٨٠)، وفي «الدعوات» (١٧٩)، وفي «حياة الأنبياء» (١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٢٠٠)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/٢٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٨٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند النَّسائي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٧/٣٤٣).

تنبيه هام: لفظ الحديث: «**إن للَّه في الأرض ملائكةً سياحين**»، وليس: «**وكَّل بقبري**» ـ كما وهم الإمام ـ، وقد كرر هذا في عدة مواضع من مؤلفاته، مثل: «منهاج السنة» (٢/٤٤٢)، و«اقتضاء الصراط» (٢/٢٩٢). وكذا في عدة مواضع من «مجموع الفتاوى». والعلمُ عند اللَّه تعالى.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٨)، وابن أبي شيبة (٢/٥١٦)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وفي «الكبرى» (١٦٧٨)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٧٧)، والدارمي (١٦١٣)، وإسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٢٢)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١/٢٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٩)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٩٧٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/٢٤٨)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٥)، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه. **وصحَّحه** النووي في «الأذكار» (٣٣٢)، والحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيق «الأذكار»، والشيخ =

وقد قال اللَّه تعالىٰ في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

□ قال ابن عباس وغيرُه من السلف: «هؤلاء قومٌ كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلَهم فعبدوهم».

فكان هذا مبدأَ عبادة الأوثان. فنهىٰ النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسُدَّ باب الشرك، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها؛ لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ، والشيطان يقارنُها وقتَ الطلوع ووقت الغروب؛ فتكون في الصلاة حينئذٍ مشابهةٌ لصلاة المشركين، فسَدَّ هذا الباب.

والشيطان يُضلُّ بني آدم بحسب قدرته؛ فمن عَبَد الشمسَ والقمر والكواكب ودعاها ـ كما يفعل أهل دعوة الكواكب ـ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمُّون ذلك: «رُوحانية الكواكب»، وهو شيطان.

والشيطان وإن أعان الإنسان علىٰ بعض مقاصده، فإنه يَضُرُّه أضعاف ما ينفعه، وعاقبةُ مَن أطاعه إلىٰ شرٍّ إلا أن يتوب اللَّه عليه، وكذلك عباد الأصنام قد تُخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميتٍ أو غائب، وكذلك من دعا الميت أو دعا به، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضلُ منه في البيوت والمساجد، ويرْوُون حديثًا هو كذبٌ باتفاق أهل المعرفة؛ وهو: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب**

= الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٨٤/٢٦).

القبور»[١]؛ وإنما هذا وَضْعُ مَن فَتَح باب الشرك.

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبِّهين بهم من عُباد الأصنام والنصارىٰ والضُّلال من المسلمين أحوالٌ عند المشاهد يظنُّونها كرامات، وهي من الشياطين؛ مثل أن يضعوا سراويلَ[٢] عند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروعٌ فيرون شيطانه قد فارقه؛ يفعل الشيطانُ هذا ليُضلَّهم، وإذا قُرِئت آيةُ الكرسيِّ هناك بصدقٍ بَطَل هذا؛ فإن التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال: «لا إلٰه إلا اللَّه» فسقط. ومثل أن يرىٰ أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت، وهو شيطان.

وهذا بابٌ واسع لا يتسع له هذا الموضع.

ولما كان الانقطاعُ إلىٰ المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها اللَّه ولا رسوله، صارت الشياطين كثيرًا ما تأوي إلىٰ المغارات والجبال؛ مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال بالروم وخراسان، وجبال بالجزيرة، وغير ذلك، وجبل اللُّكام، وجبل الأحيش، وجبل سبلان[٣] قرب أردبيل.....

(١) **باطلٌ مختلق**: وقد كرَّر بيان بطلانه الإمام ابن تيمية في عددٍ من مؤلَّفاته.

(٢) و«السراويل» لفظٌ مفرد، وليس جمعًا ـ كما قال الإمام سيبويه رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، وهي كذلك مؤنثة، ولا يعلم أحدٌ ذكَّرها. انظر: «منتدىٰ مجمع اللغة العربية» علىٰ الشبكة الدولية، تحت عنوان: «سراويل مفرد أم جمع؟ ممنوع أم مصروف؟».

(٣) في بعض النسخ: «سولان».

وجبل شهنك[١] عند تِبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الجبال التي يَظن بعضُ الناس أن بها رجالًا من الصالحين من الإنس ويسمونهم: «رجال الغيب»، وإنما هناك رجال من الجن، فالجنُّ رجالٌ كما أن الإنس رجال، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

ومن هؤلاء من يَظهر بصورة رجل شَعْراني[٢]، جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني، ويقال: بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال! وهؤلاء الذين يُظنُّ أنهم الأبدال هم جنٌّ بهذه الجبال، كما يُعرف ذلك بطرقٍ متعددة.

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطِه وذِكْرِ ما نعرفه من ذلك؛ فإنَّا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كُتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام علىٰ أولياء اللَّه تعالىٰ ما يَعرف به جمل ذلك.

✍ [أحوال الناس مع خوارق العادات]:

والناس في خوارق العادات علىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يُكذِّب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدَّق به مجمَلًا، وكذَّب ما يُذكر له عن كثيرٍ من الناس؛ لكونه عنده ليس من الأولياء.

٢ ـ ومنهم من يَظن أن كل من كان له نوعٌ من خرق العادة كان وليًّا للَّه.

(١) في بعض النسخ: «سهل».

(٢) **شعراني**: كثير الشعر.

وكِلا الأمرين خطأ؛ ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نُصَراءَ يعينونهم علىٰ قتال المسلمين، وأنهم من أولياء اللَّه. وأولئك يكذِّبون أن يكون معهم من له خَرقُ عادة.

٣ ـ والصوابُ القول الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء اللَّه ﷻ، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

وهؤلاء العُباد والزهاد ـ الذين ليسوا من أولياء اللَّه المتقين المتَّبِعين للكتاب والسنة ـ تقترن بهم الشياطين؛ فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكنَّ خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضًا، وإذا حَصَل من له تمكُّنٌ من أولياء اللَّه تعالىٰ أبطلها عليهم، ولابدَّ أن يكون في أحدهم من الكذب ـ جهلاً أو عمدًا ـ ومن الإثم ما يناسب حالَ الشياطين المقترنة بهم ليفرِّق اللَّه بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبِّهين بهم من أولياء الشياطين.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]. والأفاك: الكذاب، والأثيم: الفاجر.

ومن أعظم ما يُقوِّي الأحوال الشيطانية: سماع الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

▫ قال ابن عباس وابن عمر ﷺ وغيرهما من السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير».

فكان المشركون يتخذون هذا عبادة. وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أَمر اللَّه به من الصلاة والقراءة والذكر... ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه علىٰ استماع غناءٍ قط ـ لا بكفٍّ ولابدُف، ولا تواجُدٍ ـ، ولا سقطت بُردتُه؛ بل كل ذلك كذبٌ باتفاق أهل العلم بحديثه[(١)].

▫ وكان أصحابُ النبي ﷺ إذا اجتمعوا أَمَروا واحدًا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون.

▫ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسىٰ الأشعري: «ذكِّرْنا ربَّنا». فيقرأ وهم يستمعون[(٢)].

ومر النبي ﷺ بأبي موسىٰ الأشعري وهو يقرأ؛ فقال له: «**مررتُ بك البارحةَ وأنت تقرأ، فجعلتُ أستمع لقراءتك**»، فقال: لو علمتُ أنك تستمع لحبَّرته لك تحبيرًا[(٣)].

(١) راجع (١٥٠/٣).

(٢) ورد في النسخة المحققة بعد هذا الأثر إعادةٌ طويلة لما سبق للإمام أن ذكره ص(٢٣٦) بدايةً من قوله: «ومِن هذه الأرواح الشيطانية: الروح الذي يزعم صاحب «الفتوحات» أنه ألقىٰ إليه ذلك الكتاب...» إلىٰ قوله ص(٢٣٧): «فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثًا». ولم يردْ في هذه النسخة المحققة ـ أيضًا ـ ما ورد هنا من أول الحديث القادم من استماع الحبيب ﷺ لأبي موسىٰ الأشعري وهو يقرأ القرآن، حتىٰ قوله: «ولهذا كثيرًا ما يعاقَبُ أصحابُ الخوارق» الآتي ص(٣٠٣). والظاهر أنه وقع خطأٌ وخلطٌ في تلك النسخة المحققة. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٠٤)، وأبو يعلىٰ (٧٢٧٩)، وابن حبان (٧١٩٧)، والحاكم (٤٦٦/٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٩٦٢)، وفي =

أي: لحسَّنته لك تحسينًا.

كما قال النبي ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا** ـ أي: استماعًا ـ **إلىٰ الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنة إلىٰ قَيْنته**[(٢)]»[(٣)].

= «الكبرىٰ» (١٨/٣)، والبزار (٣١٦٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢٥٨/١)، والرُّوياني (١٦)، من حديث بريدة ﷺ. **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، بينما **لم يوافقه** في «سير أعلام النبلاء» (٣٨٧/٢) ـ لعلةٍ في إسناده ـ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ «الإحسان»: «**إسناده علىٰ شرط مسلم**».

والحديث رواه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٤)، من حديث أبي موسىٰ ﷺ دون ذكر قوله للنبي ﷺ.

وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٨٧/٢)، و«مجمع الزوائد» (٣٥٤/٧).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٨٣/٤)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٨)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وفي «الكبرىٰ» (١٠٨٩)، والآجُرِّي في «أخلاق حملة القرآن» (٢٠٣ ـ تهذيبي)؛ من حديث البراء ابن عازب ﷺ، **وجوَّده** الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره «فضائل القرآن» (١٩٠)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٥١/٣٠).

(٢) **القَيْنة**: المغنِّية.

(٣) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه أحمد (١٩/٦)، والبخاري في «التاريخ» (١٢٤/٧)، وابن ماجه (١٣٤٠)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص (١٦١)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٨٠)، وابن حِبَّان (٣٧٤)، والحاكم (٥٧٠/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢٣٠/١٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٠١/١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢١/٦١)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، وكذا **أقرَّه**: الحافظ المنذري في «الترغيب» =

وقال ﷺ لابن مسعود: «**اقرأ عليَّ القرآن**». فقال: أقرأُ عليك، وعليك أُنزل؟ فقال: «**إني أُحبُّ أن أسمعَه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء، حتىٰ انتهيت إلىٰ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء]، قال: «**حسبك**»، فإذا عيناه تَذرِفان من البكاء[(١)].

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم، كما ذكره اللَّه في القرآن فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم].

وقال في أهل المعرفة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

ومدح ـ سبحانه ـ أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان واقشعرار الجلد ودمع العين:

فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

= (٢٢٣٢)، والحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٣٧٣)، والحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩/٦٩)، وحسَّنه الإمام البوصيري في «الزوائد»، وضعَّفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٩٥١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/٣٧٢).

(١) رواه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال].

وأما السماع المحدَث ـ سماع الكفِّ والدفِّ والقصب ـ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقًا إلىٰ اللَّه ﷻ، ولا يعدُّونه من القُرَب والطاعات؛ بل يعدونه من البدع المذمومة.

▫ حتىٰ قال الشافعي: «خلَّفتُ ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه: التغبير؛ يصدُّون به الناس عن القرآن».

وأولياء اللَّه العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبًا وافرًا؛ ولهذا تاب منه خيارُ من حضره منهم.

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية اللَّه كان نصيبُ الشيطان منه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، [بل] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر؛ ولهذا إذا قويت سَكْرةُ أهله نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت علىٰ ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوةٌ بينهم، كما تحصل بين شُرَّاب الخمر؛ فتكون شياطين أحدهم أقوىٰ من شياطين الآخر فيقتلونه، ويظن الجهالُ أن هذا من كرامات أولياء اللَّه المتقين! وإنما هذا مُبعِدٌ لصاحبه عن اللَّه، وهو من أحوال الشياطين؛ فإنَّ قتل المسلم لا يَحِلُّ إلا بما أحله اللَّه، فكيف يكون قتل المعصوم مما يُكرم اللَّهُ به أولياءه؟! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يُكرِمُ اللَّه عبدًا بمثل أن يعينَه علىٰ ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته.

[أنواع الخوارق]:

وذلك أن الخوارق:

١ ـ منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات.

٢ ـ ومنها ما هو من جنس القدرة والمُلك كالتصرفات الخارقة للعادات.

٣ ـ ومنها ما هو من جنس الغنىٰ عن جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنىٰ.

وجميع ما يؤتيه اللَّه لعبده من هذه الأمور إن استعان به علىٰ ما يحبه اللَّه ويرضاه، ويقربه إليه ويرفع درجته، ويأمره اللَّه به ورسوله= ازداد بذلك رفعةً وقربًا إلىٰ اللَّه ورسوله، وعلت درجته. وإن استعان به علىٰ ما نهىٰ اللَّه عنه ورسوله ـ كالشرك والظلم والفواحش ـ استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه اللَّه تعالىٰ بتوبةٍ أوحسناتٍ ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين، ولهذا كثيرًا ما يعاقَبُ أصحابُ الخوارق:

ـ تارةً بسلبها، كما يُعزَل المَلِك عن مُلكه، ويُسلَبُ العالِمُ عِلمَه.

ـ وتارةً بسلب التطوعات؛ فيُنقل من الولاية الخاصة إلىٰ العامة.

ـ وتارةً ينزل إلىٰ درجة الفسَّاق.

ـ وتارةً يرتدُّ عن الإسلام، وهذا يَكثر فيمن له خوارقُ شيطانية؛ فإن كثيرًا من هؤلاء يرتدُّ عن الإسلام، وكثيرٌ منهم لا يعرف أن هذه من الشياطين؛ بل يظنها من كرامات أولياء اللَّه، ويظن من يظنُّ منهم أن اللَّه ﷻ إذا أعطىٰ عبدًا خَرْقَ عادةٍ لم يحاسبه علىٰ ذلك، كمن يَظن أن اللَّه إذا أعطىٰ عبدًا مُلكًا ومالًا وتصرفًا لم يحاسبه عليه.

٤ ـ ومنهم من يستعين بالخوارق علىٰ أمورٍ مباحة ـ لا مأمورًا بها ولا منهيًّا عنها ـ؛ فهذا يكون من عموم الأولياء، وهم الأبرار

المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلىٰ من هؤلاء، كما أن العبد الرسول أعلىٰ من النبي المَلِك.

ولما كانت الخوارق كثيرًا ما تَنقُصُ بها درجة الرجل، كان كثيرٌ من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر اللَّه تعالىٰ، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة، وتُعرض علىٰ بعضهم، فيسأل اللَّه زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك ألَّا يقف عندها، ولا يجعلها همَّته، ولا يتبجَّحُ بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تُغويهم بها؟! فإني أعرفُ من تخاطبُه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبُه الشيطان الذي دخل فيها. وأعرفُ من يخاطبهم الحجرُ والشجر؛ وتقول: «هنيئًا لك يا ولي اللَّه»، فيقرأ آيةَ الكرسي فيذهب ذلك، وأعرفُ من يقصد صيد الطير؛ فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: «خذني حتىٰ يأكلني الفقراء»، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك.

ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق؛ فيرىٰ نفسه خارجه وهو لم يُفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجنُّ قد أدخلته وأخرجته بسرعة، أو تريه أنوارًا، أو تُحضر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرةً بعد مرةً ذهب ذلك كله.

وأعرفُ من يخاطبه مخاطِبٌ ويقول له: «أنا من أمر اللَّه»، ويَعِدُه بأنه المهديُّ الذي بشَّر به النبي ﷺ، ويُظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرفٌ في الطير والجراد في الهواء وفي المواشي، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا أو شمالًا= ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه= حصل له ما

أراد من غير حركةٍ منه في الظاهر، وتحمله إلىٰ مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورةٍ جميلة، وتقول له: هذه الملائكة الكَروبيُّون[١] أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟! فيرفع رأسه فيجدهم بلحًىٰ، ويقول له: «علامة أنك أنت المهدي أنك تنبُت في جسدك شامةٌ». فتنبت ويراها... وغير ذلك، وكلُّه من مكر الشيطان.

وهذا باب واسع، لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلىٰ مجلد كبير.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، قال اللَّه ﷻ: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ولفظ ﴿كَلَّا﴾ فيها زجرٌ وتنبيه: زجرٌ عن مثل هذا القول، وتنبيه علىٰ ما يُخبَرُ به ويُؤمَرُ به بعده، وذلك أنه ليس كلُّ من حَصَل له نِعَمٌ دنيوية تُعدُّ كرامةً يكون اللَّه ﷻ مكرمًا له بها، ولا كل من قدَّر عليه ذلك يكون مهينًا له بذلك، بل هو ـ سبحانه ـ يبتلي عبده بالسراء والضراء؛ فقد يعطي النِّعم الدنيوية لمن لا يحبُّه، ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبُّه ويواليه لئلا تنقصَ بذلك مرتبته عنده، أو يقع بسببها فيما يكرهه منها.

وأيضًا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببُها الإيمان والتقوىٰ، فما كان سببُه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء اللَّه، لا من كرامات أولياء اللَّه، فمن كانت خوارقه لا تحصُل بالصلاة

(١) **الكروبيون**: سادة الملائكة.

والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك: مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ـ كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ـ، ومثل الغناء والرقص ـ لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ـ، وحاله وخوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوىٰ عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلًا طويلًا، فإذا جاءت الصلاة صلىٰ قاعدًا، أو ينقُر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه، أو يتكلفه، ليس له فيه محبةٌ ولا ذوقٌ ولا لذةٌ عند وَجْدِه، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد= فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناولُه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

فالقرآن هو ذِكرُ الرَّحمٰن، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه] يعني تركت العمل بها.

▫ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفَّل اللَّه لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ألَّا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة». ثم قرأ هذه الآية.

فصل

ومما يجب أن يُعلم أن اللَّه بعث محمدًا ﷺ إلىٰ جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسيٌّ ولا جنيٌّ إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدِّقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن بها فهو كافر، سواءٌ كان إنسيًّا أو جنيًّا؛ فمحمدٌ ﷺ مبعوث إلىٰ الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعتِ الجنُّ القرآن، وولَّوا إلىٰ قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف، وأخبره اللَّه بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

وأنزل اللَّه تعالىٰ بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا(١) مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا(٢) ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن]. أي: السفيه منَّا في

(١) ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: عظمته وجلاله.

(٢) ﴿شَطَطًا﴾: قولًا منكرًا بعيدًا عن الحق.

أظهر قولي العلماء[١].

▫ وقال غير واحد من السلف: «كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه، فلما استعاذت الإنس بالجن ازدادت الجنُّ طغيانًا وكفرًا».

كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن].

وكانت الشياطين تُرمىٰ بالشهب قبل أن ينزل القرآن، لكن كانوا أحيانًا يَسترِقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلىٰ أحدهم، فلما بُعث محمد ﷺ مُلئت السماءُ حرسًا شديدًا وشهبًا، وصارت الشهبُ مرصدةً[٢] لهم قبل أن يسمعوا، كما قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾، أي: علىٰ مذاهب شتىٰ، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرك والنصراني والسُّني والبدعي، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾، أخبروا أنهم لا يُعجزونه: لا إن أقاموا في الأرض، ولا إن هربوا منه، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا

(١) لأن بعضهم قال عن «السفيه»: إنه إبليس الكبير ـ خاصةً ـ.
(٢) مرصدة: معدَّة.

﴿ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾، أي: الظالمون، يقال: أَقسَطَ إذا عدل، وقَسَط إذا جار وظلم، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا[1] ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، أي: ملجأً ومَعاذًا، ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن].

ثم لما سمعت الجنُّ القرآنَ أتَوا إلىٰ النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جِنُّ نَصِيبين[2]، كما ثبت ذلك في «الصحيح» من حديث ابن مسعود[3]، وروي أنه قرأ عليهم سورة «الرَّحمٰن»، وكان إذا قال: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ [الرَّحمٰن] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذِّب، فلك الحمد[4].

(١) راجع (٢/٥٦٤).

(٢) **نَصِيبين**: بلدة ببلاد الشام.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **حسن**: رواه التِّرمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/٤٧٣)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢٢٦٤)، وفي «الدلائل» (٢/٢٣٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/١٦٦٦)، وابن المقرئ في «معجمه» (١٠٧٥)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/٣٣٥)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٩)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/٢٢١)، والإسماعيلي في «معجم الشيوخ» (١/٣٤٣)، من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، **وضعَّفه** الترمذي، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (٥/٤٨٥).

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فقال: «**لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ اللَّه عليه؛ تجدونه أوفرَ ما يكون لحمًا، وكلُّ بَعْرةٍ عَلَفٌ لدوابِّكم**»، قال النبي ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زادٌ لإخوانكم من الجن**»(١).

وهذا النهي ثابت عنه من وجوهٍ متعددة، وبذلك احتج العلماء علىٰ النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا: فإذا مُنع من الاستنجاء بما أُعدَّ للجن ولدوابهم، فما أُعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولىٰ وأحرىٰ.

ومحمد ﷺ أُرسل إلىٰ جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدرًا عند اللَّه تعالىٰ من كون الجن سُخِّروا لسليمان عليه السلام، فإنهم سُخروا له يتصرف فيهم بحكم المُلْك، ومحمد ﷺ أُرسل إليهم يأمرهم بما أمر اللَّه به ورسوله؛ لأنه عبدُ اللَّه ورسوله، ومنزلةُ العبد الرسول فوق منزلة النبي المَلِك.

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء علىٰ أنهم يدخلون الجنة، وجمهور العلماء علىٰ أن الرسل من الإنس، ولم يُبعث من الجن رسول، لكن منهم النُّذُر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر.

[أحوال الجن مع الإنس]:

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس علىٰ أحوال:

١ ـ فمن كان من الإنس يأمرُ الجن بما أَمَر اللَّه به ورسوله من عبادة اللَّه وحده وطاعة نبيِّه، ويأمر الإنس بذلك= فهذا من أفضل

(١) رواه مسلم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أولياء اللَّه تعالىٰ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونُوَّابه.

٢ ـ ومن كان يستعمل الجن في أمورٍ مباحة له، فهو كمن استعمل الإنس في أمورٍ مباحةٍ له، وهذا كأن يأمرَهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحاتٍ له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدِّر أنه من أولياء اللَّه تعالىٰ فغايته أن يكون في عموم أولياء اللَّه؛ مثل النبي المَلِك مع العبد الرسول؛ كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ـ.

٣ ـ ومن كان يستعمل الجن فيما ينهىٰ اللَّه عنه ورسوله: إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليه بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشةٍ كجلب من يطلب منه الفاحشة= فهذا قد استعان بهم علىٰ الإثم والعدوان، ثم إنِ استعان بهم علىٰ الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم علىٰ المعاصي فهو عاص: إما فاسق وإما مذنب غير فاسق[1]، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظنُّ أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم علىٰ الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلىٰ عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره اللَّه به ورسوله، وأن يحملوه من مدينةٍ إلىٰ مدينة، ونحو ذلك ـ فهذا مغرورٌ قد مكروا به.

وكثيرٌ من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن؛ بل قد سمع أن أولياء اللَّه لهم كراماتٌ وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق

(١) **الفاسق**: يطلق علىٰ مرتكب الكبيرة.

الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرِّق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده؛ فإن كان مشركًا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه يَنتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن صُوِّر ذلك الصنم علىٰ صورته من مَلَكٍ أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه يعبد ذلك النبيَّ أو الصالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

ولهذا لما كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودُهم له، ولهذا يتمثل الشيطانُ بصورة من يستغيث به المشركون؛ فإن كان نصرانيًّا وقد استغاث بجرجس أو غيره، جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيثُ به، وإن كان منتسبًا إلىٰ الإسلام، واستغاث بشيخ يُحسِنُ الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورةِ ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظِّمُه ذلك المشرك.

ثم إن الشيخ المستغاثَ به إن كان ممن له خبرةٌ بالشريعة، لم يعرِّفْه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له؛ فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البُعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعضُ الشيوخ الذين كان قد جرىٰ لهم مثلُ هذا بصورةِ مكاشفةٍ ومخاطبة، فقال: «يُريني الجنُّ شيئًا براقًا مثل الماء والزجاج»، ويمثِّلون له فيه ما يُطلب منه الإخبارُ به، قال: «فأُخبر الناس به، ويوصلون إليَّ كلام من استغاث بي من أصحابي، فأجيبه،

فيوصلون جوابي إليه».

وكان كثيرٌ من الشيوخ الذين حصل لهم كثيرٌ من هذه الخوارق إذا كذَّب بها من لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطَّلْق، وقشور النارنج، ودُهن الضفادع[1]، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، فيعجب هؤلاء المشايخ، ويقولون: نحن ـ واللَّهِ ـ لا نعرف شيئًا من هذه الحيل، فلما ذَكر لهم الخبير إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية= أقروا بذلك، وتاب منهم من تاب اللَّه عليه لما تبيَّن لهم الحق، وتبين لهم من وجوهٍ كثيرة أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لمَّا رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي للَّه، ولا تحصل عند ما يحبُّه اللَّه ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا حينئذٍ أنها من مخارق الشيطان لأوليائه؛ لا من كرامات الرَّحمٰن لأوليائه.

واللَّه ﷻ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ محمدٍ سيد رسله وأنبيائه، وعلىٰ آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه صلاةً وسلامًا نستوجبُ بهما شفاعته؛ آمين.



(١) وهي أشياء إذا دهنها الرجل علىٰ جسده ودخل النار= لم تؤثر فيه بالإحراق.

[٣٦]

الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد

للإمام

محمد بن علي الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

📖 [**السؤال الوارد للعلامة الشوكاني** رحمه الله][(٢)]:

هذا السؤال كتبه إليَّ القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رحمه الله، وأجبت بالرسالة الآتية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله.

وبعد:

فإنه خطر بالخاطر الفاتر القاصر تحريرُ هذا السؤال عما أهمه من مسألة «التوسل بالأنبياء والأولياء الأكابر»، مع ما عَرَف فيها

(١) وقفتُ علىٰ طبعتين لهذه الرسالة، إحداهما في «الفتح الرباني من فتاوىٰ الإمام الشوكاني» (٢٧٩/١)، والأخرىٰ بتخريج الشيخ أبي عبداللَّه الحلبي، والأولىٰ تحتوي علىٰ عديد من التحريفات، وفيها أخطاء في الضبط ـ التشكيل ـ، والثانية أحسنهما صحةً وإخراجًا، وإن وقع فيها بعضُ الهنات. لكن تميزت الأولىٰ بوجود السؤال القادم بطوله، بينما خلت النسخة المخرَّجة منه. أما من ناحية التعليقات فكلتاهما احتوتا علىٰ تعليقات نفيسة، وما استفدته منهما عزوته لأصحاب الفضل. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.

(٢) تنبه أن السؤال سيطول، وسينتهي ص(٣٣٥).

من افتراق[١] الأقوال، والرمي من كل فئةٍ للأخرىٰ بالداء العضال، وخروج أكثر المتوسلين عن جادة الطريق، وتعصب مخالفيهم، ورميهم في بعض أقوالهم بالتكفير والتفسيق، فحداني[٢] ما رأيت إلىٰ رَقْمِ[٣] هذه الكلمات في المسألة، واستفتاح أقفالها المقفَلة، موجهًا السؤال إلىٰ من ألقت إليه العلومُ مقاليدها، وملَّكته - بالوَهْب والكَسْب[٤] - طارفَها وتليدَها[٥]، فافتضَّ[٦] منها أبكار المعاني التي لم يَطمِثْها[٧] أحد قبله، وفتح من مقفلاتها ما كان مضمومًا لم يَحُمْ أحدٌ حوله، فأصبحت عيونُ المعاني به قريرة، وأسرار البلاغة بوجوده مسرورة، ومعالمُ التنزيل بأنواره منيرة، وصدور الأمهات الست به[٨] منشرحة، كما أن سطورها مشروحة، وأطرافها مزينةً بحلاه، التي هي اللآلئ المروجة[٩]= شيخ الإسلام، وقاضي الأنام محمد بن عليٍّ أعلىٰ اللَّه شأنه، ورزقه المكانة، وأباح له فضله وإحسانه.

(١) في «الفتح الرباني»: «اقتراف»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «فحراني» - بالراء -.

(٣) **الرَّقم**: الكتابة.

(٤) يقصد أن العلوم التي حواها الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ نالها بأمرين: موهبةً من اللَّه ﷻ، وكسبًا واجتهادًا منه، فحاز بذلك الفضلين.

(٥) **الطارف**: الحديث. **التليد**: القديم.

(٦) في «الفتح الرباني»: «فاقتصر»! ولعلَّ الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٧) **يطمثها**: يفتضُّها ويلمسها.

(٨) في «الفتح الرباني»: «بأنها»، ولعل الأصح ما أثبتُّه أو نحوه.

(٩) كذا في المطبوع، ولم أتبينها. ولعلها بالحاء لمناسبة القافية؛ لكنني لم أتبينها - أيضًا -. فلتحرر.

[التوسل بجاه الأنبياء والأولياء][(١)]:

وإذا تشرَّفَتْ هذه الكتابةُ بمُثولها بين يديه، فالتوسل في ستر ما فيها به[(٢)] ـ أعزه اللَّه إليه ـ.

ولتعلمْ أولًا أن السائل ممن يرىٰ جواز هذه الوسائل؛ لكنه وقف قديمًا وحديثًا علىٰ كلامٍ لبعض الأكابر أوجب تحرير هذه الأحرف، وإبراز ما عنده وعند القاصر[(٣)].

ولما كان الأمرُ علىٰ هذه الصفة كان التحرير علىٰ طرازٍ لعله يوافق الطائفةَ المنصفة، وسينجاب عن وجه السؤال غبارُ الإشكال ـ إن شاء اللَّه ـ إذا لوحظ من مولاي ـ حفظه اللَّه ـ بالأفعال[(٤)]،

(١) انتبه ـ أيها القارئ الكريم ـ أن هذه المسألة سيورد فيها السائل كل ما حضره من ناحية، وسنرىٰ إجازة الإمام الشوكاني لها من ناحيةٍ أخرىٰ، وقد ارتأيتُ وضع ردٍّ تفصيلي عليها بدلائلها بعد نهاية كلام الإمام الشوكاني رحمه الله ص(٤١٩)؛ فلينتبه إلىٰ هذا، وإن كنت سأُشير بعض الإشارات في الحواشي. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق للصواب.

(٢) يتوسل السائلُ بجاه المصنف في مسامحته علىٰ التقصير في السؤال، وأنه لم يعط المسؤول حقَّه من التعظيم والإجلال.

(٣) في المطبوع: «ولا عند القاصر»! ولعل الأصوب ما أثبتُّه.
ويلمح القارئ إنصافَ السائل، فإنه بعد اعتياده علىٰ تلك الأمور؛ إلا أنه لما رأىٰ الكثيرين يخالفونه ـ قديمًا وحديثًا ـ أحبَّ تحقيق الحق فيها، وهذا من دلائل الخير في الإنسان؛ بخلاف من يكبر عليه مثل هذا، بل قد يتيقن أنه علىٰ ضلال وحياد عن الحق، ويأبىٰ مجرد سماع أقوال المخالفين التي قد تُظهر له حقيقة ما هو عليه. واللَّهُ المستعان.

(٤) يقصد أن السؤال سيتضح جوابه علىٰ الكمال إذا أجاب عليه الإمام الشوكاني رحمه الله.

ويَحمد السُّرىٰ[١] عند الصباح، وتُظهر أساريرُ وجهه عليها تباشيرَ الفلاح، واللَّه تعالىٰ يُديم دِيَمَ[٢] فوائدِكم، ويعيد علينا بركات عوائدكم بمَنِّه وفضله.

فنقول: التوسل إلىٰ اللَّه ﷻ معناه: التقرب إليه، والاستشفاع إلىٰ جنابه ﷻ بمن له منزلةٌ لديه وكرامةٌ من عملٍ أو شخص. ولا يخفىٰ أن لبعض الأعمال مزايا ومنازلَ لدىٰ الملك المتعال، كما أن لبعض الأشخاص كذلك بلا إشكال، ومنه حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة؛ فتوسلوا إلىٰ اللَّه بصالح أعمالهم، ففرَّج اللَّه عنهم[٣]، ومنه: «**كلمتانِ خفيفتان [علىٰ اللسان]، حبيبتان إلىٰ الرَّحمٰن**»[٤]؛ فإنَّ وَصْفَهما[٥] بكونهما حبيبتين مما يُشعِرُ بأن الحبيب إلىٰ اللَّه مما يُتوسل به إليه لكرمه عليه.

ومن التوسل بالأشخاص: حديث الضرير الذي علمه الرسول ﷺ صلاة الحاجة، وهو في «الحصن الحصين»، ورمز له للترمذي والنسائي والحاكم في «المستدرك»: «**اللهم إني أسألك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمد ـ نبي الرحمة ـ، يا محمد، إني أتوجَّهُ بك إلىٰ ربي في حاجتي لتُقضَىٰ لي، اللهم فشفِّعه فيَّ**»[٦].

قال المحقق الفاسي: أخرجه الترمذي، وقال: «حديث حسن

(١) **السُّرىٰ**: السير ليلًا. والمراد: الاجتهاد.
(٢) **الدِّيَم**: المطر والغيث.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.
(٥) في «الفتح الرباني»: «وصفها»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.
(٦) **صحيح**: وقد تقدم.

صحيح غريب»، والنسائي وابن ماجه والطبراني. وذكر في أوله قصة، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم».

ولفظ النسائي: أن أعمىٰ أتىٰ النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول اللَّه، ادْعُ اللَّه لي أن يكشف لي عن بصري، قال: «**أوَ أَدَعُك؟**»، قال: يا رسول اللَّه، إنه قد شق عليَّ، قال: «**فانطلقْ فتوضأ، ثم صلِّ ركعتين...**» الحديث[(١)].

فهذا فيه التوسل بنبينا ﷺ.

ومنه الدعاء الوارد إذا تفلَّت القرآن؛ عزاه السيوطي في «أذكاره» إلىٰ الديلمي في «مسند الفردوس»، وابن حبان: «**اللهم إني أسألُك بمحمدٍ نبيِّك، وإبراهيمَ خليلِك، وموسىٰ نَجِيِّك، وعيسىٰ رُوحِك وكلمتِك...**» الحديث[(٢)].

وفي أدعية الصباح والمساء ما[(٣)] رواه الطبراني في «الكبير»: «**أسألك بنُور وجهك الذي أشرقتْ له السماواتُ والأرض، وبكل حقٍّ**

(١) انظر السابق.

(٢) **ضعيف**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» ـ كما في «الغرائب الملتقطة» للحافظ ابن حجر (٦١٥) ـ، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب» ـ كما في تخريج «الإحياء» (٣١٤/١) ـ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وحكم عليه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» **بالضعف والانقطاع**. وأورده الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» ص(٥٧)، **وضعَّفه**، وأورده ـ أيضًا ـ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحكم عليه **بالوضع**.

(٣) في «الفتح الرباني»: «مما»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

هو لك، وبحقِّ السائلينَ عليك»[(١)].

وفي الأدعية الواردة بعد الصلاة: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، فإن للسائلين عليك حقًّا**...» الحديث. عزاه السيوطي في «أذكاره» إلىٰ الديلمي[(٢)].

ومنه ما ذكره المفسرون في تفسير «الكلمات» التي تلقاها أبو الخليقة آدم عليه السلام من ربه جل وعلا:

▫ فأخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم قال: «لما أصاب آدمُ الخطيئةَ عظُم كرْبُه، واشتد ندمُه، فجاءه جبريل

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٦٤/٨)، وفي «الدعاء» (٣١٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٥٨/١٠): «فيه فضال بن جبير، وهو ضعيفٌ مجمَعٌ علىٰ ضعفه»، وقال الإمام ابن حبان عن فضال هذا في «المجروحين» (٢٠٤/٢): «لا يحلُّ الاحتجاج به بحال». وانظر: «ميزان الاعتدال» (٣٤٧/٣)، و«لسان الميزان» (٤٣٤/٤)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦٢٥٣)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٠٤/٢٠).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٢١/٣)، وابن ماجه (٧٧٨)، والطبراني في «الدعاء» (٤٢١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٤)، من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه. **وحسَّنه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢٨٢/١)، وصدَّره الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٨٨) **بصيغة التمريض، وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٤٩٨/١)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤)، وفي «ضعيف الجامع» (٥٥٧١).
تنبيه: لم أقف علىٰ الزيادة المذكورة، وهي قوله: «**فإن للسائلين عليك حقًّا**».

عليه السلام؛ فقال: يا آدم، هل أدلك علىٰ باب توبتك الذي يتوب اللَّه [به] عليك؟ قال: بلىٰ ـ يا جبريل ـ. قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك؛ فمجِّدْه وامدحه[(١)]...»، حتىٰ قال في آخر الحديث: «اللهم إني أسألك بجاه محمدٍ عندك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي. فقال اللَّه: يا آدم، من علَّمك هذا؟ قال: يا رب، إنك لما نفخت فيَّ الروح فقمتُ بشرًا سويًّا أسمع وأُبصر وأعقل وأنظر= رأيت علىٰ ساق عرشك مكتوبًا: بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم، لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، محمد رسول اللَّه، فلما لم أر علىٰ إثرِ اسمك اسمَ مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَلٍ غيرَ اسمه؛ علمت أنه أكرمُ خلقِك عليك، قال: صدقت يا آدم»[(٢)].

وهذا وإن كان منقطعًا فإن مثله من مثل الباقر محمد بن علي رضي الله عنه لا يقال بالرأي، ولا يطلقه شاكًّا في سنده[(٣)].

▫ وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس» بسندٍ واهٍ عن علي رضي الله عنه أنه قال: «[**قال**] آدم: **اللهم إني أسألُك بحقِّ محمدٍ وآل محمد**»[(٤)].

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم؛ فقال: «**سأل بحقِّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ**

(١) في «الفتح الرباني»: «وامدح»، ولعل الأصح ما أثبته.

(٢) وهو أثرٌ منكر لا أصل له.

(٣) بغض النظر عن إسناده، فهذا الأثر لا اعتماد عليه أصلًا؛ فهو ليس مستندًا شرعيًّا.

(٤) **موضوع**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤٠٦)، وفي إسناده حماد بن عمر النصيبي عن السري بن خالد، **وهما واهيان**.

والحسن والحسين؛ إلا تُبتَ عليَّ. فتاب عليه»[(١)].

وأخرج الطبراني في معجمه «الصغير»، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي ـ كلاهما في «الدلائل» ـ، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لما أذنب آدمُ الذنبَ الذي أذنبه رفع رأسه إلىٰ العرش، وقال: أسألك بحق محمدٍ إلا غفرتَ لي...**» الحديث[(٢)].

كل هذه الأحاديث في «الدر المنثور» ـ رحم اللَّه مؤلفه، وجزاه خيرًا ـ.

فهذه الأحاديث مناديةٌ بجواز التوسل بمن له عند اللَّه منزلة.

وقد ساق الحافظ السيوطي في «الخصائص الكبرىٰ» صلاة الحاجة التي علَّمها النبيُّ ﷺ الضرير في: «باب اختصاصه عليه الصلاة والسلام بجواز أن يُقسَمَ علىٰ اللَّه تعالىٰ به». وذَكَر فيه قصةً رواها أبو نعيم، والبيهقي في دلائل النبوة؛ حاصلها:

▫ عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف رضي الله عنه: «أن رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان عثمان لا ينظر في حاجته، ولا يلتفت، فلقي [الرجلُ] عثمانَ بنَ حُنيف، فشكىٰ إليه، فقال له: ائت الميضاة... وعلَّمَه صلاةَ الحاجة، ففعلها، ثم أتىٰ باب عثمان بن

(١) **ضعيف جدًّا**: أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٧/١)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ محمد صبحي حلاق في «الفتح الرباني» (٢٨٥/١).

(٢) **موضوع**: رواه الحاكم (٢٦٣/٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤٨٩/٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣٧/٧)، **وصحَّحه** الحاكم، فقال الذهبي: «**بل موضوع**»، وحكم عليه الذهبي ـ أيضًا ـ **بالبطلان** في «الميزان»، **وأقرَّه** الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٢٣/٢)، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥).

عفان، فأدخله البوابُ علىٰ عثمان، ثم لقي عثمانَ بن حنيف فقال: جزاك اللَّه خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ـ يريد عثمان بن عفان ـ حتىٰ كلمتَه، قال له: ما كلمتُه، ولكن رأيت النبي ﷺ جاءه ضرير فشكىٰ إليه...» الحديث[(١)].

▫ قال السيوطي: «قال ابن عبدالسلام: ينبغي أن يكون هذا مقصورًا علىٰ رسول اللَّه ﷺ لأنه سيد ولد آدم، وألَّا يُقسَمَ علىٰ اللَّه بغيره من الأنبياء والأولياء؛ لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خُصَّ به ﷺ تنبيهًا علىٰ علو درجته ومرتبته...» انتهىٰ.

ولعله لأجل كلام ابن عبدالسلام ترجم السيوطي هذا الباب بهذه الترجمة.

ولا يخفىٰ أنه ليس في كلام ابن عبدالسلام ما يُشعر بالجزم؛ فإنه إنما قال: «ينبغي»، وأصل وصفها إنما هو بمعنىٰ «الأولوية»[(٢)].

وأيضًا ليس في هذه الأدلة ما ينفي الجواز؛ بل كلها صريح في جواز التوسل بالنبي ﷺ أو بمن له منزلةٌ عند اللَّه رفيعة[(٣)].

(١) **ضعيف**: رواه أبو نعيم في «المعرفة» (٤٩٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١٦٧/٦)، وفي إسناده عمر بن شبيب، **وهو ضعيف**، كما أفادني بذلك فضيلة الشيخ أبو عمر الذهبي ـ حفظه اللَّه ـ.

(٢) هذه العبارة تختلف من عالم إلىٰ آخر في مراده من استخدامها؛ ولابد أن يصرح صاحبها بمقصوده.

(٣) وكلها ـ كما رأينا ـ لم يثبت منها دليلٌ واحد يصلح للاحتجاج، والأحكام لا تثبت بالضعيف ـ فضلًا عن غيره ـ إجماعًا. كما لا تثبت بغير المرفوع للمعصوم ﷺ. وحديث الأعمىٰ ـ الصحيح ـ ليس فيه إشارة إلىٰ التوسل بالجاه ـ كما سيأتي الردُّ تفصيلًا ـ بعد كلام الإمام =

ولْنتأمَّلْ في الأحاديث الواردة في شأن قصة آدم؛ فإنها منادية بأن كل ذي جاهٍ عند ربه تعالىٰ يجوز التوسلُ إليه تعالىٰ، وعلىٰ هذا جرىٰ أكثرُ العلماء في توسلاتهم وأدعيتهم وأشعارهم بلا نكير[١].

فأما ما نُقل عن ابن عبدالسلام ـ ومثلُه عن مالك ـ؛ فإنه ما أدَّاهما إليه اجتهادهما. وهذه الأحاديث تلقَّاها الناس خلفًا عن سلف بالقبول، وعَمِل بهذه الأدعية الفاضلُ منهم والمفضول، وما تحرَّج أحد من المسلمين عن الدعاء ـ فيما أحسب ـ بهذه الأدعية، ولا عن صلاة الحاجة[٢].

فأما ما تُوُهِّم من اختصاص صلاة الحاجة والتوسل بالنبي ﷺ في حالة حياته= فهذا التوهمُ ما أبعَدَه عن فهم الأحاديث، وعن قوانين أهل العلم! فإنه لو صح التخصيصُ بهذه التخيلات الفاسدة لجاز في أكثر الأحاديث أن يقال: «هذا خاصٌّ في حياته ﷺ، ومِن أين لنا أنه عامٌّ بعد مماته»[٣]!

ونحو هذا ما تُوُهِّم ـ أيضًا ـ في التوسل بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه[٤]: أنه يجوز التوسل بالحي دون الميت، لأن الميت الذي قد

= ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ.

(١) الأحاديث التي أشار إليها السائلُ لم يصحَّ منها شيءٌ ـ كما قلنا ـ، وفعل الكثرة ليس بحجةٍ بلا تردد؛ بل الحجة في الدليل المعصوم.

(٢) بل كثيرٌ منعوا وتحرَّجوا، ولم يعملوا بصلاة الحاجة لضعف حديثها. وفعل الكثرة ليس بحجة.

(٣) كلامٌ مردود ـ كما يأتي ـ.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

صار رهينًا في التراب ليس بأهلٍ [لأن] يُتوسل بما له من الجاه والكرامة والثواب! وهذا كما أنه تخصيصٌ بلا دليل ـ بل بحسب الواقعة ـ بعيد في النظر[١]؛ فإن الحي يجوز منه الغفلة والخطأ، فأما الميت الذي غَفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ، أو المقطوع بأن له[٢] عند اللَّه منازلَ رفيعة؛ فإنه لا يجوز منه ما ذُكر، والتوسل إنما هو بتلك المنزلة التي لذلك الشخص في الحقيقة التي نالها من ربه تعالىٰ.

وحاصل الأمر: أن مَنْ عَلِمْنا بطريقٍ صحيحةٍ منزلتَه عند ربه تعالىٰ، فأي مانعٍ لنا من التوسل به إلىٰ ربه الذي أعطاه هذه الرتبة لديه! وإذا جازت الشفاعة في يوم القيامة لمن لهم الشفاعة من الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء، فما المانع من أن اللَّه يُشفِّعهم في هذه الدار؟

وهذه الأدعية الواردة عن النبي ﷺ أصلٌ لهذه الدعوىٰ؛ فإنها واقعةٌ منه ﷺ في هذه الدار؛ نقلها رواة أخباره لتعليم العباد بالدعاء بها عند الشدائد، ونزول الملمات، واستجلاب الخيرات، ودفع البليات.

[الدعاء عند قبور الصالحين][٣]:

(١) بل سيأتي لاحقًا أن قياس الميت علىٰ الحي قياسٌ فاسد.

(٢) في «الفتح الرباني»: «لهم»، ولعل الأدقَّ ما أثبتُّه.

(٣) لينتبه إلىٰ أن الكلام القادم لا يخالف ما سلف من إجازة السائل للتوسل بجاه الأنبياء والصالحين، وإنما المراد هنا أنه يمنع «تعمُّد الذهاب» إلىٰ قبور الصالحين للدعاء، وسوف يأتي تفصيلٌ أكثر في كلام الإمام الشوكاني، وسيأتي الرد عليه أيضًا ـ كما أشرتُ آنفًا ـ.

ومن فروع هذه المسألة: الدعاء عند قبور الصالحين.

▫ قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «عُدة الحصن الحصين»: «وجرت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين» انتهىٰ.

وفي كثيرٍ من التراجم لكثيرٍ من العلماء ـ لا يأتي عليهم الحصر ـ:

ـ «وقبره مشهور مَزُور».

ـ «وقبره مشهور باستجابة الدعاء».

ـ «وقبر فلان ترياقٌ مجرَّب».

ـ «وقبر فلان من دعا عنده قُضيت حاجته».

وغير ذلك مما لا يُحصىٰ كثرةً في التراجم، لا سيما ما في كتب المتصوفة كـ«طبقات» الشعراني[(١)]، والجندي، والشرجي، و«نفحة المندل».

ولا ريب أن الدعاء عند القبور بغير ما ورد عن الرسول ﷺ بدعة، فقد مات في عصر النبوة أجلاء الصحابة، ومنهم حمزة أسد اللَّه وأسد رسوله ﷺ، وشهداء أُحُد، وشهداء بدر، ومات عثمان ابن مَظْعون الذي بكىٰ عليه النبي ﷺ[(٢)]، وعَلَّم علىٰ قبره بصخرةٍ

(١) كان من غلاة الصوفية.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤٣/٦)، وأبو داود (٣١٦٣)، والترمذي (٩٨٩)، وابن ماجه (١٤٥٦)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٩٢١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٧/٣)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٣٢٤/١)، والحاكم (٥١٤/١)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥٧٠/٣)، وابن الجعد في =

ليُلحِقَ به من مات من أهله[(١)]، وسعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرَّحمٰن لموته[(٢)]، وغيرهم من أكابر الصحابة، ولم يُؤثَر عن النبي ﷺ أنه أرشد أحدًا من أمته أنه ـ إذا أهمَّته مهمة، أو نزلت به حاجة ـ أن يأتيَ إلىٰ قبر فلانٍ من الصحابة، ويقصده في قضاءِ الحاجات، ويَتوسل به في المهمات. وعرَّفهم أنه ﷺ سيموت، ولم يُرشدهم أنه إذا نابتهم نائبةٌ أن يأتوا[(٣)] إلىٰ قبره الشريف، ويَدْعوا

= «مسنده» (٢٠٨٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦٩٧٤)، من حديث أُمِّنا عائشة رضي الله عنها، وقال التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ حلاق في تعليقه علىٰ «الفتح الرباني» (٢٩٢/١)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٨٤/٤٢)، وعند أبي داود (٧٥/٥).

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٥٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٨٦)، **وحسَّنه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط ثَم ـ أيضًا ـ (٥٠٥/٢).
وثبت عن المطلب بن حنطب رضي الله عنه قال: لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه أُخرج بجنازته فدفن، فأمر النبي ﷺ رجلًا أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حَمْلَها، فقام إليه رسول اللَّه ﷺ، وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: فقال الذي يُخبِرني ذلك عن رسولِ اللَّه ﷺ: كأني أنظُر إلىٰ بياضِ ذراعَي رسولِ اللَّه ﷺ حين حَسَرَ عنهما، ثم حَملَها فوضعَها عند رأسِه، وقال: «**أتَعَلَّمُ بها قبرَ أخي، وأدفِنُ إليه من مات مِن أهلِي**». **حسن**: رواه أبو داود (٣٢٠٦)، والبيهقي (٤١٢/٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط عنده ـ أيضًا ـ (١١٥/٥).

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما.

(٣) في «الفتح الرباني»: «يأتون»! والجادة ما أثبتُّه. وكذا في كلمة =

عنده، وقبرُه سيد القبور، وعصره خير العصور؛ بل قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»[(١)]، وعرَّفهم بالمَحِلات والأوقات التي تستجاب فيها الدعوات، ولم يقل: إن قبر سعد بن معاذ ـ الذي اهتز له عرش الرَّحمٰن ـ، أو قبرَ سيد الشهداء ترياق مجرب لقضاء الحاجات ونيل الطِّلْبات.

فتعمدُ القبور للأدعية لديها، والتوسل بأهلها لا يخفىٰ علىٰ متحلٍّ بالإنصاف، متخلٍّ عن الاعتساف أنه بدعةٌ لم يأت بها أثرٌ عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، ولا عن التابعين.

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ علىٰ الهدىٰ

وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائعُ[(٢)]

ويكفي المتدينَ بدين الإسلام قوله عليه الصلاة والسلام: «**كلُّ عملٍ ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[(٣)].

فأقل أحوال الممتثل للحديث أن ينظر: هل جاء بقصد القبور لقضاء الحاجات أمرٌ من النبي ﷺ، أو فعلٌ، أو تقرير؟ فإن جاء فبها ونعمت، وإن لم يجئ شيء من ذلك عُرف أنه مردود.

فإن قيل: زيارة القبور سنةٌ مثابٌ عليها، جاءت بها السنة قولًا وفعلًا وتقريرًا، فإذا دعا الداعي بعد الزيارة، فإن الدعاء بعد عمل الصالحات من مظانِّ الإجابة، وهو إن لم يَرِدْ بخصوصه [دليل]، فهو داخلٌ فيما ذكروه من تقديم عملٍ صالحٍ قبل الدعاء.

= «يدعوا» بعدها.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **البدائع**: المبتدَعة.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

قلت: لا ريب أن زيارة القبور من أجلِّ الطاعات، وأن الدعاء بعد العمل الصالح من مظانِّ الإجابة، ولعله ـ واللَّه أعلم ـ [ما] حَمَل ابن الجزري وغيره علىٰ ما قالوه من استجابة الدعاء عند قبور الصالحين؛ فإنَّ رحمة اللَّه لا تعزُب[(١)] عن قبورهم، لكن الاعتبار بالمقاصد، فإن كان قَصْدُ الزائر إنما هو التوسل بالميت الصالح، فهذا هو الذي نعدُّه بدعة، وإن كان القصد الزيارة للقبور فتلك سنةٌ مثابٌ فاعلها، والدعاء بعدها [من] مظان الإجابة. وقد أجمع المسلمون إجماعًا فعليًّا علىٰ الدعاء بعد زيارة قبر الرسول ﷺ؛ فإن الزائر بعد إكمال الزيارة يتوجه إلىٰ القبلة، ويستدبر القبر الشريف، وقد يستقبل بعضُ الناس القبر الشريف ويدعو، وهذا لا إنكار فيه من أحد[(٢)].

فالمأمون من مولانا العلامة الإمام ـ نصر اللَّه به شريعة سيد الأنام ـ بيان ما في مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء، والدعاء عند القبور، واستيفاء الكلام في ذلك، مما يحوز[(٣)] به المسؤول أعظم الأجور.

ولقد وقفت حال همي بتحرير السؤال في ترجمة السبكي الكبير

(١) **تعزب**: تغيب.

(٢) بل الإنكار قائمٌ وثابتٌ عن كثيرٍ من الأئمة؛ إذ السنة المشروعة أن يستقبل من يزور قبره الشريف ﷺ القبلة عند الدعاء، ولا يستقبل القبر إلا عند السلام عليه ﷺ. كما أن اتخاذ الدعاء عند قبره ﷺ ليس فيه دليلٌ علىٰ إيجابه أو استحبابه؛ فلا ينبغي فعله، لعدم الدليل من ناحية، وسدًّا للذريعة من ناحيةٍ أخرىٰ.

(٣) في «الفتح الرباني»: «يجوز»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

رَحِمَهُ اللَّهُ في «طبقات» ولده رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أمرٍ غريب من مثل السبكي:

▫ قال التاج في «الطبقات» في ترجمة والده ـ بعد أن ذكر من علومه وصلاحه، وأثنىٰ عليه ـ: «ومنها ما حكاه الأخ الشيخ العلامة الإمام بهاء الدين أبو حامد ـ ونقلته من خطه ـ، قال: عدتُ من الحجاز في سنة (٧٥٦هـ)، ووجدته[(١)] ضعيفًا، فاستشارني في نزوله لولده قاضي القضاة تاج الدين عن قضاء الشام، ووجدته كالجازم بأن ذلك سيقع، وقال لي: سبب هذا أني قبل أن أمرض بأيام ـ أغلب ظني أنه قال: خمسة أيام ـ رحتُ إلىٰ قبر الشيخ حماد خارج باب صغير، وجلست عند قبره منفردًا ليس عندي أحد، وقلت له: يا سيدي الشيخ، لي ثلاثة أولاد: أحدهم قد راح إلىٰ اللَّه، والآخر في الحجاز، ولا أدري حاله، والثالث هذا، وأشتهي أن موضعي يكون له.

قال: فلما كان بعد أيام ـ أغلب ظني أنه قال: يومين أو ثلاثة ـ جاءني الخالديُّ ـ يشير[(٢)] إلىٰ شخصٍ كان فقيرًا صالحًا يصحب الفقراء ـ؛ فقال لي: فلانٌ يسلِّم عليك، ويقول لك: تُقاطع عليه الزَّوْرة[(٣)]، وتروح للشيخ حماد تطلب حاجتك منه ولا تقول له؟ قال: فقلت له علىٰ سبيل البسط: سلِّم عليه، وقل له: ألستَ تعلم

(١) يعني السبكيَّ الكبير.

(٢) في «الفتح الرباني»: «يسير»، والتصويب من «طبقات الشافعية» (١٠/ ٢١٦). والمقصود: التعريفُ بذلك الخالديِّ.

(٣) كذا في «الفتح الرباني»: وفي «طبقات الشافعية»: «الدورة». والمراد أن فلانًا هذا يعتب علىٰ السبكي الكبير في عدم زيارته. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

أني فقيهٌ بائس، وأن كل أحد رآني ذاهبًا إلىٰ قبر الشيخ حماد، ولكن الشيطان[١] يقول له: إيش حاجته؟

قال: فتوجَّه الخالديُّ إليه، ثم عاد وقال: يقول لك: لا تكن تعترضُ علىٰ الفقراء، الشيخ حماد يقول لك: انقضت حاجتك التي هي كيت وكيت. قال: فقلت له: أما الآن فنعم، فإن هذا لم يشعر به أحد! قال: فقلت له: سله هل ذلك كشفٌ أو منام؟ قال: فعاد وقال: ليس ذلك إليك. انتهىٰ المنقول من خط الأخ». انتهىٰ المنقول من «الطبقات»، وهو مما نتعجب منه ونسأل عنه[٢].

نعم يبقىٰ الكلام فيما لو فعل الإنسان هذا الذي قررنا أنه بدعة، يعني: أنه [إذا] أصابته نائبةٌ؛ فقصد قبر إمامٍ من أئمة المسلمين مشهور بالصلاح، ووقف لديه، وأدىٰ الزيارة، وسأل اللَّه بأسمائه الحسنىٰ، وبما لهذا الميت لديه من المنزلة= هل تكون هذه البدعة عبادةً لهذا الميت؟ ويَصدُقُ عليه أنه قد دعا غير اللَّه، وأنه قد عَبَد غير الرَّحمٰن، ويُسلب عنه اسمُ الإيمان، ويصدُقُ علىٰ هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان، ويُحكَمُ برِدَّةِ ذلك الداعي، والتفريق بينه وبين نسائه، واستباحة أمواله، ويعامَل معاملة المرتدين؟ أو يكون فاعلَ معصيةٍ كبيرة؟ أو مكروه؟ هذا كله فيمن فَعَل [ذلك] علىٰ هذه الصورة.

(١) كذا في «الفتح الرباني»، وفي طبقات الشافعية: «الشطارة».

(٢) بل ـ واللَّه ـ القصة تحتوي علىٰ منكر من القول والفعل من السبكي الكبير، وما فعله من أشنع أنواع البدع. ولا تمنعنا مكانة السبكي من بيان ما سقط فيه ـ عفا اللَّه عنه وغفر له ـ.

ثم كذلك من يأتي من العوام إلىٰ قبور الأولياء، فيقول: يا فلان ـ يخاطب الولي ـ، أنا عليك[١]، أنا مستجيرٌ بك، أنا أنا... إلىٰ غير ذلك، ولا ريب أن هذا عاصٍ للَّه تعالىٰ، لكن هل يكون عصيانه مخرجًا له من الإيمان؟ وكاسيًا له ثوب الكفران، مع كونه يعترف ـ بعقله ولسانه ـ أن اللَّه تعالىٰ هو المسبِّب لجميع الأمور حقيقةً[٢]؟ فإذا سألتَه عن هذا الفعل الذي يصنعه؛ فيقول: إن للولي كراماتٍ عند اللَّه، وله جاهٌ وشفاعة.

ونحو هذا جرىٰ في أشعار كثير من علمائهم في مدح الأولياء، نحو: «قم بي بأهلي وبصحبي».

▫ ونحو قول بعض الأدباء:

هات لي منك يا ابن موسىٰ إغاثة ... عاجلًا في مسيرها حثاثةْ

وأجِرْني من الزمان الذي يَسَّر ... لي ذا البلاءَ بغاثةْ

ونحو هذا كثير.

وحاصل الأمر: أنها أوصاف لا تُطلق إلا علىٰ اللَّه تعالىٰ، فإذا سألتَ من يتمسكها[٣]، قال: «لا أقول: إن الولي يفعلها استقلالًا، وإنما له من الكرامات بعد الممات ما ينجو به الداعي لديه، والمستجير به». وهذا لا ريب في خطئه؛ إنما الشأن في كفر فاعله، ومعاملتِه معاملة المرتد في جميع أحواله، بحيث لو تيسر للإنسان قَتلُه لقَتَله، أو لو تيسرت أمواله لأخذها.

(١) أي: أنا علىٰ بابك حضرت إليك.

(٢) بعدها في «الفتح الرباني»: «لا تحوم حول حماها»، ولم أتبينها.

(٣) أي: يتمسك بها ويفعلها.

فإن كان الأمر هكذا، فما بال أئمة المسلمين وعلماء الدين لم يناشدوا أهل هذه الجهات التِّهامية واليمنية والشامية ـ كصَعْدة وأحوالها ـ بالقتال، ويذيقونهم أشد النكال! وقد أمرهم اللَّه تعالىٰ بالقوة التي لا تنكر، والإمداد[١] الذي هو أشهر من أن يشهر؟! وإن كان الأمر مفضيًا إلىٰ الفسق فالمطلوب تحقيق هذا السؤال بأطرافه.

ولا يمنع مولاي ـ حفظه اللَّه وحماه ـ سوءُ أدب السائل لتحرير السؤال علىٰ غير قاعدة السؤال؛ فإنه إنما عَرَض ما في خَلَده الملازم للاختلال، ليتبين للمسؤول عِلةُ السؤال، فيرشد إلىٰ دواء ذلك الاعتلال، واللَّه تعالىٰ هو المطَّلع علىٰ خفيات السرائر، ونسأله أن يغفر لنا الكبائر من الذنوب والصغائر. والسلام ختام.

ومن تمام الفائدة المطلوبة نَقلُ ما تكلم به ابن تيمية وتلميذه في الدعاء عند القبور، والتكلم عليه نفيًا أو إثباتًا، فقد أطال الكلام في مواضع من كتبه. ومحطُّ الفائدة: هل تلك الكلمات الصادرة من العوام أو الخواص عبادةٌ لغير اللَّه أم لا؟

واللَّه الهادي، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله[٢].



(١) في «الفتح الرباني»: «الأمداد» ـ بفتح الهمزة ـ، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

(٢) ورد في «الفتح الرباني» بعد ما سلف سؤال عن حكم «المحاريب»، ولم يرد عليه الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة، فحذفتُ السؤال لعدم جدواه، ومن أراده فلينظر «الفتح الرباني» (١/٢٩٩). علمًا أن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ قد أجاب عنه في المصدر السابق (٦/٣٠٢١).

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك، وأصلي وأسلم علىٰ رسولك وآل رسولك.

وبعد:

فإنه وصل إلىٰ الحقير الجاني، محمد بن علي الشوكاني - غفر اللَّه له ذنوبَه، وستر عن عيون الناس عيوبَه - سؤالٌ من عالم مِفضال، عارفٍ بما قد قيل وما يقال، في مدارك الحرام والحلال، عند اختلاف الأقوال، وتباين آراء الرجال، وهو العلامة الفهَّامة الأفخم محمد بن أحمد بن محمد مشحم؛ كثَّر اللَّه فوائده، ومد علىٰ أهل العلم موائده.

وحاصل السؤال هو عن:

١ - التوسل بالأموات المشهورين بالفضل - وكذلك الأحياء -، والاستغاثة بهم، ومناجاتهم عند الحاجة؛ من نحو: «علىٰ اللَّه وعليك يا فلان[1]»، و«أنا باللَّه وبك»، وما يشابه ذلك.

٢ - وتعظيم قبورهم، واعتقاد أن لهم قدرةً علىٰ قضاء حوائج المحتاجين، ونجاح طلبات السائلين.

٣ - وما حُكم من فعل شيئًا من ذلك؟

٤ - وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة، ودعاء اللَّه عندها؛ من غير استغاثةٍ بهم، بل للتوسل بهم فقط؟

(١) أي: «أعتمد علىٰ اللَّه وعليك»، أو: «أتوكل علىٰ اللَّه وعليك»، ونحوه.

فأقول ـ مستعينًا باللَّه ـ:

اعلم أن الكلام علىٰ هذه الأطراف يتوقف علىٰ إيضاح ألفاظٍ هي منشأُ الاختلاف والالتباس:

فمنها: الاستغاثة ـ بالغين المعجمة والمثلثة ـ.

ومنها: الاستعانة ـ بالعين المهملة والنون ـ.

ومنها: التشفع.

ومنها: التوسل.

[١] الاستغاثة(١):

فأما «الاستغاثة» ـ بالمعجمة والمثلثة ـ: فهي طلب الغَوْث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار وهو طلب النَّصر.

[أ] ولا خلاف أنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق فيما يقدر علىٰ الغَوْث فيه من الأمور. ولا يَحتاج مثلُ ذلك إلىٰ استدلال؛ فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف.

ومنه: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

[ب] وأما ما لا يقدر عليه إلا اللَّه فلا يُستغاث فيه إلا به؛ كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(١) العنوان من عندي.

وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وعلىٰ هذا يُحمل ما أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر: قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث باللَّه**»(١).

فمراده: ﷺ أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وأما ما يقدر عليه المخلوقُ فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوقُ بالمخلوق ليُعينَه علىٰ حَمْل الحَجَر، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سَبُعًا صائلًا أو لصًّا، أو نحو ذلك.

📖 [**المغيث بالحقيقة هو الله** جَلَّ ثَنَاؤُهُ]:

وقد ذكر أهل العلم أنه يجب علىٰ كل مكلَّف أن يعلم ألَّا غِيَاثَ ولا مغيث علىٰ الإطلاق إلا اللَّه سبحانه، وأن كل غوثٍ من عنده، وإذا حصل شيءٌ من ذلك علىٰ يد غيره فالحقيقة له سبحانه، ولغيره مجاز. ومن أسمائه: المغيث والغِيَاث(٢).

(١) ضعيف: وقد تقدم.

(٢) قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوىٰ» (١/١١١): «قالوا: من أسمائه تعالىٰ: المغيث والغياث، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعت الأمة علىٰ ذلك» اهـ. مستفاد من «الفتح الرباني».
وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عدِّ الأسماء الحسنىٰ **حديثٌ ضعيف**، وقد تقدم تخريجه.

▫ قال أبو عبداللَّه الحَليمي: «الغِياث هو المغيث، وأكثر ما يقال: غِياثُ المستغيثين، ومعناه: المُدرِكُ عبادَه في الشدائد إذا دعَوه، ومجيبُهم، ومُخلِّصُهم».

وفي خبر الاستسقاء في «الصحيحين»: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**»[(١)].

يقال: أغاثه إغاثةً، وغياثةً، وغَوْثًا.

وهو في معنىٰ «المجيب والمستجيب»؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

إلا أن «الإغاثة» أحقُّ بالأفعال، و«الاستجابة» بالأقوال، وقد تقع كلٌّ منهما موقع الأخرىٰ.

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه ما لفظه: «والاستغاثة ـ بمعنىٰ أن تطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه ـ لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنىٰ فهو إما كافر، وإما مخطئ ضال.

وأما بالمعنىٰ الذي نفاها رسول اللَّه ﷺ فهو ـ أيضًا ـ مما يجب نفيها. ومن أثبت لغير اللَّه ما لا يكون إلا للَّه فهو ـ أيضًا ـ كافر؛ إذا قامت عليه الحجةُ التي يَكفُرُ تاركها.

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البِسْطامي: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق».

وقول الشيخ أبي عبداللَّه القرشي: «استغاثة المخلوق بالمخلوق

(١) صحيح: وقد تقدم.

كاستغاثة المسجون بالمسجون»[(١)»[(٢)].

[٢] الاستعانة[(٣)]:

وأما «الاستعانة» ـ بالنون ـ فهي: طلب العون.

[أ] ولا خلاف أنه يجوز أن يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا، كأن يستعين به علىٰ أن يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته، أو يبلِّغ رسالته.

[ب] وأما ما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ فلا يستعان فيه إلا به. ومنه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

[٣] التشفُّع[(٤)]:

وأما التشفع بالمخلوق:

ـ فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلبُ الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا.

وثبت بالسنة المتواترة، واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن بدعة الاستغاثة بالأموات: «وهذه البدعة الكفرية إنما حدثت في العصور المتأخرة؛ لما شاعت الخرافات وانتشر الجهل، وعمت الأقاليمَ الإسلاميةَ مغالطاتُ المتصوفة وأباطيلهم، وإلا فلم يكن من حال السلف أن يستغيثوا بغير اللَّه أبدًا» اهـ. «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦٨٣/٢). وهذا مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (٣١٠/١).

(٢) انتهىٰ كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله.

(٣) العنوان من عندي.

(٤) العنوان من عندي.

الشافع المشفَّع، وأنه يَشفَعُ للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، ويطلبون منه أن يشفع لهم إلىٰ ربه.

ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين، أو لزيادة ثواب المطيعين[(١)]. ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط.

وفي سنن أبي داود: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إنا نستشفع باللَّه عليك، ونستشفع بك علىٰ اللَّه، فقال: «**شأنُ اللَّه أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع به علىٰ أحدٍ من خلقه**»[(٢)]، فأقرَّه علىٰ قوله: «نستشفع بك

(١) أورد الإمام الطحاوي رحمه الله في «عقيدته» (٢٢٩ : ٢٣٦ ـ ط: المكتب الإسلامي) أحاديث عدةً عن الشفاعة، ثم بين أنها أقسام:
١ ـ شفاعته ﷺ لرب العالمين ﷻ ليأذَنَ بفَصلِ القضاء بين الخلائق.
٢ ـ شفاعته ﷺ في أقوامٍ تساوت حسناتهم مع سيئاتهم أن يدخلوا الجنة.
٣ ـ شفاعته ﷺ في أقوامٍ أُمر بهم إلىٰ النار لئلا يدخلوها.
٤ ـ شفاعته ﷺ لأقوامٍ دخلوا الجنة أن يُرفعوا درجاتٍ فوق ما هم عليه.
٥ ـ شفاعته ﷺ في أقوامٍ ليدخلوا الجنة بغير حساب.
٦ ـ شفاعته ﷺ في تخفيفِ العذاب عمن يستحقُّه.
٧ ـ شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.
٨ ـ شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من المسلمين؛ ليخرجوا من النار، ويدخلوا الجنة.
وهذه الحاشية مستفادة من طبعة الشيخ الحلبي ص(١٩).
قلت: والضابط هنا أن هذه الشفاعة من علم الغيب، فإذا ثبت نوعٌ من الشفاعات السابقة في الأحاديث الصحيحة، أو انعقد عليه الإجماع قلنا به، وما لم يثبت توقفنا فيه. واللَّهُ تعالىٰ الموفِّق.

(٢) **محتملٌ للتحسين**: وقد تقدم.

علىٰ اللَّه»، وأنكر عليه قوله: «نستشفع باللَّه عليك».

وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة.

[٤] التوسل[(١)]:

وأما التوسل إلىٰ اللَّه سبحانه بأحدٍ من خلقه في مَطلبٍ يطلبه العبدُ من ربه:

▫ فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: «إنه لا يجوز التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ إلا بالنبي ﷺ ـ إن صح الحديث فيه ـ».

ولعله يشير إلىٰ الحديث الذي أخرجه النسائي في «سننه»، والترمذي ـ وصححه ـ، وابن ماجه، وغيرهم: أن أعمىٰ أتىٰ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إني أُصِبتُ في بصري؛ فادع اللَّه لي، فقال له النبي ﷺ: «**توضَّأْ وصلِّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمد، يا محمد، إني أشفعُ بك في رد بصري، اللهم شفِّعْ نبيَّك[(٢)] فيَّ**». وقال: «**فإن كانت لك حاجةٌ فمثل ذلك**»، فرد اللَّه بصره[(٣)].

وللناس في معنىٰ هذا قولان:

أحدهما: أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: «كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبيِّنا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل[(٤)] إليك

(١) العنوان من عندي.

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرَّجة: «نبيِّي»، والرواية ما أثبتُّه.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «نتوسلك».

بعمِّ نبينا». وهو في «صحيح البخاري» وغيره[(١)].

فقد ذكر عمر ﷺ أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته.

وتوسلهم: هو استسقاؤهم؛ بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلىٰ اللَّه. والنبي ﷺ كان [في] مثلِ هذا شافعًا وداعيًا لهم.

والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه.

ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته، وثبت التوسل بغيره من الأحياء بعد موته [ﷺ] بإجماع الصحابة سكوتيًّا؛ لعدم إنكار أحدٍ منهم علىٰ عمر ﷺ في توسله بالعباس ﷺ.

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ ـ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ـ لأمرين:

الأول: ما عرَّفناك به من إجماع الصحابة.

والثاني: أن التوسل إلىٰ اللَّه بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسُّلٌ بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة؛ إذ لا يكون الفاضلُ فاضلًا إلا بأعماله؛ فإذا قال القائل: «اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني»؛ فهو باعتبار ما قام به من العلم[(٢)].

وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن النبي ﷺ حكىٰ عن الثلاثة

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) كما سلف الإمام الشوكاني يجيز التوسل بجاه الأنبياء والصالحين، وليس بمجرد دعائهم. وسيأتي الرد بعد انتهاء كلامه رحمه الله.

الذين انطبقت عليهم الصخرةُ= أن كل واحد منهم توسل إلىٰ اللَّه بأعظمِ عَمَلٍ عَمِلَه، فارتفعت الصخرة[١].

فلو كان التوسل بالأعمال الفاضله غير جائز، أو كان شركًا ـ كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبدالسلام، ومن قال بقوله من أتباعه ـ لم تحصل الإجابة من اللَّه لهم، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم.

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلىٰ اللَّه بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٤]= ليس بوارد؛ بل هو من الاستدلال علىٰ محل النزاع بما هو أجنبيٌّ عنه:

فإن قوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ مصرِّحٌ بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسِّل بالعالم ـ مثلًا ـ لم يعبده؛ بل عَلِم أن له مزيةً عند اللَّه بحمله العلم؛ فتوسل به لذلك.

وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ فإنه نهيٌ عن أن يُدعىٰ مع اللَّه غيره، كأن يقول: «يا اللَّه، ويا فلان»، والمتوسِّلُ بالعالم ـ مثلًا ـ لم يَدْعُ إلا اللَّه، وإنما وقع منه التوسل إليه بعملٍ صالحٍ عَمِله بعضُ عباده؛ كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم[٢].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) وهذا قياسٌ مع الفارق ـ كما لا يخفىٰ ـ، وسيأتي الرد لاحقًا.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ...﴾ الآية، فإن هؤلاء دعَوْا من لا يستجيب لهم، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسِّلُ بالعالم ـ مثلًا ـ لم يَدْعُ إلا اللَّه، ولم يَدْعُ غَيرَه دونه، ولا دعا غيره معه.

وإذا عرفت هذا لم يَخْفَ عليك دَفْعُ ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجًا زائدًا علىٰ ما ذكرناه، كاستدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار]؛ فإن هذه الآيةَ الشريفةَ ليس فيها إلا أنه تعالىٰ المتفردُ بالأمر في يوم الدين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، ولا يملك غيرُه[1] من الأمر شيئًا.

والمتوسِّلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالمٍ من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركةً للَّه ﷻ في أمرٍ يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد ـ سواء كان نبيًّا أو غير نبي ـ فهو في ضلالٍ مبين.

وهكذا الاستدلال علىٰ منع التوسل بقوله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول اللَّه ﷺ من أمر اللَّه شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يملكه لغيره؟ وليس فيهما مَنْعُ التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء.

وقد جعل اللَّه لرسوله ﷺ المقام المحمود ـ مقام الشفاعة

(١) في «الفتح الرباني»: «لغيره»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

العظمىٰ ـ، وأرشد الخلق إلىٰ أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له[١]: «**سَلْ تُعْطَهْ، واشفَعْ تُشفَّعْ**»[٢]، وقَيَّد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضىٰ؛ ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ـ إن شاء اللَّه ـ.

وهكذا[٣] الاستدلالُ علىٰ منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]: «**يا فلانُ بنَ فلان، لا أملِكُ لكَ من اللَّه شيئًا، يا فلانةُ بنتَ فلان، لا أملِكُ لكِ من اللَّه شيئًا، يا بني فلان، لا أملِكُ لكم من اللَّه شيئًا**»[٤]، فإن هذا ليس فيه إلا أنه ﷺ لا يستطيع نفعَ من أراد اللَّه ضره، ولا ضَرَّ من أراد اللَّه نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته ـ فضلًا عن غيرهم ـ شيئًا من اللَّه، وهذا معلومٌ لكل مسلم، وليس فيه أنه لا يُتوسل به إلىٰ اللَّه؛ فإن ذلك هو طلبُ الأمر ممن له الأمرُ والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدِّم بين يدي طلبته ما يكون سببًا للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدين.

وإذا عرفتَ هذا فاعلم أن الرزيَّة كل الرزية، والبليةَ كل البلية أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشفُّع ممن له الشفاعة؛ وذلك ما صار يعتقده كثيرٌ من العوام، وبعضُ الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء= من أنهم يَقدرون

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «قاله له».
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وهذا»، والأصح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

علىٰ ما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ، ويفعلون بهم ما لا يفعله إلا اللَّه ﷻ؛ حتىٰ نطقت ألسنتُهم مما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يَدْعونهم تارةً مع اللَّه ﷻ، وتارةً استقلالًا، ويصرِّحون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم مَن يملك الضُّرَّ والنفع، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا علىٰ خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء! وهذا إذا لم يكن شركًا فلا ندري ما هو الشرك، وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفر!

وها نحن نقص عليك أدلةً في كتاب اللَّه سبحانه، وفي سنة رسوله ﷺ فيها المنعُ مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريحُ بأنه شركٌ، وهو بالنسبة إلىٰ هذا الذي ذكرناه يسير حقير، وبعد ذلك نعودُ إلىٰ الكلام علىٰ مسألة السؤال.

[تعليق التمائم]:

فمن ذلك: ما أخرجه أحمد في «مسنده» ـ بإسنادٍ لا بأس به ـ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا بيده حلقةٌ من صُفر، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة، قال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، ولو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت**»(١).

وأخرج ـ أيضًا ـ عن عُقبة بن عامر مرفوعًا: «**مَن تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّه له، ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَّعَ اللَّه له**»(٢).

وفي رواية: «**من تعلَّق تميمةً فقد أشرك**»(٣).

(١) ضعيف: وقد تقدم.

(٢) حسن: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

▫ ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط للحُمَّىٰ فقطعه، وتلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]».

وفي «الصحيح» عن أبي بَشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «**ألَّا يَبْقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ إلا قُطعت**»(١).

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن مسعود: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرُّقىٰ والتمائمَ والتِّوَلةَ شركٌ**»(٢).

وأخرج أحمد والترمذي عن عبداللَّه بن عُكيم(٣) مرفوعًا: «**مَن تعلَّق شيئًا وُكِل إليه**»(٤).

وأخرج أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا رويفع، لعلَّ الحياة ستطولُ بك؛ فأَخبِرِ الناسَ أنَّ مَن عَقد لحيته، أو تَقَلَّد وَتَرًا، أو استنجىٰ برجيع دابةٍ أو عظمٍ= فإن محمدًا بريءٌ منه**»(٥).

فانظر كيف جعل الرُّقىٰ والتمائم والتِّوَلةَ شركًا! وما ذلك إلا لكونها مظنةً لَأَنْ يَصْحَبَها اعتقادُ أن لغير اللَّه تأثيرًا في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء، فكيف بمن نادىٰ غير اللَّه، وطلب منه ما لا يُطلَبُ إلا من اللَّه، واعتقد استقلاله بالتأثير، أو اشتراكه مع اللَّه ﷻ؟!

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «حكيم»!
(٤) **حسن**: وقد تقدم.
(٥) **صحيح**: وقد تقدم.

ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي ـ وصححه ـ عن أبي واقدٍ الليثي قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ حُنين ـ ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفر ـ، وللمشركين سِدرةٌ يَعكُفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال النبي ﷺ: «**اللَّه أكبر، قُلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾** [الأعراف]، **لَتَرۡكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم**»[(١)].

فهؤلاء إنما طلبوا أن يَجعل لهم شجرةً يَنُوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قَصدِهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القُبوريُّون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلةِ الشرك الصريح، وأنه بمنزلةِ طلب آلهةٍ غير اللَّه.

🕮 [الذبح لغير الله ﷻ]:

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن علي بن أبي طالب ـ كرَّم اللَّه وجهه[(٢)] ـ قال: حدثني رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات:

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) تخصيص هذا الثناء بأمير المؤمنين عليٍّ ﷺ ـ دون مَن سواه مِن الصحابة ﷺ ـ بدعةٌ لم تُعهد عن السلف الصالح ﷺ؛ بل صار من شعار الرافضة ـ قبَّحهم اللَّه ـ.
وقد ذكر بعضُ أهل السُّنة أن عليًّا ﷺ إنما خُصَّ بهٰذا الدعاء «كرَّم اللَّه وجهه»، لأنه ما سجد لصنمٍ قطُّ. =

«لعن اللَّه مَن ذَبَح لغير اللَّه، لعن اللَّه مَن لعن والديه، لعن اللَّه من آوىٰ مُحدِثًا، لعن اللَّه من غيَّر منار الأرض»(١).

وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول اللَّه ﷺ قال: «دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب»، قالوا: كيف ذلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «مر رجلان علىٰ قومٍ لهم صنمٌ لا يجُوزُه أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ إليه شيئًا، فقالوا لأحدهم: قرِّبْ ولو ذبابًا، فقَرَّبَ ذبابًا، فخلَّوْا سبيلَه، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّبْ. فقال: ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ دون اللَّه ﷻ؛ فضربوا عنقَه فدَخَل الجنة»(٢).

فانظر لَعْنَه ﷺ لمن ذبح لغير اللَّه، وإخبارَه بدخول من قرَّب لغير اللَّه النار، وليس في ذلك إلا مجردُ كون ذلك مَظِنَّةً للتعظيم الذي لا ينبغي إلا للَّه، فما ظنك بما كان شركًا بحتًا؟!

قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هَديٌ، أو أُضحية، أو نُسك، وكذلك ما يُذبح للبيع؛ لأنه مكسبٌ حلال فهو عبادة، ويتحصل من ذلك شكلٌ قطعي؛ هو أن إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا للَّه، فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا للَّه.

ودليل الكبرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

= **قلت**: وقد بيَّن المحققون ـ أيضًا ـ أن هذا لم يصحَّ، وليس ـ كذلك ـ خاصًّا بعليٍّ رضي الله عنه، بل شاركه فيه غيره من الصحابة رضي الله عنهم.
انظر: «معجم المناهي اللفظية»، للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله (٤٤٠).

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **ضعيف**: وقد تقدم.

[الفاتحة: ٤]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

📖 [**الحلف بغير الله ﷻ**]:

ومن ذلك: أنه ﷺ نهىٰ عن الحلف بغير اللَّه، وقال: «**مَن حلف فلْيَحلِفْ باللَّه، أو لِيصمُتْ**»(١).

وقال: «**مَن حلف بملةٍ غير الإسلام لم يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا**»(٢). أو كما قال.

وسمع رجلًا يحلف باللات والعزىٰ؛ فأمره أن يقول: «لا إلٰه إلا اللَّه»(٣).

وأخرج الترمذي ـ وحسنه ـ، والحاكم ـ وصححه ـ، من حديث عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن حَلَف بغير اللَّه فقد أشرك**»(٤).

وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام، وفيها أن الحلف بغير اللَّه يَخرج به الحالفُ عن الإسلام(٥)؛ وذلك لكون الحلف بشيءٍ مَظِنَّةُ تعظيمه، فكيف بما كان شركًا محضًا يتضمن التسويةَ بين الخالق والمخلوق في طلب النفع، واستدفاع الضر، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادةً علىٰ تعظيم الخالق؟! كما يفعله كثيرٌ من المخذولين؛

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

(٥) بل فيه تفصيل، كما في شروح «كتاب التوحيد»، وستأتي إشارةٌ من كلام الإمام ابن القيم ﷺ.

فإنهم يعتقدون أن لأهل القبور من جلب النفع ودفع الضر ما ليس للَّه ـ تعالىٰ اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ، فإن أنكرتَ هذا فانظر أحوالَ كثيرٍ من هؤلاء المخذولين؛ فإنك تجدهم كما وصف اللَّه سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر].

[اتخاذ القبور مساجد]:

ومن ذلك: ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ عند موته أنه كان يقول: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذِّر ما صنعوا[(١)].

وأخرج مسلم عن جندب بن عبداللَّه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)].

وأخرج أحمد ـ بسندٍ جيد ـ، وأبو حاتم في «صحيحه» عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إن من شرار الناس مَن تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[(٣)].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيها التصريحُ بلعن من اتخذ القبور مساجد ـ مع أنه لا يَعبُدُ إلا اللَّه ـ؛ وذلك لقطع ذريعة التشريك، ودفع وسيلة التعظيم.

وورد ما يدل علىٰ أن عبادة اللَّه عند القبور بمنزلة اتخاذها

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

أوثانًا[١] تعبد:

أخرج مالك في «الموطأ» أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد. اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

وبالغ في ذلك حتىٰ لعن زائرات القبور:

كما أخرجه أهل السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول اللَّه ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج»[٣].

ولعل وجهَ تخصيص النساء بذلك ما في طبائعهن من النقص المُفضي إلىٰ الاعتقاد والتعظيم بأدنىٰ شبهة.

ولا شك أن علة النهي عن جعل القبور مساجد، وعن تسريجها، وتجصيصها، ورفعها، وزخرفتها= هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة.

كما ثبت في «الصحيح» عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح بنَوْا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه**»[٤].

▫ ولابن خزيمة عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]،

(١) في «الفتح الرباني» إلىٰ: «أوثان». والصواب ما أثبتُّه.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **حسن ـ دون ذكر المساجد والسُّرُج ـ**: وقد تقدم.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

قال: «كان يَلُتُّ لهم السَّوِيق، فمات؛ فعكفوا علىٰ قبره».

وكلُّ عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور، وإسبالِ الستور الرائعة عليها، وتسريجِها، والتأنق في تحسينها= تأثيرًا في طبائع غالب العوام، ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استَعظمت نفوسُهم شيئًا مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقدت كثيرٌ[1] من الطوائف الألوهيةَ في أشخاص كثيرة.

▫ ورأيت في بعض كتب التاريخ: «أنه قدم رسولٌ لبعض الملوك علىٰ بعض خلفاء بني العباس، فبالغ الخليفةُ في التهويل علىٰ ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبةٍ إلىٰ رتبة، حتىٰ وصل إلىٰ المجلس الذي يَقعد [فيه] الخليفةُ في برج من أبراجه، وقد جُمِّل ذلك المنزل بأبهىٰ الآلات، وقعد فيه أبناءُ الخلفاء، وأعيانُ الكبراء، وأشرَفَ الخليفةُ من ذلك البرج ـ وقد انخلع قلبُ ذلك الرسول مما رأىٰ ـ، فلما وقعت عينه علىٰ الخليفة قال لمن هو قابضٌ علىٰ يده من الأمراء: أهذا اللَّه؟ فقال ذلك الأمير: بل هذا خليفة اللَّه[2]».

(١) في «الفتح الرباني»: «كثيرًا»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه، وإن كان لما في المطبوع وجهٌ.

(٢) اختلف أهل العلم في جواز إطلاق وصف «خليفة اللَّه» علىٰ الإنسان، فأجازته طائفةٌ، ومَنعته أخرىٰ، ولٰكن بيَّن الأستاذ محمود عبدالرازق ـ أستاذ العقيدة ـ أنَّ هناك تفصيلًا يَجمع بين القولين دون تعارض، حيث بيَّن أنَّ الخلافة قسمان:
[أ] خلافةٌ عن نقص.
[ب] وخلافةٌ عن كمال.
فالخلافة التي عن نقص: أنْ يستخلفَ الكبيرُ خَليفةً عنه لعجزٍ حلَّ بذٰلكم =

= الكبير؛ مثاله: لو أنَّ طبيبًا مَرِض يومًا ما، فقال لأحد تلامذته: «قد استخلفتُكَ عنِّي في إجراءِ هٰذه العملية؛ لعدم تَمكُّني من الحضور»، فهنا استخلافُ الطبيب لتلميذه كان بسبب نَقصٍ حلَّ بالطبيب، وهو المرض.

وأمَّا الخلافة التي عن كمال: فهي أن يَستخلفَ الكبيرُ خليفةً عنه، لا لعجزٍ، ولٰكن اختبارًا له؛ مثالُه: أن يكون الطبيبُ سليمًا صحيحًا، وقال لتلميذه: «لقد فوَّضتُ لك إجراءَ هٰذه العمليةِ نيابةً عنِّي تحت إشرافي، وسأكونُ حاضرًا معك فيها، متابعًا لك لأختبرَك فيما علَّمتُك»، فهنا كان استخلافُ الطبيب لتلميذِه استخلافًا عن كمال ـ وليس لنَقصٍ حلَّ بالطبيب ـ؛ وهٰكذا في استخلاف اللَّهِ تعالىٰ للإنسان ـ وله ﷻ المَثلُ الأعلىٰ ـ، فاستخلافه له عن كمالٍ ـ لا عن نقص ـ؛ وهٰذا الاستخلاف يُسمَّىٰ «التخويل» و«التفويض».

هٰذا ملخصُ ما بيَّنه الشيخ محمود عبدالرازق في محاضرته النفيسة: «قَدْرُ الإنسان»، وبهٰذا التفصيل لا تتناقض أقوالُ العلماء.

وانظر حول لفظ «الخلافة»: «إتحاف السادة المتقين» للإمام الزَّبيدي (١٩٦/١)، و«معجم المناهي اللفظية»، للعلَّامة بكر أبو زيد (٢٥٢)، و«بصائر للمسلم المعاصر»، للشيخ عبدالرَّحمٰن الميداني (١٥٢)، و«التداول علىٰ السلطة التنفيذية»، للشيخ عليٍّ الصلابي (٣٠ : ٣٧)، ولزامًا: «مجموع الفتاوىٰ» (٤٤/٣٥)، وتحقيق «سنن ابن ماجه» (٥/ ٢١٢ ـ ط: الرسالة).

قلت: ولٰكنَّ المتأمِّلَ في نصوص الشرع المطهَّر يرىٰ أنها لم تُضِف وصف «الخليفة» للَّهِ ﷻ، وإنما كان «مطلقًا»، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ولم يقل في الآيتين: «خليفةً لي»، وقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل]، ولم يقُل: «خلفاء لي»، وقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ =

فانظر ما صنع ذلك التحسينُ بقلب هذا المسكين[١]!

▫ ورُوي لنا: «أن بعض أهل جهة القبلة[٢] وصل إلىٰ القُبة الموضوعة علىٰ قبر الإمام أحمد بن الحسين ـ صاحب «ذي بين»[٣] ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرآها وهي مُسْرَجَةٌ بالشمع، والبخورُ ينفحُ[٤] في جوانبها، وعلىٰ القبر الستورُ الفائقة؛ فقال عند وصوله إلىٰ بابه: أمسيتَ

= خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس]، ولم يقل: «خلائفَ لي». وقال ﷻ ـ حكايةً عن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لبني إسرائيل ـ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ولم يقل: «ويستخلفكم عنه ﷻ»، إلىٰ غير ذٰلك من الآيات التي لم تنصَّ علىٰ أن الإنسان «خليفةٌ للَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ»، وعليه؛ فما سبق من بيانٍ للشيخ محمود بن عبدالرازق مبنيٌّ علىٰ أن المضاف إليه المحذوف مع لفظ «الخليفة» ـ ومشتقاته ـ هو اللَّهُ ﷻ، والظاهر من الآيات غيرُ هٰذا، وأن المراد أحدُ أمرين:

ـ إما استخلاف آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريته عمن سبقهم في الأرض ـ إن كان قبلهم أحد ـ.

ـ وإما أن ذرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخلف بعضهم بعضًا. ولعله الأظهر.

واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) والكلام السابق مما رددتُ به علىٰ تجويز الشيخ علي محفوظ ـ عفا اللَّه عنه ـ زيارة وتعمير مشاهد الأولياء والصالحين؛ فراجع ذلك ـ مشكورًا ـ في تعليقي علىٰ «الإبداع في مضارِّ الابتداع»، بواسطة فهرس الموضوعات.

(٢) كذا في «الفتح الرباني»، وفي نسخة الحلبي: «جهات القبلة».

(٣) الظاهرُ أنها اسم موضع ما، وقد كُتبت في «الفتح الرباني»: «ذيبين»؛ فاللَّه أعلم.

(٤) في النسختين: «ينفخ» ـ بالخاء ـ، ولعلَّ الأصح ما أثبتُّه.

بالخير ـ يا أرحم الراحمين ـ!»[(١)].

▫ وفي «الصحيح» عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]، قال: «هذه أسماء رجال من قوم نوح، لما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا[(٢)]، وسمُّوها بأسمائهم؛ ففعلوا فلم يُعبَدوا، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».

▫ وقال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم».

[العيافة والطَّرْق والطِّيَرة]:

ومن ذلك: ما أخرجه أحمد ـ بإسنادٍ جيد ـ عن قَبيصة، عن أبيه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن العيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرةَ من الجِبْت**»[(٣)]، وأخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان ـ أيضًا ـ.

وأخرج أبو داود ـ بسندٍ صحيح ـ عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السِّحْر**»[(٤)].

[إتيان الكاهن والعراف]:

وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة: «**مَن عقد عقدةً ثم نفث**

(١) واللَّه إن المجانين لم يصلوا إلىٰ هذه الدركة الفاضحة! نعوذ باللَّه من الخزي والخذلان.

(٢) **الأنصاب**: التماثيل.

(٣) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: وقد تقدم.

(٤) **صحيح**: وقد تقدم.

فيها فقد سَحَر، ومَن سَحَر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»[(١)].

وهذه الأمور إنما كانت من الجبت والشرك لأنها مظنةٌ للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد.

ومن ذلك: ما أخرجه أهل السنن والحاكم ـ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ـ، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**مَن أتىٰ كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه؛ فقد كَفَر بما أُنزل علىٰ محمد**»[(٢)].

وأخرج أبو يعلىٰ ـ بسندٍ جيدٍ ـ مرفوعًا: «**مَن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كَفَر بما أُنزل علىٰ محمد**».

وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن[(٣)].

والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقادَ أنه مشاركٌ للَّه ﷻ في علم الغيب، مع أنه ـ في الغالب ـ يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد، ولكن من حام حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه.

ومن ذلك ما في «الصحيحين» وغيرهما عن زيد بن خالد قال: صلىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الصبح علىٰ إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس بوجهه؛ فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم! قال: «**قال**[(٤)]: **أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل اللَّه ورحمته فذلك مؤمنٌ بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنَوءِ كذا وكذا فذلك**

(١) **ضعيف**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) سقطت «قال» الثانية من «الفتح الرباني» ونسخة الحلبي.

كافرٌ بي، مؤمن بالكواكب»[(١)].

ولا يخفىٰ علىٰ عارفٍ أن العلة في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من إيهام المشاركة، وأين هذا ممن يصرِّحُ في دعائه عندما[(٢)] يمسُّه الضر بقوله: «يا اللَّه، ويا فلان، وعلىٰ اللَّه، وعلىٰ فلان»؟! فإن هذا يعبد ربَّين، ويدعو اثنين، وأما من قال: «مطرنا بنوء كذا» فهو لم يقل: «أَمطَرَه ذلك النوء»؛ بل قال: «أُمطِرَ به»، وبين الأمرين فرقٌ ظاهر.

📖 **[السمعة والرياء]:**

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه ﷻ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري؛ تركتُه وشِرْكَه**»[(٣)].

وأخرج أحمد عن أبي سعيد مرفوعًا: «**أَلَا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح الدجال؟**»، قالوا: بلىٰ، قال: «**الشركُ الخفي، يقوم الرجل فيزيِّنُ صلاته لما يرىٰ مِن نظر رجل**»[(٤)].

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فإذا كان مجرد الرياء ـ الذي هو فعل الطاعة للَّه ﷻ، مع محبة أن يَطَّلع عليها غيرُه، أو يُثني بها، أو يستحسنها ـ شركًا[(٥)]، فكيف

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) في «الفتح الرباني»: «عند أن».
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.
(٤) **حسن**: وقد تقدم.
(٥) في «الفتح الرباني»: «فيه شركًا»!

بما هو محض الشرك؟

📖 **[شرك الألفاظ]:**

ومن ذلك: ما أخرجه النسائي أن يهوديًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ؛ فقال: إنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة! فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «وربِّ الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء اللَّه، ثم شئت»(١).

وأخرج النسائي ـ أيضًا ـ عن ابن عباس مرفوعًا: أن رجلًا قال [للنبي ﷺ]: ما شاء اللَّه وشئت، قال: «**أجعلتني للَّه ندًّا!؟ [بل] ما شاء اللَّه وحده**»(٢).

وأخرج ابن ماجه عن الطُّفيل قال: رأيتُ(٣) كأني أَتيتُ علىٰ نفر من اليهود؛ فقلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن اللَّه، قالوا: وأنتم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: المسيح ابن اللَّه، قالوا: وأنتم لأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون: ما شاء اللَّه وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: «**فهل أخبرتَ بها أحدًا؟**»، قلت: نعم، قال: فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم، فلا تقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد، ولكن قولوا: ما**

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) أي: في المنام.

شاء اللَّه وحده»[(١)].

والوارد في هذا الباب كثير، وفيه أن التشريكَ في المشيئة بين اللَّه ورسوله، أو غيره من عبيده= فيه نوعٌ من الشرك؛ ولهذا جَعل ذلك ـ في هذا المقام[(٢)] ـ كشرك اليهود والنصارىٰ بإثبات ابنٍ للَّه ﷻ، وفي تلك الرواية السابقة أنه إثبات نِدٍّ للَّه ﷻ.

ومن ذلك: قوله ﷺ لمن قال: من يطع اللَّه ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فقد غوىٰ: «**بئس خطيبُ القوم أنت**»، وهو في «الصحيح»[(٣)].

□ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة] أنه قال: «الأنداد أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: واللَّهِ، وحياتِك ـ يا فلان ـ، وحياتي. وتقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا [اللصوص][(٤)]، ولولا البط في الدار لأتىٰ اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللَّه وشئت، وقول الرجل: لولا اللَّه وفلان. هذا كله شرك». انتهىٰ.

ومن ذلك ما ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة أن

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) في «الفتح الرباني»، وفي النسخة المخرَّجة: «المقام الصالح»، ولا أدري وجه كلمة «الصالح» هنا، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من النسختين، وأثبتُّها من «تفسير ابن أبي حاتم» (٦٢/١).

رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أَطعِمْ ربَّك، وضِّئْ[١] ربك، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»[٢].

ووجه هذا النهي: ما يُفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه، والرب لعبده، وإن لم يكن ذلك مقصودًا مرادًا.

📖 [**التصوير**]:

ومن ذلك: ما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلمُ ممن ذهب يخلق كخلقي! فليخلقوا ذرَّةً[٣]، أو ليخلقوا حبةَ شعير**»[٤].

ولهما عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهُون خلق اللَّه**»[٥].

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كلُّ مصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم**»[٦].

ولهما عنه مرفوعًا: «**مَن صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»[٧].

وأخرج مسلم عن أبي الهَيَّاج قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثك علىٰ

(١) في النسختين: «أرض ربَّك». والمثبت من مصادر التخريج..
(٢) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) **الذرَّة**: النملة.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.
(٥) **صحيح**: وقد تقدم.
(٦) **صحيح**: وقد تقدم.
(٧) **صحيح**: وقد تقدم.

ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «**ألَّا تَدَعَ صورةً إلا طمستَها، ولا قبرًا مُشرِفًا إلا سوَّيتَه**»[(١)].

فانظر إلىٰ ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين، لكونهم فعلوا فعلًا يُشبِهُ فِعلَ الخالق ـ وإن لم يكن ذلك مقصودًا لهم ـ، وهؤلاء القبوريون قد جَعلوا بعض خلق اللَّه شريكًا له ومِثلًا ونِدًّا، فاستغاثوا به فيما لا يُستغاث فيه إلا باللَّه، وطلبوا منه ما لا يُطلب إلا من اللَّه مع القصد والإرادة[(٢)].

ومن ذلك: ما أخرجه النسائيُّ ـ بسندٍ جيد ـ عن عبداللَّه بن الشِّخِّير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ النبي ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد اللَّه ﷻ**»، قلنا: وأفضلُنا، وأعظمُنا طَوْلًا، قال: «**قولوا بقولكم ـ أو بعض قولكم ـ، ولا يستجرينَّكم[(٣)] الشيطان** ـ وفي رواية: **ولا يستهوينكم الشيطان ـ أنا محمدٌ عبد اللَّه ورسوله، ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّه ﷻ**»[(٤)].

وبالجملة: فالوارد عن الشارع من الأدلة الدالة علىٰ قطع ذرائع الشرك، وهدمِ كل شيء يوصِّل إليه في غاية الكثرة، ولو رُمتُ حَصْرَ ذلك علىٰ التمام لجاء في مؤلفٍ بسيط[(٥)]، فلنقتصر علىٰ هذا المقدار، ونتكلم علىٰ حكم ما يفعله القبوريُّون من الاستغاثة

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) أي: فعلوا ذلك مع العزم والنية الجازمة.
(٣) في «الفتح الرباني»: «يستجرَّنَّكم»، وقد تكررت في مواضع منه، والمثبت هو الرواية المشهورة.
(٤) **صحيح**: وقد تقدم.
(٥) **البسيط**: الكبير الواسع.

بالأموات، ومناداتِهم لقضاء الحاجات، وتشريكهم مع اللَّه في بعض الحالات، وإفرادهم بذلك في بعضها؛ فنقول:

[حكم الاستغاثة بالأموات]:

اعلم أن اللَّه لم يبعث رسله، ويُنزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق، ونحو ذلك؛ فإن هذا يُقِرُّ به كلُّ مشرك قبل بعثة الرسل:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون].

ولهذا تجدُ كلَّ ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفارِ مُعَنْوَنًا باستفهام التقرير:

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

بل بعث اللَّه رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة:

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢].

﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح: ٣].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت].

[كيف يتمُّ إخلاص التوحيد؟]:

وإخلاص التوحيد لا يتمُّ إلا بأن يكون الدعاءُ كلُّه للَّه، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر= له ومنه، لا لغيره، ولا من غيره:

﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

وقد تقرر أن شركَ المشركين الذين بَعث اللَّه إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعُهم وتضرُّهم وتقرِّبُهم إلىٰ اللَّه، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن اللَّه ﷻ هو خالقُها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٨].

وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكُه وما مَلَك»[(١)].

[شرك القبوريين والوثنيين واحد]:

وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميتٍ من الأموات، أو حيٍّ من الأحياء أنه يضرُّه أو ينفعه ـ إما استقلالًا، أو مع اللَّه تعالىٰ ـ، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمرٍ من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق= فلم يخلص التوحيد للَّه، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاءُ بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه هو نوعٌ من أنواع العبادة. ولا فرق بين أن يكون هذا المدعوُّ من دون اللَّه أو معه حجرًا أو شجرًا، أو ملَكًا أو شيطانًا ـ كما كانت تفعل ذلك الجاهلية ـ، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات ـ كما يفعله الآن كثيرٌ من المسلمين ـ. وكلُّ عالِمٍ يعلم هذا ويُقرُّ به؛ فإن العلة واحدة، وعبادةُ غير اللَّه وتشريكُ غيره معه تكون للحيوان كما تكون للجماد، وللحي كما تكون للميت؛ فمن زعم أن ثمَّ فرقًا بين من اعتقد في وثنٍ من الأوثان أنه يضر وينفع، وبين

(١) أي: وهذا الشريك أنت ـ أيضًا ـ تملكه، ولا يملك شيئًا!

من اعتقد في[(١)] ميتٍ من بني آدم أو حيٍّ منهم أنه يضر أو ينفع، أو يقدرُ علىٰ أمرٍ لا يقدر عليه إلا اللَّه= فقد غَلِط غلطًا بيِّنًا، وأقر علىٰ نفسه بجهلٍ كبير؛ فإن الشرك هو دعاءُ غير اللَّه في الأشياء التي تختصُّ به، أو اعتقادُ القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقربُ إلىٰ غيره بشيءٍ مما لا يُتقرَّبُ به إلا إليه.

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بـ«الصنم» و«الوثن» و«الإلٰه»، ليس فيه زيادةٌ علىٰ التسمية بـ«الولي» و«القبر» و«المَشهد» ـ كما يفعله كثيرٌ من المسلمين ـ؛ بل الحكم واحد إذا حَصَل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصُلُ لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشركُ هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء علىٰ بعض المسمَّيات؛ بل الشرك هو أن يَفعل لغير اللَّه شيئًا يختصُّ به ﷻ؛ سواء أَطلق علىٰ ذلك الغيرِ ما كان تُطلِقُه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسمًا آخر؛ فلا اعتبار بالاسم قط. ومن لم يعرف هذا فهو جاهلٌ لا يستحق أن يخاطَبَ بما يخاطَبُ به أهلُ العلم.

وقد عَلم كلُّ عالِم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضرُّ وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقرُّبُ[(٢)] لها في بعض الحالات بجزءٍ من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقِدِين في القبور؛ فإنهم قد عظَّموها إلىٰ حدٍّ لا يكون إلا للَّه سبحانه؛ بل ربما يَترك العاصي منهم فِعلَ المعصية إذا كان

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «من».

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرجة: «والتقريب»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

في مَشهدِ مَن يعتقده أو قريبًا منه، مخافةَ تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حَرَم اللَّه، أو في مسجدٍ من المساجد، أو قريبًا من ذلك. وربما حلف بعضُ غلاتهم باللَّه كاذبًا، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده [إلا صادقًا].

وأما اعتقادهم أنها تضرُّ وتنفع: فلولا اشتمال ضمائرهم علىٰ هذا الاعتقاد لم يَدْعُ أحدٌ منهم ميتًا أو حيًّا عند استجلابه لنفع، أو استدفاعه لضر قائلًا: «يا فلان، افعل لي كذا أو كذا، وعلىٰ اللَّه وعليك، وأنا باللَّه وبك»!

وأما التقرُّب[1] للأموات: فانظر ما يجعلونه من النذور لهم، وعلىٰ قبورهم في كثير من المحلات، ولو طُلب الواحد منهم أن يسمح بجزءٍ من ذلك للَّه ﷻ لم يفعل، وهذا معلومٌ يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن اللَّه هو الضارُّ النافع، والخيرُ والشر بيده، وإنما[2] استغاثوا بالأموات قصدًا لإنجاز ما يطلبونه من اللَّه ﷻ.

قلت: وهكذا كانت الجاهلية؛ فإنهم يعلمون أن اللَّه هو الضارُّ النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا أصنامهم لتُقرِّبَهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ ـ كما حكاه اللَّه عنهم في كتابه العزيز ـ.

نعم إذا لم يحصل من المسلمين إلا مجردُ التوسل الذي قدمنا

(١) في «الفتح الرباني»: «والتقريب» ـ كسابقتها ـ؛ لكنها في النسخة المخرجة علىٰ ما أثبتُّه.

(٢) في النسختين: «وإن». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

تحقيقه، فهو كما ذكرناه سابقًا، ولكن مَن زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل، وهو يعتقد مِن تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد علىٰ مجرد الاعتقاد؛ فتقرب إلىٰ الأموات بالذبائح والنذور، وناداهم مستغيثًا بهم عند الحاجة= فهذا كاذبٌ في دعواه أنه متوسلٌ فقط، فلو كان الأمرُ كما زعمه لم يقع منه شيءٌ من ذلك، إذ المتوسَّلُ به لا يحتاج إلىٰ رشوةٍ بنذرٍ أو ذبح، ولا تعظيمٍ ولا اعتقاد؛ لأن المدعوَّ هو اللَّه سبحانه، وهو ـ أيضًا ـ المجيب، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط؛ بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح؛ فأي جدوىٰ في رشوة مَن قد صار تحت أطباق الثرىٰ بشيءٍ من ذلك؟! وهل هذا إلا فِعلُ من يعتقد التأثير اشتراكًا أو استقلالًا؟! ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان علىٰ بطلان ما ينطقُ به لسانه من الدعاوىٰ الباطلة العاطلة؛ بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجردُ التوسل وهو يقول بلسانه: «يا فلان»، مناديًا لمن يعتقده من الأموات= فهو كاذبٌ علىٰ نفسه.

ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالًا؛ فليخبرنا ما معنىٰ ما يسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: «يا ابن العجيل، يا زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان يا فلان»؟! وهل ينكر هذا منكِر، أو يشكُّ فيه شاكٌّ؟! وما عدا ديارَ اليمن فالأمر فيها أطمُّ وأعم؛ ففي كل قريةٍ ميتٌ يعتقده أهلُها وينادونه، وفي كل مدينةٍ جماعةٌ منهم، حتىٰ إنهم في حَرَم اللَّه ينادونه: «يا ابن عباس، يا محجوب»، فما ظنك بغير ذلك؟! فلقد تلطف إبليسُ وجنودُه ـ أخزاهم اللَّه ـ لغالب أهل الملة الإسلامية بلطيفةٍ تزلزل الأقدام

عن الإسلام؛ فإنا للَّه وإنا إليه راجعون[١].

أين من يعقل معنىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]؟!

وقد أخبرنا اللَّه سبحانه أن الدعاء عبادةٌ في محكم كتابه بقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وأخرج أبو داود، والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ من حديث

(١) وليست الأقطار اليمنية فقط، وليس «ضريح السيد البدوي» هو وحده الذي يستقبل الملايين سنويًّا في مصر، فهناك «ضريح الشبلي» يستقبل جمهورًا غفيرًا من «الحُجَّاج»، وهذا ما سجَّله الكاتب السيد محمد فريد؛ حيث كتب يقول:
قصة واقعية من قلب «مملكه الدراويش»، ومن الواقع الأليم الذي تعيشه «أمة المجانين»؛ حيث تقع «قرية الشيخ شبل مركز المراغة محافظة سوهاج»، ماذا حدث في هذه القرية؟ هناك من يُعبد من دون اللَّه، وتُقدم إليه القرابين كل عام، وله سادنٌ يقوم علىٰ خدمته، وهو المدعو «أبو النعمان الشبلي»، وذات يوم تَرك السادنُ الشمعةَ علىٰ جسم الوثن الخشبي، فتسلَّلت النيران إلىٰ الخشب وأصبح «الإلٰه» كتلةَ فحم، وراح الناس يشْكُون ويبكون ويقولون: من فعل هذه بآلهتنا؟ ونقول لهم: اسألوهم إن كانوا ينطقون! وماذا يصنع القوم؟ قاموا علىٰ الفور، وأحضروا نجارًا حازقًا، وصنعوا علىٰ الفور صنمًا «بدل تالف»، وانطبق علىٰ أهالي قرية الشيخ شبل قول المولىٰ ﷻ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات]» اهـ «مجلة التوحيد» (العدد ١٢ ـ ذو الحجة ١٤١١هـ ـ ص ٤٧).
نقلًا عن تحقيق «الفتح الرباني».

النعمان بن بَشير قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» ـ وفي رواية: «**مخ العبادة**» ـ، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ الآية المذكورة[١].

وأخرجه ـ أيضًا ـ النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة باللفظ المذكور.

وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنُّسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع، والاستكانة= عبادة للَّه ﷻ بلا خلاف. ومن زعم أن ثَمَّ فرقًا بين الأمرين فليُهدِهِ إلينا.

ومن قال: إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتَهم؛ فقل له: فلأي مقتضٍ صنعتَ هذا الصنع؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمرٍ بك لا يكون إلا لشيءٍ في قلبك عبَّر عنه لسانك، فإن كنت تَهْذِي بذكر الأموات عند عُروض الحاجات من دون اعتقادٍ منك لهم فأنت مصابٌ بعقلك، وهكذا إن كنت تنحر للَّه وتنذر للَّه فلأي معنًىٰ جعلت ذلك للميت، وحملته إلىٰ قبره؟ فإن الفقراء علىٰ ظهر البسيطة في كل بقعةٍ من بقاع الأرض، وفِعلُك ـ وأنت عاقل ـ لا يكون إلا لمقصدٍ قد قصدته، وأمرٍ قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رُفع عنك القلم، ولا نوافقك علىٰ دعوىٰ الجنون إلا بعد صدور أفعالِك وأقوالك في غير هذا علىٰ نمطِ أفعال المجانين، فإن كنت تُصدِرُها مصدرَ أفعال العقلاء فأنت تكذبُ علىٰ نفسك في دعواك

(١) صحيح: وقد تقدم.
ورواية «**مخ العبادة**» ضعيفة، وقد تقدمت.

الجنون في هذا الفعل بخصوصه، فرارًا عن أن يَلزمك ما لَزِمَ عُبَّادَ الأوثان الذين حكىٰ اللَّه عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وبقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل].

[التوحيد ليس مجرد كلمة]:

فإن قلت: إن المشركين كانوا لا يقرُّون بكلمة التوحيد، وهؤلاء المعتقِدون في الأموات يقرون بها.

قلت: هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم، وخالفوها بأفعالهم، فإنَّ من استغاث بالأموات، أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا اللَّه سبحانه، أو عظَّمهم، أو نذر عليهم بجزء من ماله، أو نحر لهم= فقد نزَّلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولا عَمِل بها؛ بل خالفها اعتقادًا وعملًا، فهو في قوله: «لا إلٰه إلا اللَّه» كاذبٌ علىٰ نفسه؛ فإنه قد جعل لها إلٰهًا غير اللَّه يعتقد أنه يضرُّ وينفع، وعَبَدَه بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه، ونَحَر له النحائر، وقرَّب إليه نفائس الأموال.

وليس مجرد قول «لا إلٰه إلا اللَّه» من دون عمل بمعناها مثبِتًا للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية، وعكف علىٰ صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا.

فإن قلت: قد أخرج أحمد بن حنبل، والشافعي في «مسنديهما»

من حديث عبيداللَّه[(١)] بن عديِّ بن الخيار أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتىٰ النبيَّ ﷺ وهو في مجلسه، فسارَّهُ يستأذنه في قتل رجل من المنافقين؛ فجهر رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أليس يشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه؟**»، قال الأنصاري: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ، ولا شهادة له. قال: «**أليس يشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟**»، قال: بلىٰ، ولكن لا شهادة له، قال: «**أليس يصلي؟**»، قال: بلىٰ، ولا صلاة له. قال: «**أولئك الذين نهاني اللَّه عن قتلهم**»[(٢)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال: يا رسول اللَّه، اتق اللَّه. وفيه: قال خالد بن الوليد: يا رسول اللَّه، ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا؛ لعلَّه أن يكون يصلي**»، فقال خالد: كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! فقال ﷺ: «**إني لم أُومَرْ أن أَنقُبَ عن قلوب الناس، ولا أشقَّ بطونهم**[(٣)]»[(٤)].

ومنه قوله ﷺ لأسامةَ بن زيد لما قَتل رجلًا من الكفار بعد أن

(١) في الفتح الرباني «عبداللَّه»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤٣٣/٥)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٥٦)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٥٠/١٠). **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٧٣/٣٩).
ورواه مالك في «الموطأ» (١١٧/١) **مرسلًا**، وعنه الشافعي في «مسنده» (١٣/١)، والبيهقي في «السنن» (١٩٦/٨)، وفي «معرفة السنن والآثار» (٧٣٠٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦٣/١٠).
وانظر: تحقيق «المسند» ـ الموضع السابق ـ.

(٣) في النسختين: «قلوبهم»، والمثبت هو الرواية.

(٤) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، فقال ﷺ: «**فما تصنع بلا إلٰه إلا اللَّه؟**»، فقال: يا رسول اللَّه، إنما قالها تقيةً، فقال: «**هل شققتَ عن قلبه؟**»؛ هذا معنىٰ الحديث، وهو في «الصحيح»[(١)].

قلت: لا شك أن من قال: «لا إلٰه إلا اللَّه»، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنىٰ التوحيد= فهو مسلمٌ محقون الدم والمال؛ إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في حديث: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجُّوا البيت، ويصوموا رمضان**»[(٢)].

وهكذا من قال «لا إلٰه إلا اللَّه» متشهدًا بها شهادة الإسلام، ولم يكن قد مضىٰ عليه من الوقت ما يجب فيه شيءٌ من أركان الإسلام، فالواجب حَمْلُه علىٰ الإسلام، عملًا بما أقر به بلسانه، وأخبر به مَن أراد قتاله؛ ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد ما قال.

وأما من تكلم بكلمة التوحيد، وفعل أفعالًا تخالفُ التوحيد، كاعتقاد هؤلاء المعتقِدِين في الأموات= فلا ريب أنه قد تبيَّن من حالهم خلافُ ما حكته ألسنتُهم من إقرارهم بالتوحيد، ولو كان مجردُ التكلم بكلمة التوحيد موجبًا للدخول في الإسلام والخروج من الكفر ـ سواءٌ فعل المتكلمُ بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه ـ؛ لكانت نافعةً لليهود، مع أنهم يقولون: «عزيرٌ ابن اللَّه»، وللنصارىٰ مع أنهم يقولون: «المسيح ابن اللَّه»، وللمنافقين مع أنهم يكذِّبون بالدين، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم! وجميعُ هذه الطوائفِ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

الثلاثِ يتكلمون بكلمة التوحيد، بل لم تنفع الخوارجَ؛ فإنهم من أكمل الناس توحيدًا، وأكثرهم عبادةً، وهم كلابُ النار[(١)]. وقد أَمَرَنا رسول اللَّه ﷺ بقتلهم، مع أنهم لم يُشركوا باللَّه، ولا خالفوا معنىٰ «لا إلٰه إلا اللَّه»، بل وحَّدوا اللَّه حق توحيده.

وكذلك المانعون للزكاة هم موحِّدون لم يشركوا، ولكنهم تركوا ركنًا من أركان الإسلام، ولهذا أجمعت الصحابةُ علىٰ قتالهم؛ بل دل الدليلُ الصحيحُ المتواتر علىٰ ذلك، وهو الأحاديث الواردة بألفاظ؛ منها: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إلٰه إلا اللَّه، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجوا البيت، ويصوموا رمضان، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[(٢)]؛ فمن ترك أحد هذه الخمس لم يكن معصومَ الدم ولا المال، وأعظم من ذلك تاركُ معنىٰ التوحيد، أو المخالف له بما يأتي به من الأفعال.

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣٥٥/٤)، وعبداللَّه بن أحمد في «السنة» (١٥١٣)، وابن ماجه (١٧٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥٦/٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٠٤)، واللالكائي في «السنة» (٢٣١١)، والآجري في «الشريعة» (٣٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣١٩/٦)، وابن الجوزي في «الواهيات» (٢٦١)، وفي «تلبيس إبليس» (١٩٢ ـ بعنايتي)، من حديث عبداللَّه بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه. **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ، لكنه أفاد أن لفظ «الخوارج» خطأ؛ لأنه لفظٌ محدَثٌ بعد النبي ﷺ. وكذا **حسَّنه** الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «الكبائر» للذهبي ص(٣٧٥).
ولفظ الحديث: «**الخوارجُ كلابُ أهل النار**».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

[لا يُشترط في وصف الرِّدَّة علمُ فاعلِها بالحكم]:

فإن قلت: هؤلاء المعتقِدون في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك، بل لو عُرض أحدهم علىٰ السيف لم يقرَّ بأنه مشرك باللَّه، ولا فاعلٌ لما هو شرك، ولو علم أدنىٰ علمٍ أن ذلك شركٌ لم يفعله.

قلت: الأمر كما قلتَ، ولكن لا يخفىٰ عليك ما تقرر في أسباب الردة: أنه لا يعتبر في ثبوتها العلمُ بمعنىٰ ما قاله من جاء بلفظ كفري، أو فعل فعلًا كفريًّا[1].

وعلىٰ كل حال فالواجب علىٰ كلِّ مَن اطلع علىٰ شيءٍ من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقِدون في الأموات= أن يُبلِّغَهم الحجةَ الشرعية، ويبيِّن لهم ما أمره اللَّه ببيانه، وأخذ عليه[2]

(١) نعم، يُحكم علىٰ الفعل بأنه «ردَّة»، لكن لا يُحكم علىٰ الفاعل بأنه «مرتدٌّ» إلا بعد قيام الحجة الرسالية، لا سيما في البلاد التي غلب فيها الجهل وعلماء السوء، وغابت فيها السنة، وفشت البدعة.

■ وقد قال الإمام الشوكاني في «السيل الجرار» (٤/٥٧٨): «لا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر؛ لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام. ولا اعتبار بصدور فِعلٍ كُفريٍّ لم يُرِدْ به فاعله الخروج عن الإسلام إلىٰ ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظٍ تلفَّظ به المسلم يدل علىٰ الكفر، وهو لا يعتقد معناه» اهـ. والمراد: عدم الحكم عليه عينًا بأنه «كافر»، وإن كان ما فعله «كفرًا».

▫ وقال ـ أيضًا ـ في «نيل الأوطار» (٦/٢١٠): «من سجد لغير اللَّه جاهلًا لم يكفر» اهـ. والنقلان هنا من النسخة المخرَّجة ص(٨٤).

وانظر فوائد جمة لعديد من أهل العلم علىٰ الرابط التالي:

«https://islamqa.info/ar/answers/111362/»

(٢) في النسختين: «عليهم»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

الميثاق ألَّا يكتمه ـ كما حكىٰ ذلك لنا في كتابه العزيز[١] ـ؛ فيقول لمن صار يدعو الأمواتَ عند الحاجات، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات، وينذر لهم النذور، وينحر لهم النحائر، ويُعظِّمهم تعظيم الرب سبحانه: إن هذا الذي تفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية، وهو الذي بعث اللَّهُ رسلَه بهدمه، وأنزل كتبه في ذمِّه، وأخذ علىٰ النبيين أن يبلِّغوه عباده أنهم لا يؤمنون حتىٰ يُخلِصوا له التوحيد، ويعبدوه وحده.

فإذا علموا هذا علمًا لا يبقىٰ معه شكٌّ ولا شبهة، ثم أصروا علىٰ ما هم فيه من الطغيان والكفر بالرَّحمٰن= وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يُقلعوا عن هذه الغواية، ويعودوا إلىٰ ما جاءهم به رسول اللَّه ﷺ من الهداية= فقد حلت دماؤهم وأموالهم، فإن رجعوا وإلا فالسيف هو الحكمُ العدل كما نطق به الكتاب المبين، وسنةُ سيد المرسلين في إخوانهم من المشركين.

فإن قلت: قد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم؛ فيَدْعُونه ويستغيثون به، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم محمدًا ـ صلىٰ اللَّه عليه وعليهم ـ.

قلت: أهل المحشر إنما يأتون هؤلاء الأنبياءَ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلىٰ اللَّه سبحانه، ويدْعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف، وهذا جائز؛ فإنه مِن طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول اللَّه ﷺ في

(١) كما في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

حياته أن يدْعوَ لهم:

كما في حديث: «يا رسول اللَّه، ادع اللَّه أن يجعلني منهم» ـ لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفًا[١] ـ.

وحديث: «**سبقك بها عكَّاشة**»[٢].

وقول أم سليم: «يا رسول اللَّه، خادمك أنس؛ ادْعُ اللَّه له»[٣].

وقول المرأة التي كانت تُصرع: يا رسول اللَّه، ادع اللَّه لي، وآخِرُ الأمر سألته الدعاء بألَّا تنكشف عند الصرع، فدعا لها[٤].

ومنه إرشاده ﷺ لجماعةٍ من الصحابة بأن يطلبوا من أويس القَرَني الدعاء إذا أدركوه[٥].

ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب[٦].

وغير ذلك مما لا يُحصر؛ حتىٰ إن رسول اللَّه ﷺ قال لعمر لما خرج معتمرًا: «**لا تَنْسَنا ـ يا أُخيَّ ـ من دعائك**»[٧].

فمن جاء إلىٰ رجلٍ صالح، واستمد منه أن يدعوَ له، فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقِدون في الأموات؛ بل هو سُنةٌ حسنة، وشريعةٌ ثابتة، وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) نفس الحديث السابق.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٥٤٢)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (٢٧٣٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٧) **ضعيف**: وقد تقدم.

بأنه من أهلها كالأنبياء؛ ولهذا يقول اللَّه لرسوله يوم القيامة: «**سل تُعْطَهْ، واشفَعْ تشفَّع**»[(١)]؛ وذلك هو المقام المحمود الذي وعده اللَّه به في كتابه العزيز.

والحاصل: أن طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها، ومن ذلك الدعاء؛ فإنه يجوز استمداده من كل مسلم ـ بل يحسن ذلك[(٢)] ـ. وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون.

ولكن ينبغي أن يَعلم أن دعاء من يدعو له لا ينفع إلا بإذن اللَّه وإرادته ومشيئته، وكذلك شفاعةُ مَن يشفع لا تكون إلا بإذن اللَّه، كما ورد بذلك القرآن الكريم، فهذا تقييدٌ للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال.

🕮 [شبهةٌ باطلة]:

واعلم أن من الشُّبه الباطلة التي يوردها المعتقِدون في الأموات: أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية؛ لأنهم إنما اعتقدوا في الأولياء والصالحين، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين.

وهذه الشبهة داحضةٌ، تُنادي علىٰ صاحبها بالجهل؛ فإن اللَّه سبحانه لم يعذر من اعتقد في عيسىٰ عليه السلام ـ وهو نبي من الأنبياء ـ، بل خاطب النصارىٰ بتلك الخطابات القرآنية، ومنها: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تفصيل مهم حول طلب الدعاء أو غيره من المخلوق، تراه في كتابه: «التوسل والوسيلة».

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال لمن كان يعبد الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ].

ولا شك أن عيسىٰ والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم، ويَغْلُون في شأنهم، مع أن رسول اللَّه ﷺ - وهو أكرم الخلق علىٰ اللَّه؛ وسيد ولد آدم - قد نهىٰ أمته أن تغلوَ فيه كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، ولم يمتثلوا أمره، ولا امتثلوا ما ذكره اللَّه سبحانه في كتابه العزيز من قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ومن قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار]، وما حكاه عن رسول اللَّه ﷺ من أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وما قاله رسول اللَّه ﷺ لقرابته الذين أمره اللَّه بإنذارهم بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]؛ فقام داعيًا لهم، ومخاطبًا لكل واحدٍ منهم قائلًا: **«يا فلان بن فلان، لا أُغني عنكَ من اللَّه شيئًا، يا فلانة بنت فلان، لا أغني عنكِ من اللَّه شيئًا، يا بني فلان، لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا»**(١).

فانظر - رحمك اللَّه - ما وقع مِن كثيرٍ مِن هذه الأمة من الغلو المنهي عنه، المخالف لما في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ؛ كما يقول صاحب «البُردة»:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ به ... سواك عند حلولِ الحادثِ العَمَمِ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فانظر كيف نفىٰ كل ملاذٍ ما عدا عبدَ اللَّه ورسولَه ﷺ، وغفل عن ربه ورب رسول اللَّه! إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

وهذا بابٌ واسع، قد تلاعب [فيه] الشيطان بجماعةٍ من أهل الإسلام حتىٰ ترقَّوْا إلىٰ خطابِ غيرِ الأنبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثيرٍ من الأسباب.

ومن ذلك قول من يقول مخاطبًا لابن العجيل:

هات لي منك يا ابن موسىٰ إغاثة عاجلًا في مسيرها حثاثة

فهذا محضُ الاستغاثة ـ التي لا تصلح لغير اللَّه ـ بميتٍ من الأموات قد صار تحت أطباق الثرىٰ منذ مِئِينَ من السنين، ويغلبُ علىٰ الظن أن مثل هذا البيت والبيت الذي قبله إنما وقعا من قائليهما لغفلةٍ وعدم تيقظ، ولا مقصدَ لهما إلا تعظيمُ جانب النبوة والولاية، ولو نُبِّها لتنبَّها ورجعا وأقرَّا بالخطأ. وكثيرًا ما يعرض ذلك لأهل العلم والأدب والفطنة، وقد سمعنا ورأينا.

فمن وقف علىٰ شيء من هذا الجنس لحيٍّ من الأحياء فعليه إيقاظُه بالحجج الشرعية، فإن رجع وإلا كان الأمرُ فيه كما أسلفنا. وأما إذا كان القائلُ قد صار تحت أطباق الثرىٰ؛ فينبغي إرشادُ الأحياء إلىٰ ما في ذلك الكلام من الخلل.

وقد وقع في «البُردة» و«الهمزية» شيءٌ كثيرٌ من هذا الجنس، ووقع ـ أيضًا ـ لمن تصدَّىٰ لمدح نبينا ﷺ ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة، فليس المرادُ إلا التنبيه والتحذير ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]،

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

[خفاء بعض الشركيات الشائعة على طائفةٍ من العلماء]:

واعلم أن ما حررناه وقررناه ـ من أن كثيرًا مما يفعله المعتقِدون في الأموات يكون شركًا ـ قد يخفىٰ علىٰ كثير من أهل العلم؛ وذلك لا لكونه خفيًّا في نفسه؛ بل لإطباق الجمهور علىٰ هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبَّ عليه الصغير، وهو يرىٰ ذلك ويسمعُه، ولا يرىٰ ولا يسمع من يُنكره؛ بل ربما يسمع من يُرغِّبُ فيه، ويندب الناس إليه[1]، وينضم إلىٰ ذلك ما يُظهره الشيطانُ للناس من قضاء حوائج مَن قَصَد بعض الأموات الذين لهم شهرة، وللعامة فيهم اعتقاد. وربما يقف جماعةٌ من المحتالين علىٰ

(١) وهذا هو الجواب علىٰ من يعترض علينا إذا رددنا علىٰ بعض أهل العلم في مسألةٍ قال بجوازها ـ مثلًا ـ، وقد يكون لا أصلَ لها في دين اللَّه ﷻ، فإذا بالمتعصبين والمقلدين لهذا العالم يقولون: «كيف خفي الأمر علىٰ هذا الشيخ مع مكانته وجلالته، وعرفتموه أنتم؟»، ونسوا أن العصمة لم تكتب لأحدٍ بعد رسول اللَّه ﷺ، والصحابةُ الأبرار ﷺ بعضهم أنكر سننًا ثابتةً ثبوتًا قطعيًّا لم يكونوا سمعوا بها، كما أنكر ابن عمر أن يكون المصلي علىٰ الجنازة وتابِعُها ينال أجر قيراطين، وكما أنكرت أمُّنا عائشة ﷺ أن يكون الميت يعذَّب في قبره ببكاء أهله عليه، وغير ذلك؛ بالرغم من أن الأحاديث ثابتةٌ بذلك في الصحيحين وغيرهما، وانظر ـ مشكورًا ـ نحوًا من هذا في ردِّي علىٰ الشيخ الفاضل أبي عبداللَّه مصطفىٰ بن العدوي في إباحته للتكبير الجماعي في كتابي: «الاستدلال القطعي علىٰ بدعية التكبير الجماعي»، في فصل: «ردود علىٰ شبهات».

قبره، ويجلبون الناسَ بأكاذيبَ يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويَستدِرُّوا الأرزاق، ويقتنصوا النحائر، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلىٰ من يعولونهم، ويجعلون ذلك مكسبًا ومعاشًا.

وربما يهوِّلون علىٰ الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويُجمِّلون قبره مما يَعظُمُ في عين الواصل إليه، ويُوقدون في مشهده الشموع، ويوقدون فيه الأطياب[1]، ويجعلون لزيارته مواسمَ مخصوصةً يجتمع فيها الجمعُ الجَمُّ، فينبهر الزائر، ويرىٰ ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق، وازدحامهم وتكالبهم علىٰ القُرْب من الميت، والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به، والالتجاء إليه، وسؤاله قضاءَ الحاجات ونجاح الطِّلبات، مع خضوعهم واستكانتهم، وتقريبهم له نفائسَ الأموال ونحرهم أصناف النحائر.

فبمجموع هذه الأمور ـ مع تطاول الأزمنة، وانقراض القرن بعد القرن ـ يظنُّ الإنسان في بادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلَّمه من العلم بعد ذلك؛ بل يَذهَلُ عن كل حُجةٍ شرعيةٍ تدلُّ علىٰ أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول أنكره، ونبا عنه سمعه، وضاق به ذَرْعُه؛ لأنه يَبعُدُ كلَّ البعد أن ينتقل ذهنُه دفعةً واحدةً في وقتٍ واحد عن شيءٍ يعتقده من أعظم الطاعات إلىٰ كونه من أقبح المقبَّحات، وأكبر المحرمات، مع كونه قد دَرَج عليه الأسلاف، ودب فيه الأخلاف، وتعاورَتْه العصور، وتناوبته الدهور.

(١) يقصد إشعال البخور ذي الرائحة الطيبة.

وهكذا كلُّ شيء يقلِّدُ الناس فيه أسلافهم، ويُحكِّمون العادات المستمرة.

وبهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية بقي المشركُ من الجاهلية علىٰ شركه، واليهوديُّ علىٰ يهوديته، والنصرانيُّ علىٰ نصرانيته، والمبتدعُ علىٰ بدعته، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وتبدلت الأمةُ بكثيرٍ من المسائل الشرعية غيرَها، وأَلِفوا ذلك، ومَرَنَتْ عليه نفوسُهم، وقَبِلَتْه قلوبُهم، وأَنِسوا إليه، حتىٰ لو أراد من يتصدىٰ للإرشاد أن يحملَهم علىٰ المسائل الشرعية البيضاءِ النقية التي تبدلَّوا بها غيرها= لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طبائعهم، ونالوا ذلك المرشدَ بكل مكروه، ومزَّقوا عِرضَه بكل لسان، وهذا كثيرٌ موجودٌ في كل فرقةٍ من الفرق؛ لا ينكره إلا من هو متهَمٌ في عقله.

وانظر ـ إن كنتَ ممن يعتبرُ ـ ما ابتُلِيَتْ به هذه الأمةُ من التقليد للأموات في دين اللَّه، حتىٰ صارت كلُّ طائفةٍ تعملُ في جميع مسائل الدين بقولِ عالمٍ من علماء المسلمين، ولا تقبلُ قول غيره، ولا ترضىٰ به، وليتَها وقفت عند عدم القبول والرضا، لكنها تجاوزت ذلك إلىٰ الحطِّ علىٰ سائر علماء المسلمين، والوضع من شأنهم، وتضليلهم، وتبديعهم، والتنفير عنهم، ثم تجاوزوا[1] ذلك إلىٰ التفسيق والتكفير، ثم زاد الشرُّ حتىٰ صار أهلُ كل مذهب كأهل ملةٍ مستقلة، لهم نبيٌّ مستقل، وهو ذلك العالم الذي قلدوه، فليس الشرع إلا ما قال به دون غيره، وبالغوا وغلَوا؛ فجعلوا قوله مقدمًا علىٰ

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «تجاوزا».

قول اللَّه ورسوله. وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيءٌ من الفتن والمِحَن؟!

فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلِّدون علىٰ ظهر البسيطة قد ملؤوا الأقطار الإسلامية؛ فاعمِدْ إلىٰ أهل كل مذهب، وانظر إلىٰ مسألةٍ من مسائل مذهبهم هل هي مخالِفةٌ لكتاب اللَّه، أو لسنة رسول اللَّه، ثم أرشِدْهم إلىٰ الرجوع عنها إلىٰ ما قاله اللَّه أو رسوله، وانظر بماذا يجيبونك؛ فما أظنك تنجو من شرهم، ولا تأمنُ من معرَّتهم، وقد يستحلُّون بذلك دمك ومالك، وأورعُهم [مَن] يستحلُّ عرضك وعقوبتك، وهذا يكفيك إن كان لك فطرةٌ سليمة، وفكرة مستقيمة.

ثم انظر كيف خَصُّوا بعضَ علماء المسلمين، واقتدَوْا بهم في مسائل الدين، ورفضُوا الباقين، بل جاوزوا هذا إلىٰ أن الإجماع ينعقد بأربعةٍ من علماء هذه الأمة[1]، وأن الحجة قائمة بهم، مع أن في عصرِ كلِّ واحدٍ منهم من هو أكثرُ علمًا منه ـ فضلًا عن العصر المتقدم علىٰ عصره، والعصرِ المتأخر عن عصره ـ، وهذا يعرفه كلُّ من يعرف أحوال الناس. ثم تجاوزوا ذلك إلىٰ أنه لا اجتهاد لغيرهم؛ بل هو مقصورٌ عليهم! فكأن هذه الشريعةَ كانت لهم لا حظ لغيرهم فيها، ولم يتفضلِ اللَّهُ علىٰ عباده بما تفضل عليهم!

وكل عاقل يعلم أن هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

ـ إن كانت باعتبار كثرةِ علمهم، وزيادتِه علىٰ علم غيرهم، فهذا مدفوعٌ عند كل من له اطلاعٌ علىٰ أحوالهم وأحوالِ غيرهم؛ فإن

(١) يقصد أئمة المذاهب الأربعة رضي الله عنهم.

في أتباع كل واحد منهم مَن هو أعلمُ منه؛ لا ينكر هذا إلا مكابرٌ أو جاهل، فكيف بمن لم يكن من أتباعهم من المعاصرين لهم، والمتقدمين عليهم، والمتأخرين عنهم؟!

- وإن كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالأمر كما تقدم، فإنَّ في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم مَن هو أكثر عبادةً وورعًا منهم، لا ينكر هذا إلا من لا يعرف تراجم الناس وكُتب التواريخ.

- وإن كانت تلك المزايا بتقدُّم عصورهم، فالصحابة والتابعون أقدم منهم عصرًا بلا خلاف، وهم أحقُّ بهذه المزايا ممن بعدهم؛ لحديث: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1].

- وإن كانت تلك المزايا لأمرٍ عقليٍّ فما هو؟ أو لأمرٍ شرعيٍّ فأين هو؟

ولا ننكر أن اللَّه قد جعلهم بمحلٍّ من العلم والورع وصلابةِ الدين، وأنهم من أهل السَّبق في كل الفضائل والفواضل، ولكنَّ الشأن في المتعصِّب لهم من أتباعهم، القائل: «إنه لا يجوز تقليد غيرهم، ولا يُعتدُّ بخلافه إن خالف، ولا يجوز لأحدٍ من علماء المسلمين أن يخرج عن تقليدهم وإن كان عارفًا بكتاب اللَّه وسنة رسوله، قادرًا علىٰ العمل بما فيهما، متمكنًا من استخراج المسائل الشرعية منهما»!

فلم يكن مقصودنا إلا التعجيبُ لمن كان له عقلٌ صحيح وفكرٌ رجيح، وتهوينُ الأمر عليه فيما نحن بصدده من الكلام علىٰ ما يفعله

(١) صحيح: وقد تقدم.

المعتقِدون للأموات، وأنه لا يَغترُّ العاقلُ بالكثرة وطول المهلة مع الغفلة؛ فإن ذلك لو كان دليلًا علىٰ الحق لكان ما زعمه المقلِّدون المذكورون حقًّا، ولكان ما يفعله المعتقدون للأموات حقًّا.

وهذا عارضٌ من القول أوردناه للتمثيل، ولم يكن من مقصودنا والذي نحن بصدده: هو أنه إذا خَفِي علىٰ بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقِدين للأموات لسببٍ من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها، ولم يتعقَّل ما سقناه من الحُجج البرهانية القرآنية والعقلية= فينبغي أن تسأله: ما هو الشرك؟ فإن قال: هو أن تتخذ مع اللَّه إلٰهًا آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنامَ آلهةً مع اللَّه سبحانه، فقل له: وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتىٰ صاروا مشركين؟ فإن قال: كانوا يعظِّمونها ويقربون لها، ويستغيثون بها، وينادونها عند الحاجات، وينحرُون لها النحائر، ونحو ذلك من الأفعال الداخلة في مسمىٰ «العبادة»؛ فقل له: لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك؟ فإن قال: لكونها الخالقة أو الرازقة أو المحيية أو المميتة= فاقرأ عليه ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرُّون بأن اللَّه [هو] الخالقُ الرازق المحيي المميت، وأنهم إنما عبدوها لتقرِّبهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ، وقالوا: هم شفعاؤهم عند اللَّه، ولم يعبدوها لغير ذلك؛ فإنه سيوافقك ولا محالة ـ إن كان يعتقد أن كلام اللَّه حق ـ، وبعد أن يوافقك أوضِحْ له أن المعتقِدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال ـ أو بعضها ـ علىٰ الصفة التي قررناها وكررناها في هذه الرسالة؛ فإنه إن بقي فيه بقيةٌ من إنصاف، وبارقةٌ من علم، وحصةٌ من عقل= فهو لا محالة يوافقك، وتنجلي عنه الغَمْرة، وتنقشع عن قلبه سحائبُ الغفلة، ويعترف بأنه

كان في حجابٍ عن معنىٰ التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب.

فإن زاغ عن الحق، وكابَرَ وجادل، فإن جاءك في مكابرته ومجادلته بشيءٍ من الشبهة فادفعْه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق، فإنَّا لم نَدَعْ شبهةً يمكن أن يدَّعيَها مدعٍ إلا وقد أوضَحْنا أمرها.

وإن لم يأتِ بشيءٍ في جداله؛ بل اقتصر علىٰ مجرد الخصام والدفع المجرد لما أوردتَه عليه من الكلام= فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن، إلىٰ محجة السيف والسِّنان، فآخِرُ الدواء الكي؛ هذا إذا لم يكن دفعُه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير؛ فإن أمكن وجب تقديمُ الأخف علىٰ الأغلظ؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه]، وبقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

[شبهةٌ أخرى]:

ومن جملة الشبه التي عَرَضت لبعض أهل العلم: ما جزم به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لأبياته التي يقول في أولها[1]:

رجعتُ عن النَّظْم الذي قلتُ في النَّجْدي

.

(١) اعلم أن هذه القصيدة ليست من نظم الأمير محمد بن إسماعيل؛ لأنها تخالف ما ذكره في كتبه الدالة علىٰ حسن اعتقاده مثل «تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد»، وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان هذه المنظومة بكتابه المعروف «تبرئة الشيخين» وهو مطبوع. اهـ. مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (١/٣٦٣).

▫ فإنه قال: «إنَّ كفر هؤلاء المعتقِدين للأموات هو من الكفر العملي، لا الكفرِ الجحودي».

ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وكفر تارك الحج في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، وكفر من لم يحكم بما أنزل اللَّه كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ونحو ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنىٰ، ومن سرق، ومن أتىٰ امرأةً حائضًا، أو امرأةً في دبرها، أو أتىٰ كاهنًا، أو عرافًا، أو قال لأخيه: يا كافر[1].

▫ قال: «فهذه الأنواع من الكفر ـ وإن أطلقها الشارع علىٰ فاعل هذه الكبائر ـ؛ فإنه لا يَخرجُ به العبدُ عن الإيمان، ويفارق به الملة، ويُباح به دمُه ومالُه وأهلُه؛ كما ظنه من لم يفرِّق بين الكفرين، ولم يميز بين الأمرين».

وذَكَر ما عقده البخاري في «صحيحه» من كتاب «الإيمان» في: «كفر دون كفر».

▫ وما قاله العلامة ابن القيم: «إن الحكم بغير ما أنزل اللَّه، وترك الصلاة من الكفر العملي، تحقيقه: أن الكفر كفرُ عمل، وكفرُ جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما عَلِم أن الرسول جاء به من عند اللَّه جحودًا وعنادًا؛ فهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فهو نوعان: نوع يضاد الإيمان، ونوع لا يضاده».

(١) يقصد الأحاديث التي ورد فيها أن من فعل شيئًا من هذه الخصال فقد كفر، وهي مشهورةٌ معلومة.

ثم نقل عن ابن القيم كلامًا في هذا المعنىٰ.

▫ ثم قال السيد المذكور: «قلت: ومن هذا ـ يعني الكفر العملي ـ من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبِّل جدرانها، وينذرُ لها بشيءٍ من ماله؛ فإنه كفرٌ عملي لا اعتقادي؛ فإنه مؤمنٌ باللَّه وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، لكن زيَّن له الشيطانُ أن هؤلاء عِبادُ اللَّه الصالحون، ينفعون، ويشفعون ويضرون، فاعتقدوا ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، لكن هؤلاء مُثبِتون التوحيد للَّه؛ لا يجعلون الأولياء آلهةً؛ كما قاله الكفار إنكارًا علىٰ رسول اللَّه ﷺ لما دعاهم إلىٰ كلمة التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، فهؤلاء جعلوا للَّه شركاءَ حقيقةً، وقالوا في التلبية: «لبيك لا شريك لك، إلا شريك[1] هو لك، تملكه وما ملك»[2]؛ فأثبتوا للأصنام شِركةً مع رب الأنام، وإن كانت عباراتُهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له؛ لأنه إذا كان يملكه وما مَلَك؛ فليس بشريكٍ له تعالىٰ، بل مملوك، فعُبَّاد الأصنام جعلوا للَّه أندادًا، واتخذوا من دونه شركاء ـ وتارةً يقولون: شفعاء ـ يقربونهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ، بخلاف جَهَلةِ المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفعَ والضر؛ فإنهم مقرُّون للَّه بالوحدانية، وإفرادِه بالإلٰهيَّة، وصدَّقوا رسله، فالذي أتَوْه من تعظيم الأولياء كفرُ عملٍ لا اعتقاد. فالواجب هو وَعْظُهم، وتعريفُهم جهلَهم، وزجرهم ـ ولو بالتعزير ـ؛ كما أُمِرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي».

(١) وفي ضبطٍ آخر: «شريكًا».

(٢) راجع المعنىٰ في (٢/١٥٨).

□ إلىٰ أن قال: «فهذه كلها قبائحُ محرمةٌ من أعمال الجاهلية، فهو من الكفر العملي. وقد ثبت أن هذه الأمةَ تفعل أمورًا من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي؛ كحديث: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ في الأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة**». أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي مالك الأشعري[(١)].

فهذه من الكفر العملي، لا تَخرج بها الأُمةُ عن الملة؛ بل هم ـ مع إتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية ـ أضافهم إلىٰ نفسه؛ فقال: «**من أمتي**».

فإن قلت: الجاهلية تقول في أصنامها: إنهم يقربونهم إلىٰ اللَّه زلفىٰ ـ كما يقوله القبوريون ـ، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه ـ كما يقوله القبوريون أيضًا ـ!

قلت: لا سواء[(٢)]؛ فإن القبوريين مُثبتون لتوحيد اللَّه، قائلون إنه لا إلٰه إلا هو، ولو ضربت عنقه علىٰ أن يقول: إن الولي إلٰه مع اللَّه لما قالها، بل عنده اعتقادُ جَهلٍ أن الوليَّ لمَّا أطاع اللَّه كان له بطاعته عنده تعالىٰ جاهٌ به تُقبل شفاعته، ويرجىٰ نفعه، لا أنه إلٰه مع اللَّه، بخلاف الوثني؛ فإنه امتنع عن قول: «لا إلٰه إلا اللَّه» حتىٰ ضُربت عنقه؛ زاعمًا أن وثنه إلٰهٌ مع اللَّه، ويسميه: ربًّا وإلٰهًا.

قال يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف]؛ سماهم «أربابًا» لأنهم كانوا يسمونهم بذلك[(٣)]، كما قال

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) كذا في النسخة المخرَّجة، وفي «الفتح الرباني»: «سوىٰ».

(٣) يقصد أن تسمية يوسف عليه السلام آلهة الكفار «أربابًا» ليس إقرارًا منه =

الخليل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، في الثلاث الآيات مستفهمًا لهم، مبكِّتًا متكلمًا علىٰ خطابهم، حيث يسمُّون الكواكب: أربابًا. وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، وقال قوم إبراهيم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء]. وقال إبراهيم: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات].

ومن هنا تعلم أن الكفار غيرُ مقرين بتوحيد الإلٰهيَّة[1] كما توهَّمه من توهم من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

فهذا إقرارٌ بتوحيد الخالِقية والرازقية ونحوهما؛ لا أنه إقرارٌ بتوحيد الإلٰهيَّة، لأنهم يجعلون أوثانهم أربابًا ـ كما عرفت ـ.

فهذا الكفر الجاهلي كفرُ اعتقاد، ومِن لازِمِه كفرُ العمل؛ بخلاف من اعتقد في الأولياء النفعَ والضرَّ مع توحيد اللَّه، والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر؛ فإنه كفر عمل، فهذا تحقيقٌ بالغ، وإيضاحٌ لما هو الحق من غير إفراط ولا تفريط». انتهىٰ كلام السيد المذكور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأقول: هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيقٍ بالغ؛ بل كلامٌ متناقضٌ متدافع، وبيانه:

= بكونهم أربابًا علىٰ الحقيقة؛ وإنما تبعًا لاعتقادهم هم أنهم أرباب.

(١) بعدها في النسختين: «والربوبية»، والظاهر أنه سبق قلم من صاحب الكلام أو الناسخ؛ لأنه سيصرح قريبًا أنهم اعترفوا بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما ـ وهو توحيد الربوبية ـ. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

أنه لا شك أن الكفر ينقسم إلىٰ كفر اعتقاد، وكفر عمل، لكنَّ دعوىٰ أن ما يفعله المعتقِدون في الأموات من كفر العمل= في غاية الفساد؛ فإنه قد ذَكر في هذا البحث أن كفر مَن اعتقد في الأولياء كفرٌ عملي، وهذا عجيب! كيف يقول: كفر من «يعتقد» في الأولياء، وسمىٰ ذلك «اعتقادًا»، ثم يقول: إنه من الكفر العملي؟! وهل هذا إلا التناقض البحت[١]، والتدافع الخالص؟!

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبِّل جدرانها[٢]، وينذر لها بشيء من ماله= هو كفر عملي!

فليت شعري ما هو الحاملُ له علىٰ الدعاء والاستغاثة، وتقبيل الجدران[٣]، ونذر النذورات! هل هو مجردُ اللعب والعبث من دون اعتقاد؟! فهذا لا يفعله إلا مجنون، أم الباعثُ عليه الاعتقادُ في الميت؟! فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فِعلٌ من تلك الأفعال؟!

ثم انظر كيف اعترف ـ بعد أنْ حَكَم علىٰ هذا الكفر بأنه كفرُ عمل، لا كفرُ اعتقاد ـ بقوله: «لكنْ زيَّن له الشيطان أن هؤلاء عبادُ اللَّه الصالحون، ينفعون، ويشفعون، ويضرون! فاعتقد ذلك جهلًا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام».

فتأمل كيف حكم بأن هذا كفرُ اعتقاد ككفر أهل الجاهلية،

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «البحثُ» ـ كذا مشكولة ـ!

(٢) كذا في المخرَّجة، وفي «الفتح الرباني»: «جدراتها» ـ بالتاء ـ.

(٣) في «الفتح الرباني»: «الجدرات» ـ بالتاء ـ.

وأثبت الاعتقاد، واعتذر عنهم بأنه اعتقادُ جهل! وليت شعري أي فائدةٍ لكونه اعتقادَ جهل! فإن طوائفَ الكفر بأسرها وأهلَ الشرك قاطبةً إنما حَمَلهم علىٰ الكفر ودفع الحق والبقاء علىٰ الباطل الاعتقادُ جهلًا. وهل يقول قائل: إن اعتقادهم اعتقادُ علمٍ حتىٰ يكون اعتقادُ الجهل عذرًا لإخوانهم المعتقِدين في الأموات؟!

ثم تمم الاعتذار بقوله: لكنَّ هؤلاء مثبتون للتوحيد... إلىٰ آخر ما ذكره.

ولا يخفاك أن هذا عذرٌ باطل:

- فإن إثباتَهم للتوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارىٰ والمشركون والمنافقون.

- وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهلُ الأصنام في أصنامهم.

ثم كرر هذا المعنىٰ في كلامه، وجعله السببَ في رفع السيف عنهم، وهو باطلٌ؛ فما ترتب عليه مثله باطل، فلا نطوِّل بردِّه؛ بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلىٰ حدٍّ في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسَّهم الضرُّ دعَوُا اللَّه وحده، وإنما يدْعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور؛ كما حكىٰ اللَّه عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ

يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، بخلاف المعتقِدين في الأموات؛ فإنها إذا دَهَمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقلَّ من يستغيث باللَّه سبحانه في تلك الحال، وهذا يعلمُه كلُّ من له بحثٌ عن أحوالهم.

ولقد أخبرني بعضُ من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا، فسمع مَن في السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات، ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون اللَّه قط. قال: ولقد خشيتُ في تلك الحالة الغرقَ لما شاهدتُه من الشرك باللَّه[١].

وقد سمعنا عن جماعةٍ من أهل البادية أن كثيرًا منهم إذا حدث له ولدٌ جعل قسطًا من ماله لبعض الأموات المعتقَدين، ويقول: إنه قد اشترىٰ ولدَه ذلك من الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتىٰ يبلغ سنَّ الاستقلال دفع ذلك الجُعلَ لمن يعكُف[٢] علىٰ قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال.

(١) ومن أمثالهم في عصرنا: ضُلَّال الروافض؛ تراهم في أوقات الشدة ينادون الحسين وفاطمة وآل البيت، وينسون رب العالمين ﷻ، عياذًا باللَّه من الخذلان.

(٢) في «الفتح الرباني» والنسخة المخرَّجة: «يعتكف»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، فالجادة أن لفظ «الاعتكاف» يعدَّىٰ بـ«في»، فيقال: «اعتكف في المسجد»، بينما لفظ «العكوف» يعدَّىٰ بـ«علىٰ» أو «اللام» كما ورد به الكتاب العزيز في قوله ﷻ: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء]، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

وبالجملة: فالسيد المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ قد جرد النظر في بحثه السابق إلىٰ الإقرار بالتوحيد الظاهري، واعتبر مجردَ التكلم بكلمة التوحيد فقط ـ من دون نظر إلىٰ ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد، ويخالفه في اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات ـ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه، ولا الاشتغال به، فاللَّه سبحانه إنما ينظر إلىٰ القلوب، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلىٰ مجرد الألفاظ، وإلا لَمَا كان فرقٌ بين المؤمن والمنافق.

وأما ما نقله السيدُ المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلىٰ عملي واعتقادي، فهو كلام صحيح، وعليه جمهور المحققين، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره: إن الاعتقاد في الأموات علىٰ الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي. وسننقل هاهنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقِدون في الأموات من الشرك الأكبر كما نقل عنه السيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه السابق، ثم نُتبِعُ ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم؛ فإن السائل[1] ـ كثر اللَّه فوائده ـ قد طلب ذلك في سؤاله؛ فنقول:

[كلام الإمام ابن القيم حول شرك القبور]:

▫ قال ابن القيم في «شرح المنازل» في «باب التوبة»: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر:

فالأكبر: لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة منه، وهو أن يَتخذ من دون اللَّه ندًّا يحبُّه كما يحب اللَّه؛ بل[2] أكثرهم يحبُّون آلهتهم أعظم

(١) يعني الشيخ محمد مشحم صاحب السؤال المطول مطلعَ هذه الرسالة.
(٢) سقطت «بل» من «الفتح الرباني»، وهي ثابتةٌ في «المدارج».

من محبة اللَّه، ويغضبون لمنتقِصِ معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتَقص أحدٌ ربَّ العالمين، وقد شاهدنا هذا ـ نحن وغيرنا ـ منهم جهرةً، وترىٰ أحدهم قد اتخذ ذِكرَ معبوده علىٰ لسانه إن قام وإن قعد وإن عَثَر، وهو لا ينكِرُ ذلك، ويزعم أنه بابُ حاجته إلىٰ اللَّه، وشفيعه عنده. وهكذا كان عُبَّادُ الأصنام سواءً، وهذا القدْرُ هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتُهم من الحجر[١]، وغيرهم اتخذها من البشر.

قال اللَّه ـ حاكيًا عن أسلاف هؤلاء ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر].

وهكذا حالُ مَن اتخذ من دون اللَّه وليًّا يزعم أنه يقرِّبُه إلىٰ اللَّه تعالىٰ. وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين أن آلهتهم تشفعُ لهم عند اللَّه، وهذا عينُ الشرك، وقد أنكر اللَّه ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلَّها له».

ثم ذَكَر[٢] الآية التي بسورة «سبأ»، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، وتكلم عليها.

▫ ثم قال: «والقرآنُ مملوءٌ من أمثالها، ولكنَّ أكثر الناس لا

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «الحجزِ» ـ هكذا مشكولة الآخر ـ!

(٢) يعني الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يشعرون بدخول الواقع تحته، ويظنه في قومٍ قد خَلَوا ولم يُعقِبُوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن؛ كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تُنقض عرىٰ الإسلام عروةً عروةً[1] إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية». وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآنُ وذَمَّه، وقع فيه وأقرَّه، ودعا إليه، وصوَّبه وحسَّنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه، فتُنقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنةً، والسنة بدعةً، ويُكفَّرُ الرجل بمحضِ الإيمان وتجريدِ التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ، ومفارقةِ الأهواء والبدع، ومن له بصيرةٌ وقلبٌ حيٌّ سليم يرىٰ ذلك عيانًا. واللَّه المستعان».

▫ ثم قال في ذلك الكتاب: «**وأما الشرك الأصغر**: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير اللَّه، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير اللَّه فقد أشرك باللَّه**»[2]، وقول الرجل للرجل: «ما شاء اللَّه وشئت، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك، وما لي إلا اللَّه وأنت، وأنا متوكل علىٰ اللَّه وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا». وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده».

▫ ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذلك الكتاب ـ بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والأصغر، والتعريف لهما ـ: «ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، ومن أنواعه التوبة للشيخ؛ فإنها شرك

(١) سقطت كلمة «عروة» الثانية من «الفتح الرباني».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

عظيم[(١)].

ومن أنواعه: النذر لغير اللَّه، والتوكل علىٰ غير اللَّه، والعمل لغير اللَّه، والإنابة والخضوع والذل لغير اللَّه، وابتغاء الرزق من عند غير اللَّه، وإضافة نِعَمِه إلىٰ غيره.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصلُ شرك العالَم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ـ فضلًا عمن استغاث به، أو سأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلىٰ اللَّه فيها ـ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإن اللَّه تعالىٰ لا يَشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، واللَّه لم يجعل استعانته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمالُ التوحيد، فجاء هذا المشركُ بسببٍ يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنعُ حصولها، وهذا حال كل

(١) وللمتصوفة آداب ـ زعموا ـ، وهي من أعظم ألوان الضلال، والتعلُّقِ بغير الكبير المتعال، ومنها:

١ ـ أن يستحضرَ شخصَ شيخه في قلبه أثناء الذِّكر، ويجعله بين عينيه قبل الذِّكر؛ فإن شيخه هو باب الدخول علىٰ اللَّه، ومنه يستمد الهِمَّة، ويكون الشيخ عنده كالقبلة؛ فبذلك يُمَدُّ له نورٌ من قبر الشيخ.

٢ ـ مراقبة الشيخ دائمًا في كل الشؤون، وهذا شركٌ باللَّه؛ لأن فيه رفعَ الشيخ إلىٰ مرتبة الربوبية والألوهية.

٣ ـ عدم الاعتراض علىٰ الشيخ، وعدم الإنكار عليه؛ حتىٰ ولو رأىٰ المريدُ شيخه يفعل شيئًا محرمًا! وهذه دعوىٰ لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ لا يلتجئ لغير شيخه، ولو كان من أصلح الصالحين.

مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (٣٧١/١)، ببعض التصرف.

مشرك. والميت محتاجٌ إلىٰ من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل اللَّه لهم العافية والمغفرة[١]، فعكس المشركون هذا، وزاروهم[٢] زيارة العبادة في قضاء الحوائج والاستعانة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تُعبد، وسمَّوا قَصْدَها: «حجًّا»، واتخذوا عندها الوَقْفة[٣]، وحَلْقَ الرؤوس، فجمعوا[٤] بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداةِ أهل التوحيد، ونسبتهم إلىٰ التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءَه[٥] الموحدين المخلصين له ـ الذين لم يشركوا به شيئًا ـ بذمهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أَمروهم به.

وهؤلاء أعداءُ الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثرَ المستجيبين لهم! وللَّه درُّ خليله إبراهيم حيث يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم]. وما نجا من شَرَكِ[٦] هذا الشِّرك الأكبر إلا من جرَّد توحيده للَّه، وعادىٰ

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وزارهم»، والتصويب من «مدارج السالكين».

(٣) كل هذا تشبُّهًا بالحج الشرعي ـ عياذًا بالرَّحمٰن ـ.

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «فجعلوا»، وفي النسخة المخرَّجة إلىٰ: «فجموا». والتصويب من «المدارج».

(٥) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «وأولياء»، بينما في المخرجة: «وأولياؤه»، وهو لحن ـ أيضًا ـ، والمثبت من «المدارج» (١/٣٤٥).

(٦) **الشَّرَك** ـ بفتح الشين والراء ـ: الفخُّ والمصيدة.

المشركين في اللَّه، وتقرَّب بمقتهم إلىٰ اللَّه» انتهىٰ كلام ابن القيم.

فانظر كيف صرَّح بأن ما يفعله هؤلاء المعتقِدون في الأموات هو شركٌ أكبر؛ بل أصلُ شِركِ العالَم! وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

▫ وقال شيخ الإسلام تقي الدين في «الإقناع»: «إن من دعا ميتًا ـ وإن كان من الخلفاء الراشدين ـ فهو كافر، وإن من شك في كفره فهو كافر».

▫ وقال أبو الوفاء ابن عقيل في «الفنون»: «لما صعبت التكاليفُ علىٰ الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ تعظيم أوضاعٍ وَضَعوها، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفارٌ بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتىٰ بالحوائج، وكَتْبِ الرقاع فيها: «يا مولاي، افعل لي كذا وكذا»، وإلقاء الخِرَق علىٰ الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزىٰ» انتهىٰ.

▫ وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» في إنكار تعظيم القبور: «وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلىٰ أنْ صنَّف بعضُ غُلاتهم كتابًا سماه: «مَناسك المَشَاهد»! ولا يخفىٰ أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عبادة الأصنام» انتهىٰ.

وهذا الذي أشار إليه هو ابن المفيد.

▫ وقال في «النهر الفائق»: «اعلم أن الشيخ قاسمًا[١] قال في «شرح درر البحار»: إن النذر الذي يقع من أكثر العوام؛ بأن يأتي إلىٰ قبر بعض الصلحاء قائلًا: «يا سيدي فلان، إن رُدَّ غائبي، أو عُوفي مريضي فلك من الذهب، أو الفضة، أو الشمع، أو الزيت كذا»= باطلٌ إجماعًا لوجوه...».

▫ إلىٰ أن قال: «ومنها ظنُّ أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقادُ هذا كفرٌ» انتهىٰ. وهذا القائل هو من أئمة الحنفية.

وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع علىٰ بطلان النذر المذكور، وأنه كفرٌ عنده مع ذلك الاعتقاد.

▫ وقال صاحب «الروض»: «إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كَفَر» انتهىٰ. وهذا القائل من الشافعية.

وإذا كان الذبحُ لسيد الرسل ﷺ كفرًا عنده، فكيف بالذبح لسائر الأموات؟!

▫ وقال ابن حجر في «شرح الأربعين» له: «من دعا غير اللَّه فهو كافر» انتهىٰ.

▫ وقال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرسالة السَّنية»: «إن كل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلٰهيَّة مثل أن يقول: «يا سيدي فلان أغثني، أو انصرني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك»، ونحو هذه الأقوال= فكل هذا شركٌ وضلالٌ يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن اللَّه إنما أرسل

(١) في المطبوعات، و«النهر الفائق»: «قاسم»، والجادة ما أثبتُّه. وما في المطبوعات له وجهٌ في العربية.

الرسل، وأنزل الكتب ليُعبد وحده[١]؛ لا يُجعل معه إلٰهٌ آخر، والذين يدْعون مع اللَّه آلهةً أخرىٰ ـ مثل المسيح والملائكة والأصنام ـ لم يكونوا يعتقدون أنها تَخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ فبعث اللَّه رسله تنهىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من دونه ـ لا دعاءَ عبادة، ولا دعاء استغاثة ـ.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء] الآية.

قالت طائفة من السلف: كان أقوامٌ يَدْعُون المسيح وعُزيرًا والملائكة».

□ ثم قال في ذلك الكتاب: «وعبادة اللَّه وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسل، وأنزل اللَّه به الكتب؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وكان ﷺ يحقِّق التوحيد، ويعلِّمُه أمته:

حتىٰ قال رجل: ما شاء اللَّه وشئت. قال: «**أجعلتني للَّه نِدًّا؟ قل: ما شاء اللَّه وحده**»[٢].

(١) في «الفتح الرباني»: «ليعبده وحده».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

ونهىٰ عن الحلف بغير اللَّه، وقال: «**من حلف بغير اللَّه فقد أشرك**»[١].

وقال ﷺ في مرض موته: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يُحذر ما فعلوا[٢].

وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ حيثُما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**»[٤].

ولهذا اتفق أئمةُ الإسلام علىٰ أنه من سلَّم علىٰ النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمرَّغُ بحجرته، ولا يُقبِّلها؛ لأنه[٥] إنما يكون لأركان بيت اللَّه، فلا يشبَّهُ بيتُ المخلوق ببيت الخالق[٦].

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) يعني التقبيل.

(٦) هاهو عَلَمُ الإسلام في زمانه يبين أن الاتفاق وقع علىٰ بدعية تقبيل الحجرة النبوية! والآن سمعنا من بعض صوفية زماننا في مصر ـ ممن اشتُهروا بتفسير القرآن العظيم في القرن الماضي ـ، لما ذهب للعمرة وجدوه يقبِّل «الحديد المحيط بالحجرة النبوية الشريفة»، فلما زجره الحارس هناك، وقال له: إن هذا بدعة، رد عليه الصوفيُّ قائلًا: «يا بني، هوِّن عليك. أسألُك سؤالًا: لو كان النبي ﷺ حيًّا، وأردتَ أن تُقبِّلَ رأسه، وكان ﷺ مرتديًا عمامةً، فإذا وقعت القبلة علىٰ العمامة، فهل معنىٰ هذا أنك لم تقبِّل رأسه؟ فقال له: لا بل أكون قبلتُ رأسه. فقال له هذا الصوفي: فهكذا أنا لما أقبِّل هذا الحديد فكأني قبَّلتُ رأس =

= النبي ﷺ»! ولما سمع مبتدعة مصر هذا الكلام ضجُّوا إعجابًا، وتعالت صيحات الاستحسان: «اللَّه اللَّه يا مولانا»!!

ولا ريب أن مثل هذا الكلام يدلُّ علىٰ جهلٍ فاضحٍ بالعلم والعقل معًا، والجواب عنه كالآتي ـ حتىٰ لا ينخدع طالب الحق ـ:

أولًا: رأينا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا نقل الإجماع علىٰ عدم جواز مثل هذا الأمر، وقد تقرر أن مخالفة الإجماع ضلالٌ مبين، وحيادٌ عن سبيل المؤمنين.

ثانيًا: نقل غير واحدٍ من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بدعية هذا الفعل غير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعضهم أشار إلىٰ الكراهة، وينبغي أن تكون كراهة تحريمية ـ لا تنزيهية ـ؛ لما عُلم من عدم ورود مثل هذا عن أسلافنا الصالحين رضي الله عنهم. وما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكونُ اليوم دينًا.

■ يقول الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإحياء» (٢٧١/١): «المسُّ والتقبيل للمَشاهد عادةُ اليهود والنصارىٰ» اهـ. وكفىٰ بهذا خزيًا.

■ ويقول العلامة ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عن بدع زيارته ﷺ ـ: «ترىٰ من لا علم عنده يطوفُ بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويقبِّله، ويُلقُون عليه مناديلهم وثيابهم؛ يقصدون به التبرك! وذلك كلُّه من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما كان سببَ عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب» اهـ «المدخل» (٢٦٣/١).

ثالثًا: ورد عن أنس رضي الله عنه أنه رأىٰ رجلًا وضع يده علىٰ القبر الشريف، فنهاه، وقال له: «ما كنَّا نعرفُ هذا». ونقل السمهودي في «وفاء الوفاء» (١٤٠٢/٤) عن مالكٍ وأحمد رضي الله عنهما أنهما أنكرا وضع اليد علىٰ القبر الشريف أشد الإنكار. فما بالُنا بالتقبيل؟!

رابعًا: قياس ذلكم الصوفي المصري تقبيلَ حديد الحجرة النبوية علىٰ تقبيل العمامة= قياس فاسد لا يقول به عالمٌ ولا عاقل؛ لأن العمامة =

كلُّ هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه؛ الذي لا

= تكون متصلةً برأس من نقبِّله، فلها حكم رأسه، وليس من الأدب ولا من العرف إذا أردنا تقبيله أن نرفع العمامة لنقبل الرأس نفسها.

خامسًا: هذا القياس الفاسد مقابَلٌ بالإجماع «العملي» و«التَّرْكي» من الصحابة الأبرار ومن بعدهم من علماء السلف الأخيار ﷺ علىٰ عدم مشروعية هذا الفعل مع قبره الشريف ﷺ، وكلُّ قياس في مقابلة الدلائل الشرعية الصحيحة فهو قياس فاسد، وهو المقصود من القياس الذي شنَّع عليه السلف كثيرًا، وحذَّروا منه طويلًا.

سادسًا: هذه الأمور تؤخذ من الأحكام الشرعية، وليس من نظرات العقول والأهواء، وما خربت الدنيا إلا بتقديم العقل علىٰ النقل، والهوىٰ علىٰ الوحي.

سابعًا: بدايات الشرك كانت بمجرد تعظيم القبور في القلوب ـ مثلما حدث مع الصالحين من قوم نوح كما تقدم غير مرة ـ، وهذا كما أقول بمجرد التعظيم بالقلوب، ولم يكونوا يتمسحون بقبورهم ولا يقبلونها ولا غير ذلك، فما بالنا مع وجود تلك الأفعال، وقد صار بعض الناس الآن ـ بلا شك ـ يعتقدون أن هذا «الحديد» حول الحجرة الشريفة حديدٌ مبارك، وأن التمسح به مما يُحبُّه اللَّه ﷻ ويرضاه ويثيب عليه، ولو استطاعوا خلع الحديد للتبرك به لفعلوا، ولا شك ـ أيضًا ـ أن بعضهم يعتقد أنه بمجرد مسحه وتقبيله قد يجلب لنفسه المنافع أو يدفع عنها المضار! فلو لم يكن الإجماع ثابتًا علىٰ بدعية التمسح والتقبيل، لكانت قاعدة «سد الذرائع» قاضيةً بمنع مثل تلك البدع المظلمة، خشيةً علىٰ قلوب أهل الإسلام من الوقوع في أوحال الشركيات.

واللَّهُ تعالىٰ يعصمنا وإخواننا المؤمنين من سُبل الردىٰ والمهالك.

تنبيه: بعض النقول عن أهل العلم في هذه الحاشية مستفادة من الطبعة المخرَّجة ص(١٢٤).

يَقبل اللَّه عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]؛ ولهذا كانت كلمةُ التوحيد أفضلَ الكلام(١)، وأعظمه آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥](٢).

وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه «لا إلٰه إلا اللَّه» دخل الجنة**»(٣)، والإلٰه هو الذي يألهُه(٤) القلبُ عبادةً له، واستعانةً(٥)، ورجاءً له،

(١) ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، علِّمني عملًا يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، فقال: «**إذا عملت سيئةً فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها**». قلت: يا رسول اللَّه، «لا إلٰه إلا اللَّه» من الحسنات؟ قال: «**هي أحسن الحسنات**». وفي لفظ: «**أفضل الحسنات**». **حسن**: رواه أحمد (١٦٩/٥)، وفي «الزهد» (١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٣١/٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢١٧/٤)، وفي «تاريخ أصبهان» (١٢٧/١)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٩٨)، وابن بشران في «الأمالي» (٦١٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٢)، وهناد في «الزهد» (٥١٩/٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨٦/١٠): «رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن شِمْرَ بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر، ولم يُسمِّ أحدًا منهم»، وكذا ألمح الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٧٨١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨٥/٣٥)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٦٢).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «يأله».

(٥) في النسختين: «واستغاثةً به»، والمثبت هنا من «مجموع الفتاوىٰ» (٤٠٠/٣).

وخشيةً وإجلالًا[١]» اهـ.

▫ وقال ـ أيضًا ـ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»؛ في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]: «إن الظاهر أنه ما ذُبح لغير اللَّه ـ سواءٌ لُفظ به أو لم يلفظ ـ، وتحريمُ هذا أظهرُ من تحريم ما ذبحه وقال فيه: «باسم المسيح» ونحوه؛ كما أن ما ذبحناه متقربين به إلىٰ اللَّه كان أزكىٰ مما ذبحناه للحم[٢]، وقلنا عليه: «بسم اللَّه»؛ فإن عبادة اللَّه بالصلاة والنسك له أعظمُ من الاستعانة[٣] باسمه في فواتح الأمور، والعبادةُ لغير اللَّه أعظمُ من الاستعانة بغير اللَّه، فلو ذَبح لغير اللَّه متقربًا إليه لحَرُم، وإن قال فيه: «بسم اللَّه»؛ كما قد تفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباحُ ذبيحتُهم بحال، لكن يجتمعُ في الذبيحة مانعان[٤]، ومن هذا ما يُفعل بمكة وغيرها من الذبح».

▫ ثم قال في موضعٍ آخَرَ من هذا الكتاب: «إن العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ماً يفضي إليه ذلك من الشرك. ذكر ذلك الإمام

(١) سقطت الواو من كلمة «وخشية» في «الفتح الرباني».

(٢) أي: ما ذبحناه قُربةً ـ كالضحايا والصدقات ـ أعظم مما ذبحناه لمجرد الاستمتاع بأكل اللحم.

(٣) في النسختين: «الاستغاثة». والمثبت من «اقتضاء الصراط» (٦٥/٢).

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «مانعاتٌ» ـ هكذا مشكولة ـ! والتصحيح من السابق.
والمانع الأول: التقرب لغير اللَّه تعالىٰ.
والمانع الثاني: ردَّة صاحب الذبيحة.

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك، كأبي[١] بكر الأثرم علَّله بهذه العلة»[٢] اهـ. وكلامه في هذا الباب واسع جدًّا، وكذلك كلام غيره من أهل العلم.

وقد تكلم جماعةٌ من أئمة أهل البيت رِضْوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ ومن أتباعهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم نكالًا علىٰ القبوريين وعلىٰ القبور الموضوعة علىٰ غير الصفة الشرعية مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنةً للناس، وسببًا لضلالهم، وأتىٰ علىٰ غالبها، ونهىٰ الناس عن قصدها والعكوف عليها؛ فهدمها، وكان في عصره جماعةٌ من أكابر العلماء أرسلوا إليه برسائل، وكان ذلك هو الحاملَ له علىٰ نُصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين[٣].

وبالجملة: فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق[٤] ما لا يُحتاج معه إلىٰ[٥] الاعتضادِ بقول أحدٍ من أهل العلم[٦]، ولكن ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم، مطابقةً لما طلبه السائل

(١) في «الفتح الرباني»: «وكأبي»، والمثبت من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٣٠٠).

(٢) انظر السابق؛ ففيه بعض الاختلاف.

(٣) وهكذا تَطهُرُ البلاد بعلماء أمناء، وحاكم يقيم حدود رب الأرض والسماء..

(٤) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «سيق» ـ بالياء ـ.

(٥) سقط حرف الجر من «الفتح الرباني».

(٦) نعم؛ لأن دلائل الكتاب والسنة لا تحتاج إلىٰ تأييد أحد.

ـ كثَّر اللَّه فوائده ـ.

وبالجملة: فإخلاص التوحيد هو الأمر[١] الذي بَعث اللَّه لأجله رُسله، وأنزل به كُتبه.

وفي هذا الإجمال ما يُغني عن التفصيل، ولو أراد رجلٌ أن يجمع ما ورد في هذا المعنىٰ من الكتاب والسنة لكان مجلدًا ضخمًا، فانظر فاتحةَ الكتاب التي تكرَّرُ في كل صلاةٍ مراتٍ من كل فردٍ من الأفراد، ويَفتتح بها التالي لكتابِ اللَّه والمتعلمُ له؛ فإن فيها الإرشادَ إلىٰ إخلاص التوحيد في مواضع:

فمن ذلك ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدَّر المتعلَّقُ متأخرًا ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالىٰ، لا باسم غيره[٢]. وفي هذا ما لا يخفىٰ من إخلاص التوحيد.

ومنها في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فإن التعريف يفيد أن الحمد مقصورٌ علىٰ اللَّه، و«اللام» في ﴿لِلَّهِ﴾ تفيد اختصاص الحمدِ به، ومقتضىٰ هذا أنه لا حمد لغيره أصلًا، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم. وقد تقرر أن الحمد هو «الثناء باللسان علىٰ الجميل الاختياريِّ[٣] لقصد التعظيم»، فلا ثناء إلا عليه، ولا جميلَ

(١) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «التوحيد والأمر...».

(٢) كأن يكون التقدير ـ مثلًا ـ: «باسم اللَّه أقرأ، أو أكتب، أو آكل، أو أخرج»، ونحو ذلك.

(٣) المراد بـ«الجميل الاختياري»: الصفات الجميلة التي اختارها المحمود لنفسه؛ كالكرم والرحمة والإحسان ونحو ذلك، فهذه صفاتٌ اختارها الموصوف لنفسه بإرادته، يستحقُّ الحمد عليها، ثم إذا فعلها لك اختيارًا استحق حمدًا آخر منك له، وهذا بخلاف الصفات التي لا اختيار له =

إلا منه، ولا تعظيم إلا له، وفي هذا من إخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد.

ومن ذلك قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ على القراءتين السَّبْعيَّتين؛ فإن كونه المالك ليوم الدين يفيد أنه لا مُلْكَ لغيره؛ فلا ينفذُ إلا تصرُّفه ـ لا تصرُّفُ أحدٍ من خلقه ـ من غير فرقٍ بين نبيٍّ مرسل، ومَلَكٍ مقرَّب، وعبدٍ صالح.

وهكذا معنىٰ كونه ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ فإنه يفيد أن الأمرَ أمرُه، والحكمَ حكمُه ليس لغيره معه أمرٌ ولا حكم، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم أمرٌ ولا حكم ـ وللَّه المثل الأعلىٰ ـ.

وقد فسر اللَّه هذا المعنىٰ الإضافيَّ المذكورَ في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز؛ فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار]، ومن كان يفهم كلام العرب ونُكَتَهُ وأسراره كَفَتْه هذه الآية عن غيرها من الأدلة، واندفعت لديه كلُّ شبهة.

= فيها، كالطول وشدة البنيان والجمال، ونحو ذلك، فهذه لا تستوجب منك أن تحمده عليها.

ولينتبه إلىٰ أن المراد هنا تعريف الحمد بوجهٍ عام، سواءٌ للَّه ﷻ أو لغيره؛ ولكن مع ربِّ العالمين جَلَّ ثَنَاؤُهُ تختلف بعض الأمور ـ كما هو معلومٌ ـ، فليس هناك صفةٌ من صفاته الحسنىٰ إلا وهي مختارةٌ له ﷻ، ولا يمكن أن تكون أيُّ صفةٍ من صفاته خارجةً عن اختياره ﷻ، وكل خير يصل للعباد علىٰ أيدي غيره، فهو في الحقيقة من كرمه وفضله وإحسانه؛ فلا يستحق الحمد كله علىٰ الحقيقه إلا هو ﷻ.

ومن ذلك قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فإنَّ تقدُّمَ الضمير قد صرح أئمة[١] المعاني والبيان وأئمة التفسير أنه يفيد الاختصاص، فالعبادة للَّه سبحانه لا يشاركه فيها غيرُه، ولا يستحقها سواه، وقد عرفت أن الاستغاثة، والدعاء، والتعظيم، والذبح، والتقرب= من أنواع العبادة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فإن تقدم الضمير هاهنا يفيد الاختصاص ـ كما تقدم ـ، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الأمور التي لا يَقدِرُ عليها غيره.

فهذه خمسةُ مواضعَ في فاتحة الكتاب؛ يفيد كلُّ واحدٍ منها إخلاصَ التوحيد، مع أن فاتحة الكتاب ليست إلا سبع آيات، فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز! فذِكرُنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان علىٰ ما ذكرناه من أن في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده، وتتعسر الإحاطة به.

ومما يصلح أن يكون موضعًا سادسًا لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقد تقرر ـ لغةً وشرعًا ـ أن العالَم: كلُّ ما[٢] سوىٰ اللَّه سبحانه.

وصيغ الحصر إذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والأصول بلغت ثلاث عشرة صيغةً فصاعدًا، ومن شك في هذا فليتتبع «كشاف» الزمخشري، فإنه سيجد فيه ما ليس له ذِكرٌ في كتب المعاني والبيان، كالقلب؛ فإنه جعله من مقتضيات الحصر، ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت، وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه. ومع

(١) في النسختين: «صرح به»، ولعل حذف «به» أصح.
(٢) في «الفتح الرباني»: «لمن».

الإحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الأدلةُ الدالةُ علىٰ إخلاص التوحيد، وإبطال الشرك بجميع أقسامه.

[عودةٌ إلى السؤال بجاه وأعمال الصالحين]:

واعلم أن السائل ـ كثَّر اللَّه فوائده ـ ذكر في جملة ما سأل عنه: أنه لو قصد الإنسانُ قبرَ رجلٍ من المسلمين مشهورٍ بالصلاح، ووقف لديه، وأدىٰ الزيارة، وسأل اللَّه بأسمائه الحسنىٰ وبما لهذا الميت لديه من المنزلة= هل تكون هذه البدعةُ عبادةً لهذا الميت، ويصدُقُ عليه أنه قد دعا غير اللَّه، وأنه قد عبد غير الرَّحمٰن، ويُسلب عنه اسم الإيمان؟ ويَصدُقُ علىٰ هذا القبر أنه وثنٌ من الأوثان، ويُحكم برِدَّةِ ذلك الداعي، والتفريق بينه وبين نسائه، واستباحة أمواله، ويعامَل معاملة المرتدين، أو يكون فاعلَ معصيةٍ كبيرة أو مكروه؟

وأقول: قد قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسل بنبيٍّ من الأنبياء، أو وليٍّ من الأولياء، أو عالمٍ من العلماء. وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه، فهذا الذي جاء إلىٰ القبر زائرًا، ودعا اللَّه وحده، وتوسَّلَ بذلك الميت، كأن يقول: «اللهم إني أسألك أن تشفيَني من كذا، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك، أو المجاهدة فيك، أو التعلم والتعليم، خالصًا لك»= فهذا لا أتردد في جوازه[1].

[تفصيل المصنف أحوال الذهاب إلى القبور]:

لكن لأي معنًىٰ قام يمشي إلىٰ القبر؟

(١) يأتي الرد بعد نهاية كلام الإمام ـ إن شاء اللَّه ـ.

١ ـ فإن كان لمحض الزيارة، ولم يعزم علىٰ الدعاء والتوسل إلا بعد تجريد القصد إلىٰ الزيارة= فهذا ليس بممنوع؛ فإنه إنما جاء ليزور، وقد أَذن لنا رسول اللَّه ﷺ بزيارة القبور بحديث: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ ألَّا فزوروها**» وهو في «الصحيح»[(١)]. وخرج لزيارة الموتىٰ، ودعا لهم، وعلَّمَنا كيف نقول إذا نحن زرناهم، وكان يقول: «**السلام عليكم ـ أهل دار قوم مؤمنين ـ، وإنا بكم ـ إن شاء اللَّه ـ لاحقون، وأتاكم ما تُوعَدون، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية**»[(٢)]، وهو ـ أيضًا ـ في «الصحيح» بألفاظٍ وطرق، فلم يفعل هذا الزائرُ إلا ما هو مأذونٌ له به ومشروع، لكن بشرط ألَّا يَشُدَّ راحلةً، ولا يعزم علىٰ سفر، ولا يرحل؛ كما ورد تقييد الإذن بالزيارة للقبور بحديث: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا لثلاثٍ**»[(٣)]، وهو مقيِّدٌ لمطلق الزيارة. وقد خُصِّص بمخصصاتٍ؛ منها: زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي ـ علىٰ صاحبه أفضل الصلاة والتسليم[(٤)] ـ، وفي ذلك خلاف بين العلماء، وهي مسألةٌ من المسائل التي طالت ذيولها، واشتهرت أصولها، وامتُحن بسببها من امتُحن، وليس ذكر ذلك هاهنا من مقصودنا.

٢ ـ وأما إذا لم يقصد مجرد الزيارة؛ بل قصد المشي إلىٰ القبر

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
وانظر أحاديث مشابهة في «الإبداع في مضار الابتداع»، تحت عنوان: «بدع المقابر والأضرحة وزيارة القبور»، بعنايتي.
(٢) رواه مسلم (٩٧٤)، من حديث أُمِّنا عائشة رضي الله عنها.
(٣) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) لا دليل علىٰ هذا لا من كتابٍ ولا سنةٍ صحيحةٍ ولا إجماع!

ليفعلَ الدعاء عنده فقط، وجعلَ الزيارة تابعةً لذلك، أو مشىٰ لمجموع الزيارة والدعاء= فقد كان يُغنيه أن يَتوسل إلىٰ اللَّه بما لذلك الميت من الأعمال الصالحة من دون أن يمشي إلىٰ قبره.

فإن قال: إنما مَشيتُ إلىٰ قبره لأشير إليه عند التوسل به.

فيقال له: إن الذي يعلم السر وأخفىٰ، ويحول بين المرء وقلبه، ويطلع علىٰ خفيات الضمائر، وتنكشف لديه مكنوناتُ السرائر= لا يحتاج منك إلىٰ هذه الإشارة التي زعمتَ أنها الحاملةُ لك علىٰ قصد القبر والمشي إليه. وقد كان يُغنيك أن تذكر ذلك الميتَ باسمه العَلَم، أو بما يتميز به عن غيره، فما أُراك مشيتَ لهذه الإشارة؛ فإن الذي تدْعوه في كل مكان[١]، ومع كل إنسان؛ بل مشيتَ لتُسمِعَ الميت توسُّلَك به، وتُعطِّفَ قلبه عليك، وتتخذ عنده يدًا[٢] بقصده وزيارته، والدعاء عنده، والتوسل به، وأنت إن رجعت إلىٰ نفسك وسألتها عن هذا المعنىٰ؛ فربما تُقرُّ لك به، وتَصْدُقُكَ الخَبَر؛ فإن وجدت عندها هذا المعنىٰ الدقيق ـ الذي هو بالقبول منك حقيق ـ فاعلم أنه قد عَلِق بقلبك ما عَلِق بقلوب عُبَّاد القبور، ولكنك قهرتَ هذه النفسَ الخبيثةَ عن أن تترجم بلسانك عنها، وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر، والاعتقاد فيه، والتعظيم له، والاستغاثة به؛ فأنت مالكٌ لها من هذه الحيثية، مملوك لها من الحيثية التي أقامتك من مقامك، ومشت بك إلىٰ فوق القبر، فإن تداركتَ نفسك

(١) يقصد: بعلمه ورقابته ﷻ، والمصنف رحمه الله صحيح العقيدة، ولم يقصد عقيدة الحلول الكفرية.

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «ندًّا»!

بعد هذه وإلا كانت المستولية[١] عليك المتصرفةَ فيك المتلاعبة بك في جميع ما تهوىٰ مما[٢] قد وَسْوَسَ به لها الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجِنَّة والناس.

فإن قلت: رجعتُ إلىٰ نفسي فلم أجد عندها شيئًا من هذا، وفتشتُها؛ فوجدتها صافيةً من ذلك الكدر.

[قلنا]: فما أظن الحامل لك علىٰ المشي إلىٰ القبر إلا أنك سمعت الناس يفعلون شيئًا ففعلته، ويقولون شيئًا فقلته؛ فاعلم أن هذه أولُ عقدةٍ من عُقَد توحيدك، وأول محنةٍ من محن تقليدك، فارجع تؤجر، ولا تتقدم فتُنحَر[٣]؛ فإن هذا التقليد الذي حملك علىٰ هذه المِشيةِ الفارغةِ العاطلةِ الباطلة سيحملك علىٰ أخواتها؛ فتقف علىٰ باب الشرك أولًا، ثم تدخل منه ثانيًا، ثم تسكن فيه وإليه ثالثًا. وأنت في ذلك كله تقول: سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته، ورأيتهم يفعلون أمرًا ففعلته.

وإن قلت: إنك علىٰ بصيرةٍ في عملك وعلمك، ولستَ ممن ينقاد لهوىٰ نفسه كالأول، ولا ممن يقهرها، ولا[٤] يقلد الناس كالثاني، بل أنت صافي السر، نقيُّ الضمير، خالص الاعتقاد، قوي اليقين،

(١) كذا في نسخة الحلبي، وفي «الفتح الرباني»: «المسؤولة».

(٢) تحرفت في «الفتح الرباني» إلىٰ: «مما ما»!

(٣) في «الفتح الرباني»: «تنحر». وفي نسخة الحلبي: «وألَّا تتقدم تنحر». ولعل الأدقَّ ما أثبتُّه.

(٤) في النسختين: «ولكنه»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، وبه يستقيم السياق، لأن بعد سطور سيأتي التصريح بأن هذا يرىٰ نفسه لم يسقط في هُوَّة التقليد. والعلم عند الرب المجيد.

صحيح التوحيد، جيد التمييز، كامل العرفان، عالمٌ بالسنة والقرآن، فلا لمراد نفسك اتبعت، ولا في هوة التقليد وقعت.

فقل لي بالله: ما الحامل لك علىٰ التشبه بعُبادِ القبور، والتغرير[(١)] علىٰ من كان في عداد سليمي الصدور؟ فإنه يراك الجاهلُ والخامل، ومَن هو عن علمك وتمييزك عاطل، فيفعل كفعلك، ويقتدي بك، وليس له بصيرةٌ مثل بصيرتك، ولا قوةٌ في الدين مثل قوتك، فيَحكي فِعلَك صورةً، ويخالفه حقيقةً، ويعتقد أنك لم تقصد هذا القبر إلا لأمر، ويغتنم إبليسُ اللعين غِرَّةَ[(٢)] هذا المسكين الذي اقتدىٰ بك، واستن بسنتك، فيستدرجه حتىٰ يبلغ به إلىٰ حيث يريد، فرحم اللَّه امرأً هرب بنفسه عن غوائل التقليد، وأخلص عبادته للحميد المجيد.

📖 **[خلاصة أحوال الزيارة مع التوسل]:**

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن مَن يقصدُ القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة:

١ ـ إن مشىٰ لقصد الزيارة فقط، وعَرَض له الدعاء، ولم يحصل بدعائه تغريرٌ علىٰ الغير= فذلك جائز.

٢ ـ وإن مشىٰ لقصد الدعاء فقط، أو له مع الزيارة، وكان له من الاعتقاد ما قدمنا= فهو علىٰ خطر الوقوع في الشرك، فضلًا عن كونه عاصيًا.

٣ ـ وإذا لم يكن له اعتقاد في الميت علىٰ الصفة التي ذكرنا، فهو

(١) كذا في النسخة المخرجة، وفي «الفتح الرباني»: «والتعزير»!

(٢) في المطبوعتين: «غربة»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه، **والغِرَّة**: الجهل والانخداع. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

عاصٍ آثم، هذا أقل أحواله، وأحقر ما يربحه في رأس ماله.

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية. واللَّه ولي التوفيق.

انتهىٰ تحريره بقلم مؤلفه في ليلة الأحد لسبع مضت من شهر رجب سنة (١٢١٣هـ)؛ حامدًا للَّه، ومصلِّيًا مسلِّمًا علىٰ رسوله وآله[١].



(١) وكما أشرت سابقًا، ففي الصفحات القادمة ردٌّ علىٰ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في إجازته التوسل بجاه الأنبياء والأولياء، واللَّهُ المستعان.

❁ الرد على الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إجازته التوسلَ بجاه الأنبياء والصالحين ❁



الحمد للَّه، والصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداة، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فقد رأينا فيما سبق أن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيز التوسل بجاه الأنبياء والصالحين؛ كأن يقول الداعي لربِّه ﷻ ـ مثلًا ـ: «أسألك بجاه نبيك محمد أن تقضي لي حاجتي»، أو: «أسألك بجاه الصالح الفلاني وكرامته ومنزلته عندك أن تفرِّج كربتي»، ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله الإمام الشوكاني، ومِن قبله طارحُ السؤال الشيخ محمد مشحم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ= قولٌ بعيدٌ عن التحقيق، ويمكن إجمال الرد عليه في النقاط التالية ـ باختصار ـ:

١ ـ العبادات توقيفيةٌ أصلًا وصفةً، ولابد أن يثبت الأمرانِ معًا كي تصح العبادة؛ ومعلومٌ أن الدعاء وسؤال اللَّه ﷻ من أعظم ألوان العبادات، ويجب وجوبًا أن يكونا حسبما ورد في الأدلة الشرعية، وكل صفة أو طريقة خرجت عن مقتضىٰ الأدلة، فهي بدعةٌ بلا تردد. والسؤال بجاه الأنبياء والصالحين لم يثبت مطلقًا في الأدلة الشرعية الصحيحة، ومعظمُ الأدلة التي استدلَّ بها طارح السؤال السابق ـ الشيخ مشحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، والتي فيها توسل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجاه النبي ﷺ ونحو ذلك= لم يصح منها شيءٌ مطلقًا ـ كما أشرنا في التخريج ـ،

ومعلومٌ أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالأدلة الضعيفة ـ فضلًا عن الموضوعة والباطلة ـ، وقد رأينا في تخريجات الآثار التي أوردها الشيخ مشحم أنها تخطت الضعيف إلىٰ الضعيف جدًّا والموضوع، وحتىٰ ما لم يستدلَّ به السائل والمسؤول، مثل أدعية: «أسألك بحق السائلين عليك...» ونحو ذلك، فهي ـ أيضًا ـ لا تثبت، وإن ثبتت فليس فيها دلالةٌ علىٰ المراد.

وما صحَّ من الأدلة التي استندا إليها فيأتي بيان حالها قريبًا.

٢ ـ القاعدة الأصيلة في معرفة البدع، وهي: ما ثبت مُقتضِيهِ علىٰ عهد النبي ﷺ، وانتفىٰ مانعه، ولم يقم به ﷺ= فقد دلَّ ذلك علىٰ أنه غير مشروع، وأن فعله بعده ﷺ بدعةٌ وضلالة.

والدعاء بجاه الأنبياء والصالحين كان مُقتضِيه موجودًا علىٰ عهده ﷺ، وانتفت موانعه، وبالرغم من هذا لم يُعلَم أنه ﷺ فعله أو حتىٰ أرشد إليه ولو مرةً واحدةً طيلة حياته ﷺ، وهذا دليلٌ قاطعٌ علىٰ أن الدعاء بجاه الأنبياء والصالحين غير مشروع البتة.

٣ ـ لم يعرف ـ مطلقًا ـ عن الصحابة الأبرار رضي الله عنهم أنهم سألوا اللَّه ﷻ بعد وفاة الحبيب ﷺ بجاهه الشريف ـ وهم أعلم الناس بشريعته وسنته ـ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وما لم يكن يومئذٍ دينًا فليس اليومَ دينًا.

٤ ـ الدعوىٰ بجواز التوسل بكلِّ عبدٍ صالح، وأنه ليس خاصًّا بالنبي ﷺ= دعوىٰ مردودة؛ إذ لابد أولًا من إثبات مشروعية التوسل بالجاه، ثم بعد ذلك يُنظر في أدلة التخصيص والتعميم؛ إذ لا يصحُّ إثباتِ فرعٍ لا أصل له.

٥ ـ الدعوىٰ بتعميم التوسل بالأحياء والأموات، وأن من قَصَر الأمر علىٰ التوسل بالأحياء دون الأموات، فلم يصب= هذه دعوىٰ لا أصل لها ـ أيضًا ـ، حيث لم يثبت دليلٌ بذلك ـ كما قلناه ـ للأحياء، ولو فُرض فدعوىٰ قياس الأموات علىٰ الأحياء فيها نظر لا يخفىٰ؛ إذ لا يلزم من جواز شيءٌ للأحياء ـ علىٰ فرض ثبوته ـ جوازه للأموات ـ كما لا يرتاب في ذلك عالم[(١)] ـ.

٦ ـ قول الشيخ مشحم بأن الأدعية الواردة عن النبي ﷺ هي أصل جواز السؤال بجاه الأنبياء والصالحين= قد تقدم أنها جُلَّها بين الضعيف والموضوع، وكذا ما صحَّ منها فلا دلالةَ فيها علىٰ دعواهم، ومن ثم فلا يجوز الاحتجاج بها جميعًا.

وإن كان يقصد مطلق الأدعية الواردة عنه ﷺ، فهذا عجيب، ولا أدري ما علاقة مطلق الدعاء بتخصيصه بجاه الأنبياء والصالحين! ومعلومٌ أن التخصيص لا يجوز بدون مخصِّص صحيح، ولم يوجد، فسقطت الدعوىٰ.

٧ ـ دعوىٰ الشيخ مشحم بأن رحمة اللَّه ﷻ لا تغيب عن قبور الصالحين، دعوىٰ فيها تعميم، فإن كان المراد بأن الرحمة تنال الميتَ نفسه ـ ممن عفا اللَّه عنهم ورحمهم ـ، فمسلَّم، وإن كان يقصد أنها تنال ـ أيضًا ـ من ذهب لزيارتهم= فتلك تحتاج إلىٰ دليل عن المعصوم ﷺ، ولا دليل. وعلىٰ افتراض وجود الدليل فما علاقة هذا بمشروعية التوسل بالجاه ونحوه؟!

٨ ـ تفريق السائل والمسؤول في أحوال زيارة الزائر للقبور بين

(١) ويشبه ذلك المسألة التي ذكرنها في حاشية (٢) ص(٢٥) من هذا الجزء.

من ذهب يريد الزيارة نفسها، ثم دعا هناك بجاه الميت، وبين من قصد من البداية الذهاب للسؤال بجاهه، وأن الأول جائز والثاني لا= فرقٌ غيرُ مؤثر في الحكم بالمنع؛ لأن في كلتا الحالتين هناك اعتقادٌ قلبي من الزائر ـ وإن لم يصرِّح به بلسانه ـ بأن هذا الميت ينفع ويضر، وإلَّا لم يسأل بجاهه أصالةً، خلافًا لما قاله السائل والمسؤول بأنه في الحالة الأولىٰ ينتفي ذلك الاعتقاد، وفي الحالة الثانية يقع من الزائر؛ فهذا خلاف الواقع ـ كما لا يمتري منصف ـ.

٩ ـ دعوىٰ الشيخ مشحم بأنه قد أجمعت الأمة إجماعًا عمليًّا علىٰ الدعاء بعد زيارة قبره ﷺ= هذا الإجماع مردود، ولا نعلم له أصلًا، وزيارةُ الحبيب ﷺ ـ بشروطها الشرعية ابتداءً وانتهاءً ـ شيء، واستحباب الدعاء بعدها شيءٌ آخر، ولا نعلم أي دليل يستحبُّ لنا الدعاء بعد زيارته ﷺ، أو زيارة قبور الأولياء والصالحين ـ حتىٰ الزيارة الشرعية منها ـ، ومن وقف علىٰ دليلٍ عنه ﷺ فلْيُهدِهِ إلينا مشكورًا. وقد تقرر أن فعل العامة ليس ميزانًا.

وأما استناد الإمام الشوكاني رحمه الله علىٰ بعض الأدلة في إجازته التوسل بجاه الأنبياء والصالحين= فمن أعجب ما رأيته للإمام رحمه الله ـ وهو من هو تدقيقًا وتحقيقًا وارتكانًا علىٰ معاني الأدلة المأخوذة من ألفاظها ـ، لكنه هنا ـ عفا اللَّه عنه ـ أوَّل تأويلاتٍ لا أصل لها في نصوص الشريعة وكلام وعمل السلف الصالح رضي الله عنهم، ومن ذلك:

١٠ ـ استناده علىٰ حديث توسُّلِ صالحي الأمم قبلنا بأعمالهم في قصة الصخرة المشهورة[1]= هذا الاستدلال منه بعيدٌ عن مقتضىٰ

(١) صحيح: وقد تقدم.

الحديث نفسه بألفاظه صريحة الدلالة؛ إذ ليس فيه إلا أن هؤلاء لما وقعوا في المحنة سألوا اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ بأعمالهم هم، ولم يسألوه بأعمال غيرهم، وهذا واضحٌ وضوحَ الشمس في نحر الظهيرة. بينما المتوسِّل بالجاه يسأل اللَّه ﷻ بأعمال غيره! والنوع الأول ثبتت مشروعيته، والثاني لا أصل له.

١١ ـ ذِكرُ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لتوسُّل الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ بعمه العباس، وجعله دليلًا علىٰ التوسل بالجاه ونحوه= استدلال باطل، والعجيب أن المصنف صرَّح تصريحًا بأن المقصود أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ في حياته الاستسقاء، ويطلبون من العباس رضي الله عنه أن يدعوَ اللَّه جَلَّ شَأْنُهُ، ويدعون هم معه، فأين في هذا الحديث أيُّ لفظٍ يدلُّ علىٰ التوسل بالجاه؟

وزيادةً في الإيضاح نقول: لقد نص حديث عمر رضي الله عنه علىٰ أنهم كانوا إذا أجدبوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته الشريفة، والسؤال هنا: هل ثبت في دليلٍ صحيحٍ واحد أن المقصود من «توسلهم به ﷺ» أنهم كانوا يَسألون اللَّه ﷻ بجاهه الشريف ﷺ؟ أم أنهم كانوا يتوسلون به ـ أي: بدعائه لربِّه ﷻ ـ في إنزال المطر؟

إذا نظرنا في الأدلة الشرعية وجدنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعوَ اللَّه تعالىٰ لهم عند الجدب بإنزال المطر[(١)]؛ وذلك لمعرفتهم بمكانته ﷺ المنيفة، ومنزلته الشريفة، وأنه مستجاب الدعاء؛ فلذلك كانوا يطلبون منه الدعاء.

أما السؤال بالجاه، فنريد حديثًا واحدًا صحيحًا فيه أن صحابيًّا

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

في حياة النبي ﷺ سأل اللَّه ﷻ بجاهه الشريف، حتىٰ يكون دليلًا تقريريًّا منه ﷺ في عصر الوحي علىٰ مشروعية التوسل بجاهه ﷺ. والسنة الشريفة محفوظة، ولا يوجد أيُّ دليل صحيح واحدٍ يدلُّ علىٰ ذلك، فعُلم أن المراد من حديث عمر رضي الله عنه: أنهم كانوا يطلبون «دعاءه» ﷺ في حياته، ثم لما مات جعلوا العباس وسيلتهم ـ أي: سبب إجابة اللَّه لهم ـ عند ربِّهم ﷻ، فكانوا عند الجدب يطلبون من العباس رضي الله عنه أن يدعوَ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لهم ـ كما كانوا يفعلون مع النبي ﷺ ـ.

ومن البديهي أن يقال: لو كان السؤال بجاه أحدٍ جائزًا بعد موته، لكان أولىٰ الخَلق بذلك هو الحبيب ﷺ، فلماذا لما أجدب الناسُ في عهد عمر رضي الله عنه لم يطلب منهم صراحةً أن يسألوا اللَّه ﷻ بجاه الحبيب ﷺ ـ وهو أعظم بلا ريب من جاه العباس رضي الله عنه ـ في إنزال المطر؟ لولا أنهم يعلمون أن السؤال بجاه النبي ﷺ أو غيره ليس بمشروع أصالةً؛ بل لعله لم يخطر لهم علىٰ بالٍ بالكلية!!

فالخلاصة أن اللبس حدث عند المجيزين لوجود لفظ «التوسل» في أثر عمر رضي الله عنه، وكأن المراد منه «التوسل بالجاه»، مع أنه لا يوجد لفظٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ هذا ـ بحمد اللَّه تعالىٰ ـ.

١٢ ـ حديث الأعمىٰ الذي سأل النبي ﷺ أن يرد اللَّه تعالىٰ عليه بصره، تقدم في هذا الكتاب المبارك أن النبي ﷺ دعا له بالشفاء، وليس فيه أيُّ إشارةٍ تُذكر إلىٰ أنه سأل اللَّه ﷻ بجاه النبي ﷺ، ولو كان هذا هو المقصود، فلماذا يتكلفُ الإتيانَ إلىٰ النبي ﷺ أصلًا ـ وهو أعمىٰ ـ؟ بل كان يكفيه أن يسألَ اللَّه تعالىٰ بجاهه ﷺ وهو في بيته، دون أن يشق علىٰ نفسه بالإتيان إلىٰ النبي ﷺ؛ وإنما

جاء إليه ليدعو الحبيبُ ﷺ له اللَّه تعالىٰ أن يردَّ عليه بصره، كما هو ظاهرٌ جليٌّ.

١٣ ـ قول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «المتوسلُ بنبيٍّ من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركةً مع اللَّه ﷻ في أمر يوم الدين...» إلخ. هذا كلامٌ قد يصح الاعتداد به بعد ثبوت صحةِ التوسل بالجاه من الناحية الشرعية، وبعدها نفصِّل بين من اعتقد مثل هذا ومن لم يعتقده.

وحتىٰ علىٰ افتراض صحة ما سبق، وأن المتوسِّل بجاه شخص لا يعتقد تصرُّفه في الأمور؛ إلا أن هذا ـ بلا أدنىٰ تردد ـ ذريعةٌ لهذا الاعتقاد، وحتىٰ إن قلنا: ليس لهذا الشخص، فهو ذريعة لمن يراه من العوام والأغمار، فواللَّهِ لو لم يكن هناك دليلٌ تَرْكيٌّ من السنة النبوية وفعل الصحابة الأبرار علىٰ عدم مشروعية التوسل بالجاه= لكانت قاعدة «سد الذرائع» تحتِّم المنع[1]، وكيف لا، وأصل الكفر باللَّه العظيم بدأ بالذريعة، كما تقدم معنا في قصة الصالحين من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ «ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر»، ورأينا كيف استدرج الشيطانُ الناسَ عبر العصور إلىٰ الظن في ألوهية هؤلاء الصالحين؛ لا سيما وأن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا ما يستعمل قاعدة «سد الذرائع» في مثل تلك الأبواب.

فما رأيكم في عاميٍّ رأىٰ أحدَهم يتوسل بجاه عبدٍ صالحٍ مثلًا،

(١) راجع كتاب: «قاعدة سد الذرائع عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ»، للشيخ إبراهيم بن مهنَّا المهنَّا. وكذا: «إعمال قاعدة سد الذرائع في باب البدعة»، للعلامة محمد بن حسين الجيزاني.

دون أن يعلم بنيَّته؟ فهل نعتقد أن العاميَّ سيظن أن هذا التوسل مجرد عبارة باللسان لا دخل لها باعتقاد الجنان؟ ولماذا هذا الصالح بالذات دون غيره، أو لماذا هؤلاء الجماعة بالذات دون غيرهم؟ وهل العوام وقَّافون عند حدود الشرع حتىٰ نشرع لهم الذرائع التي تخدش توحيدهم، وتوقعهم فيما لا يحمد عقباه؟

ثم ما رأيكم ـ أيضًا ـ في عاميٍّ توسل بأحد الصالحين أن يرفع اللَّهُ تعالىٰ له بلاءً ـ مثلًا ـ، فاستجاب اللَّه تعالىٰ له لما يعلمُ من فقره وحاجته ـ لا لصحة فعله ـ، ثم دارت الأيام، وأراد هذا العاميُّ شيئًا آخر من اللَّه ﷻ، فتوسل بصالحٍ آخر، فلم يستجب اللَّه ﷻ له، هل ترون أنه لن يعتقد أن الصالح الأول ـ الذي قُضيت حاجته لما توسَّل به ـ فيه خاصيةٌ تزيد علىٰ الثاني؟ وهل هذا إلا اعتقادٌ وتعلُّقٌ قلبي بهذا الميت أم لا؟ وما الذي يمكن أن يؤدي إليه في النهاية ـ معشر العقلاء ـ؟

وقد صرح الإمام الشوكاني رحمه الله تصريحًا بأن من لم يعتقد في شخصٍ قدرته علىٰ ما لا يقدر عليه إلا اللَّه، لكنه قلد غيره في الذهاب إلىٰ القبور؛ فإن هذا سيفضي به مع مرور الزمان إلىٰ ذلكم الاعتقاد الفاسد؟ لكنه بيَّن أن تلك العاقبة لا تصيب إلا من تعمد زيارة القبور ليسأل اللَّه تعالىٰ عندها بجاه الميت! ولا أدري لماذا لم يعمم هذا ـ أيضًا ـ مع من تعمَّد أم لا؛ مع أن العلة والغاية المخوفة من الأمرين واحدة، حتىٰ وإن اشتدت وترسخت مع من تعمَّد الذهاب إلىٰ القبور للسؤال بجاه الميت!

وكل هذا علىٰ افتراض جواز هذا التوسل أصالةً.

١٤ ـ صرَّح المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن من يتعمد زيارة القبور للتوسل بمن فيها من الصالحين هو تشبُّهٌ بعبَّاد القبور، وقد علمنا أن لُب الأمر في النهي عن اتخاذ القبور مساجد هو الخوف من تعلُّق القلب بغير اللَّه ﷻ فيما لا يقدر عليه سواه ـ حتىٰ إن لم يعتقد الذاهب إلىٰ هناك هذا في البداية ـ، فهل هذه العلة ليست موجودة في المتوسل بجاه الأنبياء والصالحين ـ سواءٌ تعمَّد التوجُّهَ إلىٰ قبورهم لذلك ابتداءً، أم كان السؤال بجاههم تبعًا ـ؟!

١٥ ـ السائل بجاه الأنبياء والصالحين إنما يسأل بعمل غيره، وما عهدنا في الشريعة المباركة السؤال بمثل تلك الأمور، فإن السائل بجاه فلان وفلان كأنه يقول للَّه ﷻ: «أسألك يا رب أن تفرِّج همي وغمي لأن فلانًا يكثر من قيام الليل وصيام النهار ويتصدق علىٰ هذا وذاك»!! فهل يوجد عاقلٌ يُجيزُ مثل هذه الأمور؟ بل هل ورد في الشريعة المطهرة ـ التي هي معيار كل شيء ـ دليلٌ يبيح مثل هذا الفعل؟ وهل إذا سمع أحدهم إنسانًا يسأل اللَّه تعالىٰ بالطريقة السابقة هل سيراه عاقلًا أم مجنونًا؟ وهل سيقول له: أصبت، أم سيقول له: كيف تسأل اللَّه تعالىٰ بعمل غيرك، واللَّهُ تعالىٰ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر]؟

١٦ ـ لو فرضنا ـ جدلًا ـ أن الأدلة السابقة «قد» تدلُّ علىٰ جواز التوسل بالجاه، فهي «محتملةٌ» وليست نصًّا ولا صريحةً، والقاعدة الأصولية تنصُّ علىٰ أنه: «إذا تطرَّق الاحتمال بَطَل الاستدلال»؛ فلابد من دليلٍ صحيح صريح خالٍ من المُعارِض يدلُّ علىٰ هذا الأمر بلا شك ولا تردد؛ لأن العبادات لا تثبت بالاحتمالات.

١٧ ـ السلف الصالح كانوا أعلم الناس ـ كما تقدم ـ بشريعة اللَّه جَلَّ شَأْنُهُ، ولم نعلم عنهم السؤال بجاه الأنبياء والصالحين ـ لا الأحياء منهم ولا الأموات ـ، ولو كان هذا معلومًا لديهم لنُقل عنهم وفشىٰ؛ لا سيما وأن الدعاء ورغبة الإجابة من اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ من الأمور التي لا يخلو منها وقتٌ من الأوقات ليلًا أو نهارًا، وهاهي مصنفات الأئمة مبثوثة، ليس فيها من هذا الأمر شيءٌ بحمد اللَّه تعالىٰ.

ثم علىٰ افتراض أنه وُجد عن بعضهم هذا الأمر ـ وهو السؤال بجاه الصالحين ـ، فأين الدليل الصحيح الصريح الخالي من المعارض الذي يؤيد فعلهم؟ وقد تعلمنا من إمامنا الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الدليل إما كتابٌ وسنةٌ صحيحة أو إجماعٌ ثابت ـ عند القائلين بالإجماع ـ، وتعلمنا منه ومن غيره ـ أيضًا ـ أن الخطأ في مثل هذا النوع من الخلافيات الحقُّ فيه واحدٌ لا غير؛ فأين شيءٌ من هذا علىٰ مشروعية التوسل بالجاه؟

١٨ ـ بيَّن الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السؤال بالجاه هو في حقيقته قَسَمٌ علىٰ اللَّه تعالىٰ، فكأن المتوسل يقول: «أقسم بجاه فلان أو فلان»، وقد تقدم عنه ﷺ النهي عن الحلف بغير اللَّه ﷻ[1].

وحتىٰ لو قلنا: إن الباء هنا ليست باء القسم، فنعود ونقول: الأمر علىٰ حاله، وهو عدم ثبوت الدليل الصحيح الصريح علىٰ جواز هذه الصفة في الدعاء أصالةً.

(١) ذكر ذلك الشيخ عبداللَّه الحلبي في نسخته من «الدر النضيد» ص(٢٤).

١٩ ـ التوسل بمعناه الصحيح ـ وهو طلب الدعاء من العبد الصالح ـ، لا يقاس عليه التوسل بجاه الأموات، فهذا قياسٌ مع الفارق كما يرتاب فيه من شم رائحة العلم؛ لأن الحيَّ يُمكنُه أن يدعوَ لك، أما الميتُ فهو لا يسمعك، فضلًا عن أن يدعوَ اللَّه تعالىٰ في جلب منافعك وتفريج كرباتك؟!

٢٠ ـ ما ورد عن بعض الأكابر كالإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه توسل بجاه النبي ﷺ، فإنه لا يصحُّ إسناده عنه[(١)]، وحاشا لمالكٍ أن يبتدع شيئًا لا يُعلم له أصلٌ عن نبيِّه ﷺ.

وحتىٰ علىٰ افتراض ثبوت ذلك عن مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلابد أن ننظر في دليل العالِم، لا في مجرد فعله هو؛ لأن العالم في النهاية ليس مشرِّعًا، بل هو مبلِّغ لدين اللَّه تعالىٰ، فإن صح دليله قبلناه، وإلا لم نقبله.

٢١ ـ وخلاصة أقسام التوسل كالآتي:

■ **أولاً: التوسل المشروع، وهو أقسام:**

١ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بأسمائه.

٢ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بصفاته.

٣ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بأفعاله.

٤ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالإيمان به.

٥ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بحال الداعي[(٢)].

(١) انظر هذه القصة في (١/٥٥٦).

(٢) كأن يقول: «أسأله وأنا الفقير إليك...»، ونحو ذلك.

٦ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بدعاء الرجل الصالح الذي ترجىٰ إجابة دعائه.

٧ ـ التوسل إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالعمل الصالح.

■ **ثانيًا: التوسل الممنوع، وهو نوعان:**

١ ـ توسل الجاهلين بأوليائهم.

٢ ـ توسلٌ يكون بوسيلة سكت عنها الشرع[١].

فخلاصة الأمر برمَّته:

ـ أن التوسل المشروع هو ما ثبت في الأدلة الشرعية.

ـ والتوسل الممنوع هو ما جاء الدليل بالنهي عنه، أو لم يثبت به دليلٌ أصلًا.

ومن أراد مزيد تفصيل في هذه المسألة فعليه بالرجوع إلىٰ كتاب «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقد أبدع وأجاد في أقسام التوسل ـ كعادته المباركة ـ، وكذا ما كتبه الشيخ نسيب الرفاعي والألباني رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فهذا هو الجواب عما مسألة «التوسل بالجاه» باختصار شديد، ولعلنا نتوسع في الرد بعض الشيء في طبعاتٍ أخرىٰ ـ بإذن رب العالمين ـ.

واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.



(١) التقسيم السابق مستفاد من حاشية «الفتح الرباني» (١/٣١٢).

[٣٧]

شرح الصدور بتحريم رفع القبور

للإمام

محمد بن عليٍّ الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه المكرَمين المطهَّرين.

وبعد:

فاعلم أنه إذا وقع الخلافُ بين المسلمين في أن هذا الشيء بدعةٌ أو غير بدعة، أو مكروهٌ أو غير مكروه، أو محرمٌ أو غير محرم، أو غير ذلك= فقد اتفق المسلمون ـ سلفهم وخلفهم ـ من عصر الصحابة إلىٰ عصرنا هذا ـ وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية ـ أن الواجب عند الاختلاف في أي أمرٍ من أمور الدين بينَ الأئمةِ المجتهدين: هو الرد إلىٰ كتاب اللَّه ـ سبحانه ـ وسنة رسوله ﷺ، والناطق بذلك الكتاب العزيز: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ومعنىٰ الرد إلىٰ اللَّه سبحانه: الرد إلىٰ كتابه.

ومعنىٰ الرد إلىٰ رسوله ﷺ: الرد إلىٰ سُنته بعد وفاته.

وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين؛ فإذا قال مجتهدٌ من المجتهدين: «هذا حلال»، وقال الآخر: «هذا حرام»، فليس أحدهما أولىٰ بالحق من الآخر ـ وإن كان أكثرَ منه علمًا أو أكبر منه سنًّا أو أقدم منه عصرًا ـ؛ لأن كل واحد منهما فردٌ من أفراد عباد اللَّه، ومتعبَّدٌ بما في الشريعة المطهرة مما في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ومطلوب منه ما طَلب اللَّه من غيره من العباد. وكثرةُ علمه

وبلوغُه درجةَ الاجتهاد أو مجاوزته لها لا يُسقط عنه شيئًا من الشرائع التي شرعها اللَّه لعباده. ولا يُخرجه من جملة المكلَّفين؛ بل العالِمُ كلما ازداد علمًا كان تكليفه زائدًا علىٰ تكليف غيره، ولو لم يكن من ذلك إلَّا ما أوجبه اللَّه عليه من البيان للناس وما كلَّفه به من الصدع بالحق وإيضاح ما شرعه اللَّه لعباده:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

فلو لم يكن لمن رزقه اللَّه طرَفًا من العلم إلا كونه مكلَّفًا بالبيان للناس، لكان كافيًا فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف؛ بل يزيدون بما علموه تكليفًا. وإذا أذنبوا كان ذنبُهم أشدَّ من ذنب الجاهل وأكثر عقابًا؛ كما حكاه اللَّه عمن يعمل سوءً بجهالةٍ ومَن عَمِلَه بعلم[1]. وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود؛ حيث أقدموا علىٰ مخالفةِ ما شرعه اللَّه لهم، مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسُونه. ونعىٰ ذلك عليهم في مواضع متعددةٍ من كتابه، وبكَّتهم أشد تبكيت، وكما ورد في الحديث الصحيح: «**إن أول من تُسعَّرُ بهم جهنم العالمُ الذي يأمر الناس ولا يأتمر، وينهاهم ولا ينتهي**»[2].

(١) حرر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة تحريرًا جيدًا في «مفتاح دار السعادة» (١/٥٠٢ ـ عالم الفوائد).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وبالجملة فهذا أمر معلوم؛ أن العلم وكثرته وبلوغ حامله إلىٰ أعلىٰ درجات العرفان لا يُسقط عنه شيئًا من التكاليف الشرعية؛ بل يزيدها عليه شدةً، ويخاطَبُ بأمورٍ لا يخاطَبُ بها الجاهل، ويكلَّفُ بتكاليفَ غيرِ تكاليف الجاهل، ويكون ذنبُه أشدَّ وعقوبته أعظم. وهذا لا ينكره أحدٌ ممن له أدنىٰ تمييزٍ بعلم الشريعة.

والآياتُ والأحاديث الواردة في هذا المعنىٰ لو جمعت لكانت مؤلَّفًا مستقيمًا ومصنفًا حافلًا، وليس ذلك من غرضنا في هذا البحث؛ بل غاية الغرض من هذا ونهايةُ القصد منه: هو بيان أن العالِمَ كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة، مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبتين ـ رتبة العالم، ورتبة الجاهل ـ في كثير من التكاليف، واختصاص العالم منها بما لا يجب علىٰ الجاهل.

وبهذا يتقرر لك أن ليس لأحدٍ من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: «الحق ما قاله فلان دون فلان»، أو: «فلان أولىٰ بالحق من فلان»؛ بل الواجب عليه ـ إن كان ممن له فهمٌ وعلمٌ وتمييز ـ أن يَرُدَّ ما اختلفوا فيه إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فمن كان دليلُ الكتاب والسنة معه فهو علىٰ الحق، وهو الأولىٰ بالحق. ومن كان دليلُ الكتاب والسنة عليه ـ لا له ـ كان هو المخطئ؛ بل هو معذور، بل مأجور، كما ثبت في الحديث الصحيح أنه: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1]؛ فناهيك بخطإٍ يؤجر عليه فاعله.

(١) صحيح: وقد تقدم.

ولكن هذا إنما هو للمجتهد نفسه إذا أخطأ، ولكن لا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه، ولا يُعذر كعذره، ولا يؤجر كأجره؛ بل واجبٌ علىٰ من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداءَ به في الخطأ، ويرجع إلىٰ الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. وإذا وقع الردُّ لما اختَلف فيه أهلُ العلم إلىٰ الكتاب والسنة، كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق ووافقه ـ وإن كان واحدًا ـ، والذي لم يكن معه دليلُ الكتاب والسنة هو الذي لم يُصب الحق، بل أخطأه ـ وإن كان عددًا كثيرًا ـ، فليس لعالمٍ ولا لمتعلمٍ ولا لمن يفهم ـ وإن كان مقصرًا ـ أن يقول: «إن الحق بيد من يَقتدي به من العلماء»، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره؛ فإن ذلك جهلٌ عظيم، وتعصبٌ ذميم، وخروجٌ من دائرة الإنصاف بالمرة؛ لأن الحق لا يُعرف بالرجال؛ بل الرجال يُعرفون بالحق[1].

وليس أحدٌ من العلماء المجتهدين والأئمة المحققين بمعصوم، ومن لم يكن معصومًا فإنه يجوز عليه الخطأ ـ كما يجوز عليه الصواب ـ؛ فيصيب تارةً، ويخطئ أخرىٰ. ولا يتبين صوابُه من خطئه إلا بالرجوع إلىٰ دليل الكتاب والسنة؛ فإن وافقهما فهو مصيب، وإن خالفهما فهو مخطئ.

ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم، سابقهم ولاحقهم، كبيرهم وصغيرهم، وهذا يعرفه كلُّ من له أدنىٰ حظٍّ من العلم، وأحقرُ نصيب من العرفان. ومن لم يفهم هذا ويعترف

(١) ويحسن مراجعة «أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب» للمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد صدر ـ بحمد اللَّه تعالىٰ ـ بعنايتي في دار ابن الجوزي بالدمام.

به فليتَّهم نفسه، ويعلم أنه قد جنىٰ علىٰ نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه، والدخول فيما لا تبلغُ إليه قدرتُه، ولا ينفذُ فيه فَهمُه. وعليه أن يمسك قلمَه ولسانه، ويشتغلَ بطلب العلم، ويفرِّغَ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها إلىٰ معرفةِ الكتاب والسنة وفهم معانيهما، والتمييز بين دلائلهما، ويجتهد في البحث في السنة وعلومها، حتىٰ يتميز عنده صحيحُها من سقيمها، ومقبولُها من مردودها، وينظر في كلام الأئمة الكبار من سلف هذه الأمة وخلفها حتىٰ يهتديَ بكلامهم إلىٰ الوصول إلىٰ مطلوبه؛ فإنه إن لم يفعل هذا، وقدَّم الاشتغال بما قدمنا[1]، ندم علىٰ ما فَرَط منه قبل أن يتعلم هذه العلومَ غاية الندم، وتمنىٰ أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه، وسكت عن الخوض فيما لا يدريه.

وما أحسنَ ما أدَّبنا به رسولُ اللَّه ﷺ - فيما صح عنه - من قوله: «**رحم اللَّهُ امْرَأً قال خيرًا أو صمت**»[2]، وهذا في الذي تكلم في العلم

(١) يعني التعديل والتجريح والتصويب والتخطئة بدون تأهُّل علمي.

(٢) **لم أجده بهذا اللفظ**: والظاهر أن الإمام رواه بالمعنىٰ، ويقصد حديث: «**من كان يؤمنُ باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وقد تقدم تخريجه.

وورد عن أبي عمران رحمه الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «**رَحِم اللَّه عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت عن سوء فسلم**». **حسن**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٤) مرسلًا.

وورد - أيضًا - من رواية الحسن البصري رحمه الله: رواه البغوي في «حديث كامل بن طلحة» (٢/٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٧/٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٨٥). **وضعَّفه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٩٥/٣)، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٥٥).

قبل أن يفتح اللَّهُ عليه بما لابد منه، وشغل نفسه بالتعصُّب للعلماء، وتصدَّىٰ للتصويب والتخطئة في شيءٍ لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه، ولم يقل خيرًا ولا صمت= فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد إليه رسولُ اللَّه ﷺ.

وإذا تقرر لك من مجموع ما ذكرناه وجوبُ الرد إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ بنصِّ الكتاب العزيز وإجماع المسلمين أجمعين، عرفتَ أن مَن زعم للناس أنه يمكن معرفةُ المخطئ من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسألةٍ من المسائل فهو مخالفٌ لما في كتاب اللَّه، ومخالفٌ لإجماع المسلمين أجمعين؛ فانظر ـ أرشدك اللَّه ـ إلىٰ أي جنايةٍ جنىٰ علىٰ نفسه بهذا الزعم الباطل، وأي مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش، وأي بليةٍ جلبها عليه القصورُ والتقصير، وأي محنةٍ شديدة ساقها إليه التكلمُ فيما ليس من شأنه؟!

وها أنا أوضِّحُ لك مثالًا لما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم، ومن كيفية الرد إلىٰ كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ليتبيَّن المصيبُ من المخطئ، ومَن بيده الحق ومن بيده غيره، حتىٰ تعرف الحقَّ حقَّ معرفته، ويتضح لك غايةَ الاتضاح؛ فإن الشيء إذا ضُربت له الأمثلة وصُورت له الصور بَلَغ من الوضوح والجلاء إلىٰ غاية لا يخفي معها علىٰ من له فهمٌ صحيح وعقلٌ رجيح ـ فضلًا عمن لم يكن له في العلم نصيب، وفي العرفان حظ ـ، ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالًا لما ذكرناه وإيضاحًا لما أمليناه: هي المسألة التي لهج بالكلام فيها أهلُ عصرنا ومصرنا، خصوصًا في هذه الأيام لأسباب لا تخفىٰ، وهي مسألة: «رفع القبور، والبناء عليها»، كما يفعله

الناس من بناء المساجد والقباب علىٰ القبور.

فنقول: اعلم أنه قد اتفق الناس ـ سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان اللَّه عنهم إلىٰ هذا الوقت ـ: أن رفع القبور والبناء عليها بدعةٌ من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيدُ رسول اللَّه لفاعلها ـ كما يأتي بيانه ـ، ولم يخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين أجمعين، لكنه وقع للإمام يحيىٰ بن حمزة مقالةٌ تدل علىٰ أنه يرىٰ أنه لا بأس بالقِباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء، ولم يقل بذلك غيره، ولا رُوي عن أحد سواه، ومَن ذكرها من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جريٌّ علىٰ قوله واقتداءٌ به. ولم نجد القول بذلك ممن عاصره، أو تقدم عصره عليه ـ لا من أهل البيت ولا من غيرهم ـ. وهكذا اقتصر صاحب «البحر» ـ الذي هو مدرس كبار الزيدية، ومرجع مذهبهم، ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم، وللخلاف بينهم وبين غيرهم؛ بل اشتمل علىٰ غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية، وصار هو المرجوع إليه في هذه الأعصار، وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل، وأقوال القائلين بإثباتها أو نفيها من المجتهدين ـ؛ فإن صاحب هذا الكتاب الجليل لم ينسب هذه المقالة ـ أعني جواز رفع القباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء ـ إلا إلىٰ الإمام يحيىٰ وحده:

▫ فقد قال ما نصه: «مسألة الإمام يحيىٰ: لا بأس بالقباب والمشاهد علىٰ قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين. ولم ينكره». انتهىٰ.

فقد عرفت من هذا أنه لم يقل بذلك إلا الإمام يحيىٰ، وعرفت

دليلَه الذي استدل به، وهو: «استعمالُ المسلمين مع عدم النكير»[1]!

ثم ذكر صاحب «البحر» هذا الدليلَ الذي استدل به الإمام يحيىٰ في «الغيث»، واقتصر عليه، ولم يأت بغيره.

فإذا عرفت هذا تقرر لك أن هذا الخلاف واقعٌ بين الإمام يحيىٰ وبين سائر العلماء، من الصحابة والتابعين، ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين، ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم. ولا يُعترض هذا بحكاية مَن حكىٰ قول الإمام يحيىٰ في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين؛ فإن مجرد حكاية القول لا يدل علىٰ أن الحاكي يختاره ويذهب إليه؛ فإن وجدت قائلًا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه، فإن كان مجتهدًا كان قائلًا بما قاله الإمام يحيىٰ، ذاهبًا إلىٰ ما ذهب إليه بذلك الدليل الذي استدل به، وإن كان غير مجتهدٍ فلا اعتبار بموافقته؛ لأنها إنما تعتبر أقوالُ المجتهدين لا أقوال المقلِّدين.

فإذا أردت أن تعرف: هل الحق ما قاله الإمام يحيىٰ، أو ما قاله غيره من أهل العلم؛ فالواجب عليك رد هذا الاختلاف إلىٰ ما أَمَرَنا اللَّه بالرد إليه؛ وهو كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

فإن قلت: بيِّن لي العمل في هذا الرد حتىٰ تتم الفائدة، ويتضح الحقُّ من غيره، والمصيبُ من المخطئ في هذه المسألة.

(١) وهو ليس في الحقيقة بدليل معتبر؛ فإنَّ عمل الناس لا يعد تشريعًا يُبنىٰ عليه التحليل والتحريم ـ كما يعلم أهل العلم ـ، وإنما ذكر المصنف أن هذا دليل الإمام يحيىٰ بن حمزة من حيث رآه يحيىٰ دليلًا؛ وليس في واقع الأمر. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

قلت: افتح لما أقوله سمعًا، واتخذ له فهمًا، وأرهِفْ له ذهنًا. وها أنا أوضِّحُ لك الكيفية المطلوبة، وأبيِّنُ لك ما لا يبقىٰ عندك بعده ريب، ولا يصاحب ذهنَك وفهمك عنده لبس، فأقول:

١ ـ قال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فهذه الآية فيها الإيجاب علىٰ العباد بالائتمار بما أمر به الرسول ﷺ والأخذ به، والانتهاء عما نهىٰ عنه ﷺ وتركه.

٢ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ففي هذه الآية: تعليق محبة اللَّه ـ الواجبة علىٰ كل عبد من عباده ـ باتباع رسوله ﷺ، وأن ذلك هو المعيار[1] الذي يُعرف به محبة العبد لربه علىٰ الوجه المعتبر، وأنه السبب الذي يستحق به العبدُ أن يحبه اللَّه.

٣ ـ وقال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ففي هذه الآية: أن طاعةَ الرسول طاعةٌ للَّه.

٤ ـ وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

فأوجب هذه السعادة لمن أطاع اللَّه ورسوله، وهي أن يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجةً عنده، وأعلاهم منزلةً.

(١) **المعيار**: الميزان.

٥ ـ وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

٦ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

٧ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

٨ ـ وأنزل اللَّه علىٰ رسوله أن يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران].

والآيات الدالة علىٰ هذا المعنىٰ في الجملة أكثر من ثلاثين آيةً.

ويستفاد من جميع ما ذُكر: أن ما أمر به رسولُ اللَّه ﷺ ونهىٰ عنه كان الأخذُ به واتباعه واجبًا بأمر اللَّه سبحانه، وكانت الطاعة لرسول اللَّه ﷺ في ذلك طاعةً للَّه، وكان الأمر من رسول اللَّه ﷺ أمرًا من اللَّه.

وسنوضح لك ما صح عن رسول اللَّه ﷺ في غير حديثٍ من النهي عن رفع القبور والبناء عليها، ووجوب تسويتها، وهدم ما ارتفع منها، ولكنَّا هنا نبتدي بذكر أشياء في حكم التوطئة والتمهيد لذلك، ثم ننتهي إلىٰ ذكر ما هو المطلوب، حتىٰ يَعلم من اطلع علىٰ هذا البحث أنه إذا وقع الردُّ فيما قاله الإمام يحيىٰ وما قاله غيره في القباب والمشاهد إلىٰ ما أمر اللَّهُ بالرد إليه ـ وهو كتاب اللَّه سبحانه وسنة رسوله ﷺ ـ كان في ذلك ما يشفي ويكفي، ويُقنع ويُغني ذِكرُ بعضه ـ فضلًا عن ذكر جميعه ـ، وعند ذلك يتبين لكل

من لهم فهمٌ ما في رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة، من المكيدة البالغة التي كادهم الشيطانُ بها، وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السابقة، كما حكىٰ اللَّه ﷻ ذلك في كتابه العزيز.

وكان أول ذلك في قوم نوح:

قال اللَّه ـ سبحانه ـ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقَون المطر. فعبدوهم، ثم عبدتهم العربُ بعد ذلك. وقد حُكي معنىٰ هذا في «صحيح البخاري» عن ابن عباس ﷺ[(١)].

▫ وقال قومٌ من السلف: «إن هؤلاء كانوا قومًا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم».

ويؤيد هذا ما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن عائشة ﷺ: أن أم سلمة ﷺ ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وذكرت له ما رأت فيها من الصور؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالح أو الرجل الصالح بنَوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند اللَّه**»[(٢)].

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

▫ وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]: قال [مجاهد]: «كان يَلُتُّ السَّويق للحاج، فمات فعكفوا علىٰ قبره».

وفي «صحيح مسلم» عن جُندب بن عبداللَّه البَجلي ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت [بخمسٍ] يقول: «**أَلَا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، أَلَا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»(١).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ﷺ قالت: لما نزل برسول اللَّه ﷺ طفق يطرح خميصةً علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ: «**لعنةُ اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صنعوا(٢).

وفي «الصحيحين» مثلُه ـ أيضًا ـ من حديث ابن عباس ﷺ(٣).

وفيهما ـ أيضًا ـ من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قاتَلَ اللَّه اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٤).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ﷺ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ولولا ذلك لأُبرز قبره، غير أنه خَشِيَ أن يكون مسجدًا(٥).

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: وقد تقدم.
(٤) صحيح: وقد تقدم.
(٥) صحيح: وقد تقدم.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» ـ بإسنادٍ جيد ـ من حديث عبداللَّه بن مسعود ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن من شرار الناس مَن تُدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبورَ مساجد**»(١).

وأخرج أحمد وأهل السنن من حديث ابن عباس ﷺ أنه ﷺ قال: «**لعن اللَّه زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجدَ والسُّرُج**»(٢).

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن أبي الهيَّاج الأَسَدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ «**ألَّا أدعَ تمثالًا إلا طمستُه، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته**»(٣).

وفي «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ عن ثمامة بن شُفيٍّ نحو ذلك(٤).

وفي هذا أعظمُ دلالةٍ علىٰ أن تسوية كل قبر مشرفٍ ـ بحيث يرتفع زيادةً علىٰ القدر المشروع ـ واجبةٌ متحتمة.

فمن إشراف القبور: أن يُرفع سَمكُها(٥)، أو يُجعل عليها القباب أو المساجد؛ فإن ذلك من النهي عنه بلا شك ولا شبهة؛ ولهذا فإن النبي ﷺ بعث لهدمها أمير المؤمنين عليًّا، ثم أميرُ المؤمنين بعث لهدمها أبا الهيَّاج الأسدي في أيام خلافته.

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **حسن ـ دون ذكر السُّرج ـ**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) رواه مسلم (٩٦٨)، أن ثمامة بن شفي قال: «كنا مع فضالةَ بنِ عبيدٍ ﷺ بأرض الروم برُودس، فتُوفِّي صاحبٌ لنا، فأمر فضالةُ بنُ عبيد بقبره فسُوِّي، ثم قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يأمر بتسويتها».

(٥) **السَّمْك**: الجوانب والأطراف.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي ـ وصححه ـ والنسائي وابن حبان من حديث جابر قال: «نهىٰ رسول اللَّه ﷺ أن يُجصَّص القبر[١]، وأن يبنىٰ عليه، وأن يوطأ»[٢].

وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم: «وأن يكتب عليه». قال الحاكم: «النهي عن الكتابة علىٰ شرط مسلم، وهي صحيحة غريبة»[٣].

وفي هذا التصريحُ بالنهي عن البناء علىٰ القبور، وهو يصدُق علىٰ ما بُني علىٰ جوانب حفرة القبر، كما يفعله كثيرٌ من الناس من رفع قبور الموتىٰ ذراعًا فما فوقه؛ لأنه لا يمكن أن يُجعل نفسُ القبر مسجدًا؛ فذلك مما يدل علىٰ أن المراد بعضُ ما يَقرَبُه مما يتصل به، ويصدقُ علىٰ ما بُني قريبًا من جوانب القبر كذلك، كما في القِباب والمساجد والمشاهد الكبيرة، علىٰ وجهٍ يكون القبر في وسطها أو في جانبٍ منها؛ فإن هذا بناءٌ علىٰ القبر، لا يخفىٰ ذلك علىٰ من له أدنىٰ فهم، كما يقال: «بنىٰ السلطان علىٰ مدينة كذا، أو علىٰ قرية كذا سورًا». وكما يقال: «بنىٰ فلان في المكان الفلاني مسجدًا»، مع أن سَمْكَ البناء لم يباشر إلَّا جوانب المدينة أو القرية أو المكان.

ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع وضعُ البناء عليها قريبةً من الوسط ـ كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان

(١) **التجصيص**: بناؤها بالجص، وهو ما يسمىٰ في عصرنا: «الجِير».
(٢) **صحيح**: وقد تقدم.
(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

الضيق ـ، أو بعيدةً في الوسط ـ كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ـ. ومن زعم أن في لغة العرب ما يمنع من هذا الإطلاق فهو جاهلٌ لا يعرف لغة العرب، ولا يفهم لسانها، ولا يدري بما استعملته في كلامها.

وإذا تقرر لك هذا علمت أن رَفْعَ القبور ووضعَ القباب والمساجد والمَشاهد عليها:

ـ قد لَعَن رسولُ اللَّه ﷺ فاعله تارةً ـ كما تقدم ـ.

ـ وتارةً قال: «**اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]، فدعا عليهم بأن يشتد غضبُ اللَّه عليهم بما فعلوه من هذه المعصية؛ وذلك ثابت في «الصحيح».

ـ وتارةً نهىٰ عن ذلك.

ـ وتارةً بعث من يهدمه.

ـ وتارةً جعله من فعل اليهود والنصارىٰ.

ـ وتارةً قال: «**لا تتخذوا قبري وثنًا**».

ـ وتارةً قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**». أي: موسمًا يَجتمعون فيه؛ كما صار يفعله كثيرٌ من عُبَّاد القبور؛ يجعلون لمن يعتقدون من الأموات أوقاتًا معلومةً يجتمعون فيها عند قبورهم، ينسِكون لها المناسك[(٢)]، ويعكفون عليها، كما يعرف ذلك كلُّ أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين، الذين تركوا عبادة اللَّه ـ الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم ـ، وعبدوا عبدًا من عباد اللَّهِ صار تحت أطباق الثرىٰ، لا يقدر علىٰ أن يجلب لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) أي: يذبحون لها الذبائح.

ضرًّا، كما قال رسول اللَّه ﷺ فيما أمره اللَّه أن يقول: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة اللَّه مِن خلقه ـ بأمر ربه ـ: إنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا!

وكذلك قال ـ فيما صح عنه ـ: «**يا فاطمةُ بنتَ محمد، لا أُغني عنكِ من اللَّه شيئًا**»(١).

فإذا كان هذا قولَ رسول اللَّه ﷺ في نفسه، وفي أخصِّ قرابته به وأحبِّهم إليه، فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياءَ معصومين، ولا رسلًا مرسَلين؟ بل غاية ما عند أحدهم أنه فردٌ من أفراد هذه الأمة المحمدية، وواحدٌ من أهل هذه الملة الإسلامية؟ فهو أعجزُ وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضررًا.

وكيف لا يَعجِزُ عن شيءٍ قد عجز عنه رسول اللَّه ﷺ وأخبر به أمته، كما أخبر اللَّه عنه، وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وأنه لا يُغني عن أخص قرابته من اللَّه شيئًا؟!

فيا عجبًا! كيف يطمع من له أدنىٰ نصيب من علم، أو أقلُّ حظٍّ من عرفانٍ أن ينفعه أو يضره فردٌ من أفراد أمةِ هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة؛ والحال أنه فردٌ من التابعين له المقتدين بشرعه؟!

فهل سمعتْ أذناك ـ أرشدك اللَّه ـ بضلال عقلٍ أكبرَ من هذا الضلال الذي وقع في عُبَّاد أهل القبور؟! ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سميناها: «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»؛ وهي موجودةٌ بأيدي الناس؛ فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زيَّنه الشيطانُ للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين؛ فإن الجاهل إذا وقعت عينُه علىٰ قبرٍ من القبور قد بُنيت عليه قبةٌ فدخلها، ونظر علىٰ القبور إلىٰ الستور الرائعة، والسُّرجِ المتلألِئة، وقد سطعت حوله مجامرُ الطيب[١]، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيمًا لذلك القبر، ويضيق ذهنُه عن تصوُّر ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرعُ في قلبه من العقائد الشيطانية ـ التي هي من أعظم مكائدِ الشيطان للمسلمين، وأشدِّ وسائله إلىٰ ضلال العباد ـ ما يزلزله عن الإسلام قليلًا قليلًا، حتىٰ يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا اللَّهُ سبحانه، فيصير في عداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشركُ بأول رؤيةٍ لذلك القبر الذي صار علىٰ تلك الصفة، وعند أول زَوْرةٍ له[٢]؛ إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العنايةَ البالغةَ من الأحياء بمثل هذا الميت، لا تكون إلا لفائدةٍ يرجونها منه ـ إما دنيوية أو أخروية ـ، فيستصغر نفسه بالنسبة إلىٰ من يراه من أشباه العلماء[٣] زائرًا لذلك القبر، وعاكفًا عليه، ومتمسِّحًا بأركانه.

(١) **المجامر**: أوعية البخور.

(٢) **الزَّورة**: الزيارة.

(٣) وما أكثرَهم وأكثرَ بلاياهم علىٰ الأمَّة الجريحة!

وقد يجعل الشيطانُ طائفةً من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر، يخادعون مَن يأتي إليه من الزائرين، يهوِّلون عليهم الأمر، ويصنعون أمورًا من أنفسهم، وينسبونها إلىٰ الميت علىٰ وجهٍ لا يَفطن له مَن كان مِن المغفلين.

وقد يصنعون أكاذيبَ مشتملةً علىٰ أشياء يسمونها «كرامات لذلك الميت»، ويبثونها في الناس، ويكرِّرون ذكرها في مجالسهم، وعند اجتماعهم بالناس، فتَشيع وتستفيض، ويتلقاها مَن يُحسِنُ الظن بالأموات، ويَقبل عقلُه ما يُروىٰ عنهم من أكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهالُ في بليةٍ عظيمةٍ من الاعتقاد الشركي، ويَنذرون علىٰ ذلك الميت كرائمَ أموالهم، ويَحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبُّها إلىٰ قلوبهم، لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا وأجرًا كبيرًا، ويعتقدون أن ذلك قربةٌ عظيمة، وطاعةٌ نافعة، وحسنةٌ متقبَّلة! فيحصل بذلك مقصودُ أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم علىٰ ذلك القبر[1]؛ فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علىٰ الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك الأكاذيب، لينالوا جانبًا من الحُطام من أموال الطغام الأغتام[2].

وبهذه الذريعة الملعونة، والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقافُ علىٰ القبور، وبلغت مبلغًا عظيمًا، حتىٰ بلغت غَلَّاتُ ما يوقف علىٰ المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافُه لبلغ ما يقتاتُه أهلُ قريةٍ

(١) واللَّهِ ما جعلهم من إخوانه؛ بل جعلهم عبيدًا له.
(٢) **الأغتام**: السوقة الأراذل.

كبيرةٍ من قرىٰ المسلمين! ولو بِيعت تلك الحبائسُ الباطلةُ لأغنىٰ اللَّهُ بها طائفةً عظيمةً من الفقراء، وكلُّها من النذر في معصية اللَّه.

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية اللَّه**»[(١)].

وهي ـ أيضًا ـ من النذر الذي لا يُبتغىٰ به وجه اللَّه؛ بل كلها من النذور التي يستحقُّ بها فاعلُها غضبَ اللَّه وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها إلىٰ ما يُفضي به اعتقادُ الإلٰهيَّة في الأموات من تزلزل قدم الدين؛ إذ لا يَسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلَّا وقد زرع الشيطانُ في قلبه من محبةٍ وتعظيم ذلك القبر وصاحبه والمغالاة في الاعتقاد فيه= ما لا يعودُ به إلىٰ الإسلام سالمًا. نعوذ باللَّه من الخذلان.

ولا شك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طَلب منهم طالبٌ أن ينذر بذلك ـ الذي نذر به لقبر ميتٍ ـ علىٰ ما هو طاعةٌ من الطاعات وقربةٌ من القربات لم يفعل، ولا كاد.

فانظر إلىٰ أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء، وكيف رمىٰ بهم في هوةٍ بعيدةِ القعر، مظلمة الجوانب؟!

فهذه مفسدةٌ من مفاسد، القبور وتشييدها، وزخرفتها وتجصيصها.

ومن المفاسد البالغة إلىٰ حدٍّ يرمي بصاحبه إلىٰ وراء حائط الإسلام، ويُلقيه علىٰ أم رأسه من أعلىٰ مكان الدين= أن كثيرًا منهم يأتي بأحسن ما يملكُه من الأنعام، وأجود ما يحوزه من المواشي؛ فينحره عند ذلك القبر، متقربًا به إليه، راجيًا ما يُضمر حصوله له منه؛ فيُهِلُّ به لغير اللَّه[(٢)]، ويتعبد به لوثنٍ من الأوثان؛ إذ أنه لا

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) أي: يذبح علىٰ غير اسم اللَّه تعالىٰ.

فرق بين نحر النحائر لأحجارٍ منصوبة يسمونها «وثنًا»، وبين قبرٍ لميت يسمونه «قبرًا»، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئًا، ولا يؤثِّر تحليلًا ولا تحريمًا؛ فإن من أطلق علىٰ الخمر غير اسمها وشربها، كان حكمُه حكم من شربها وهو يسميها باسمها، بلا خلافٍ بين المسلمين أجمعين.

ولا شك أن النحر نوعٌ من أنواع العبادة التي تعبَّد اللَّهُ العبادَ بها، كالهدايا والفِدية والضحايا، فالمتقرِّبُ بها إلىٰ القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرضٌ بذلك إلا تعظيمُه وكرامته، واستجلابُ الخير منه، واستدفاع الشر به؛ وهذه عبادةٌ لا شك فيها، وكفاك من شرٍّ سماعه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

والنبي ﷺ يقول: «**لا عَقْرَ في الإسلام**»[(١)].

▫ قال عبدُالرزاق: «كانوا يَعقِرون عند القبر». يعني بقرًا وشياهًا.

وبعد هذا كله فاعلم أن ما سقناه من الدلالة، وما هو كالتوطيد لها، وما هو كالخاتمة نختم بها البحث: يقضي أبلغَ قضاء، وينادي أرفع نداء، ويدلُّ أوضح دلالة، ويفيد أجلىٰ مفاد= أن ما رواه صاحب «البحر» عن الإمام يحيىٰ غلطٌ من أغاليط العلماء، وخطأٌ من

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٩٧/٣)، وعبدالرزاق (٦٦٩٠)، وعبد بن حميد (١٢٥٣)، وأبو داود (٣٢٢٢)، وابن حبان (٣١٤٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩٤/٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٢٥٢/١)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٣٣/٢٠).

جنس ما يقع للمجتهدين، وهذا شأن البشر. والمعصوم من عصمه اللَّه.

وكلُّ عالم يُؤخذ من قوله ويُترك، مع كونه رَحِمَهُ اللَّهُ من أعظم الأئمة إنصافًا، وأكثرهم تحريًا للحق وإرشادًا وتأثيرًا، ولكننا لما رأيناه قد خالف من عداه بما قال من جواز بناء القباب علىٰ القبور، رددنا هذا الاختلاف إلىٰ ما أوجب اللَّهُ الرد إليه؛ وهو كتابُ اللَّه وسنةُ رسوله ﷺ؛ فوجدنا في ذلك ما قدمنا ذكره من الأدلة الدالة أبلغ دلالة، والمنادية بأعلىٰ صوتٍ بالمنع من ذلك والنهي عنه، واللعن لفاعله، والدعاء عليه، واشتداد غضب اللَّه عليه، مع ما في ذلك من كونه ذريعةً إلىٰ الشرك، ووسيلةً إلىٰ الخروج عن الملة ـ كما أوضحناه ـ.

فلو كان القائل بما قاله الإمام يحيىٰ بعض الأئمة ـ أو أكثرهم ـ لكان قولهم ردًّا عليهم ـ كما قدمناه في أول هذا البحث ـ؛ فكيف والقائل به فردٌ من أفرادهم؟!

وقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**كلُّ أمر ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[(١)]، ورفع القبور وبناء القباب والمساجد عليها ليس عليها أمرُ رسول اللَّه ﷺ ـ كما عرَّفناك ذلك ـ، فهو ردٌّ علىٰ قائله، أيْ مردودٌ عليه.

والذي شَرع للناس هذه الشريعة الإسلامية هو الرب ـ سبحانه ـ بما أنزله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ؛ فليس لعالِمٍ ـ وإن بلغ من العلم إلىٰ أرفع رتبةٍ وأعلىٰ منزلة ـ أن يكون بحيث يُقتدىٰ به

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فيما خالف الكتاب والسُّنة أو أحدهما؛ بل ما وقع منه من الخطأ ـ بعد توفية الاجتهاد حقه ـ يستحقُّ به أجرًا، ولا يجوز لغيره أن يتابعه عليه. وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد.

فائدة: [بطلان الاحتجاج بفعل العوام]:

وأما ما استدل به الإمام يحيىٰ حيث قال: «لاستعمال المسلمين ذلك ولم ينكروه»؛ فقولٌ مردود؛ لأن علماء المسلمين ما زالوا في كل عصر يرْوُون أحاديث رسول اللَّه ﷺ في لعن من فعل ذلك، ويقررون شريعة رسول اللَّه ﷺ في تحريم ذلك في مدارسهم ومجالس حفاظهم؛ يرويها الآخِرُ عن الأول، والصغير عن الكبير، والمتعلِّمُ عن العالِم من لدن أيام الصحابة إلىٰ هذه الغاية. وأوردها المحدِّثون في كتبهم المشهورة من الأمهات والمسندات والمصنفات، وأوردها المفسرون في تفاسيرهم، وأهلُ الفقه في كتبهم الفقهية، وأهل الأخبار والسِّير في كتب الأخبار والسير؛ فكيف يقال: إن المسلمين لم ينكروا علىٰ من فعل ذلك، وهم يرْوُون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفًا عن سلف في كل عصر؟! ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه.

وقد حكىٰ ابن القيم عن شيخه تقي الدين رَحِمَهُمَا اللَّهُ ـ وهو الإمام المحيط بمذهب سلف هذه الأمة وخلفه ـ أنه قد صرح عامةُ الطوائف بالنهي عن بناء المساجد علىٰ القبور.

ثم قال: «وصرح أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة، لكن ينبغي أن يُحمل علىٰ كراهة التحريم،

إحسانًا للظن بهم، وألَّا يُظنَّ بهم أن يجوِّزوا ما تواتر عن رسول اللَّه ﷺ لَعنُ فاعله والنهي عنه» انتهىٰ.

فانظر كيف حكىٰ التصريح عن عامة الطوائف؟ وذلك يدلُّ علىٰ أنه إجماعٌ من أهل العلم علىٰ اختلاف طوائفهم، ثم بعد ذلك جَعل أهل ثلاثة مذاهب مصرِّحين بالتحريم، وجعل طائفةً مصرِّحةً بالكراهة، وحملها علىٰ كراهة التحريم؛ فكيف يقال: إن بناء القباب والمشاهد علىٰ القبور لم ينكره أحد؟!

ثم انظر كيف يصحُّ استثناءُ أهل الفضل برفع القباب علىٰ قبورهم، وقد صح عن النبي ﷺ ـ كما قدمنا ـ أنه قال: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بَنَوْا علىٰ قبره مسجدًا**»[1]، ثم لعنهم بهذا السبب!

فكيف يسوغ من مسلمٍ أن يستثنيَ أهل الفضل بفعل هذا المحرَّم الشديد علىٰ قبورهم، مع أن أهل الكتاب ـ الذين لعنهم الرسول ﷺ وحذر الناس ما صنعوا ـ لم يعمروا المساجد إلَّا علىٰ قبور صلحائهم؟!

ثم هذا رسول اللَّه ﷺ ـ سيد البشر، وخير الخليقة، وخاتم الرسل، وصفوة اللَّه من خلقه ـ ينهىٰ أمته أن يجعلوا قبره مسجدًا أو وثنًا أو عيدًا ـ وهو القدوة لأمته ـ، ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر، وهم أحق الأمة بذلك وأولاهم به، وكيف يكون فِعلُ بعض الأمة وصلاحُه مسوِّغًا لفعل هذا المنكر علىٰ قبره؟!

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

وأصلُ الفضل ومرجعه هو رسول اللَّه ﷺ، وأي فضل يُنسب إلىٰ فضله أدنىٰ نسبة، أو يكون له بجنبه أقل اعتبار؟ فإن كان هذا محرمًا منهيًّا عنه ملعونًا فاعله في قبر رسول اللَّه ﷺ، فما ظنك بقبر غيره من أمته؟!

وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخلٌ في تحليل المحرمات وفعل المنكرات؟ اللهم غفرًا.

والحمد للَّه الذي هدانا للحق، ووفقنا لاتباعه.

وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد عبدِ اللَّه ورسوله، وعلىٰ آله أجمعين.

[٣٨]

حصن المسلم

لفضيلة الشيخ

سعيد بن وهف القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة[١]

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَهذا مُخْتَصَرٌ اخْتَصَرْتُهُ مِنْ كِتَابِي: «الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالعِلَاجُ بِالرُّقَىٰ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»[٢] اخْتَصَرْتُ فِيهِ قِسْمَ الأَذْكَارِ؛ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ فِي الأَسْفَارِ.

وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَىٰ مَتْنِ الذِّكْرِ، وَاكْتَفَيْتُ فِي تَخْرِيجِهِ بِذِكْرِ مَصْدَرٍ أَوْ مَصْدَرَيْنِ مِمَّا وُجِدَ فِي الأَصْلِ، وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الصَّحَابِيِّ أَوْ زِيَادَةً فِي التَّخْرِيجِ فَعَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الأَصْلِ.

(١) جميع التعليقات هي للمؤلف رحمه الله، إلا ما أعقبته برمز [ط] فهو مني. «أبو شعيب».

(٢) وقد طبع الأصل المذكور، ولله الحمد، مع تخريج أحاديثه تخريجًا موسعًا في أربعة مجلدات؛ «حصن المسلم» في المجلد الأول والثاني منها.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فِي حَيَاتِي، وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ، أَوْ طَبَعَهُ، أَوْ كَانَ سَبَبًا فِي نَشْرِهِ؛ إِنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَلِيُّ ذلك، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

المؤلف

حُرِّر في شهر صفر ١٤٠٩هـ

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٢].

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٤].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ ربَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٥].

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ[٦]، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقِكُم؟». قَالُوا: بَلَىٰ.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٥) البخاري مع الفتح، ٢٠٨/١١، برقم ٦٤٠٧، ومسلم، ٥٣٩/١، برقم ٧٧٩، بلفظ: «مثل البيت الذي يُذكر اللَّه فيه والبيت الذي لا يذكر اللَّه فيه مثل الحي والميت»، ٥٣٩/١.

(٦) الوَرق ـ بكسر الراء ـ: الفضة. [ط]

قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَىٰ»[١].

وَقَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا[٢]، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[٣]»[٤].

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[٥].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلكن: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[٦].

(١) الترمذي، ٤٥٩/٥، برقم ٣٣٧٧، وابن ماجه، ١٢٤/٢، برقم ٣٧٩٠، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣١٦/٢، وصحيح الترمذي، ١٣٩/٣.
وهذا من أحاديث الصفات التي نثبتها بلا كيفية. [ط]

(٢) **الباع**: مقدار ما بين أطراف الأصابع إلىٰ أعلىٰ الكتف. [ط]

(٣) هذا من أحاديث الصفات التي نُمِرُّها كما أتت. [ط]

(٤) البخاري، ١٧١/٨، برقم ٧٤٠٥، ومسلم، ٢٠٦١/٤، برقم ٢٦٧٥، واللفظ للبخاري.

(٥) الترمذي، ٤٥٨/٥، برقم ٣٣٧٥، وابن ماجه، ١٢٤٦/٢، ٣٧٩٣، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، ١٣٩/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢.

(٦) الترمذي، ١٧٥/٥، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني: صحيح الترمذي، ٩/٣، وصحيح الجامع الصغير، ٣٤٠/٥.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ، أَوْ إِلَىٰ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ[(١)] فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ»؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذلك. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ المَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[(٢)].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ[(٣)]، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجِعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»[(٤)].

وقال ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»[(٥)].

وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لهُمْ حَسْرةً»[(٦)].

(١) **كَوْماوين**: عظيمتَي السَّنام. [ط]

(٢) مسلم، ١/٥٥٣، برقم ٨٠٣.

(٣) **التِّرَة**: الحسرة والندم. [ط]

(٤) أبو داود، ٤/٢٦٤، برقم ٤٨٥٦، وغيره، وانظر: صحيح الجامع، ٥/ ٣٤٢.

(٥) الترمذي، ٥/٤٦١، برقم ٣٣٨٠، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٤٠.

(٦) أبو داود، ٤/٢٦٤، برقم ٤٨٥٥، وأحمد، ٢/٣٨٩، برقم ١٠٦٨٠، وانظر: صحيح الجامع، ٥/١٧٦.

١ ـ أَذْكَارُ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّومِ

١ ـ «الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(١).

٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي»(٢).

٣ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لي بِذِكْرِهِ»(٣).

٤ ـ «﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

(١) البخاري مع الفتح، ١١٣/١١، برقم ٦٣١٤، ومسلم، ٢٠٨٣/٤، برقم ٢٧١١.

(٢) «من قال ذلك غُفِرَ له، فإن دعا استجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلىٰ قُبلت صلاته»، البخاري مع الفتح، ٣٩/٣، برقم ١١٥٤، وغيره، واللفظ لابن ماجه، انظر: صحيح ابن ماجه، ٣٣٥/٢.

(٣) الترمذي، ٤٧٣/٥، برقم ٣٤٠١، وانظر: صحيح الترمذي، ١٤٤/٣.

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾»[(١)].

٢ ـ دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ

٥ ـ «الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي كَسَانِي هذا (الثَّوْبَ) وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّة...»[(٢)].

٣ ـ دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ الجَدِيدِ

٦ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»[(٣)].

٤ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا

٧ ـ «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَىٰ»[(٤)].

(١) الآيات من سورة آل عمران، ١٩٠-٢٠٠، البخاري مع الفتح، ٣٣٧/٨، برقم ٤٥٦٩، ومسلم، ٥٣٠/١، برقم ٢٥٦.

(٢) أخرجه أهل السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٤٠٢٣، والترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في: إرواء الغليل، ٤٧/٧.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، والترمذي، برقم ١٧٦٧، والبغوي، ٤٠/١٢، وانظر: مختصر شمائل الترمذي للألباني، ص٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤١/٤، برقم ٤٠٢٠، وانظر: صحيح أبي داود ٧٦٠/٢.

٨ ـ «الْبَسْ جَدِيدًا وَعِشْ حَمِيدًا وَمُتْ شَهِيدًا»[١].

٥ ـ مَا يَقُولُ إِذَا وَضَعَ ثَوْبَهُ

٩ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»[٢].

٦ ـ دُعَاءُ دُخُولِ الْخَلاءِ

١٠ ـ «[بِسْمِ اللَّهِ] اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبائِث»[٣].

٧ ـ دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْخَلاءِ

١١ ـ «غُفْرَانَكَ»[٤].

٨ ـ الذِّكْرُ قَبْلَ الْوُضُوءِ

١٢ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»[٥].

٩ ـ الذِّكْرُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ

١٣ ـ «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا

(١) ابن ماجه، ١١٧٨/٢، برقم ٣٥٥٨، والبغوي، ٤١/١٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢٧٥/٢.

(٢) الترمذي، ٥٠٥/٢، برقم ٦٠٦، وغيره، وانظر: إرواء الغليل، برقم ٥٠، وصحيح الجامع، ٢٠٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري، ٤٥/١، برقم ١٤٢، ومسلم، ٢٨٣/١، برقم ٣٧٥، وزيادة: «بسم الله» في أوله أخرجها سعيد بن منصور. انظر فتح الباري ٢٤٤/١.

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي فأخرجه في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٩، وأبو داود، برقم ٣٠، والترمذي، برقم ٧، وابن ماجه، برقم ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٩/١.

(٥) أبو داود، برقم ١٠١، وابن ماجه، برقم ٣٩٧، وأحمد، برقم ٩٤١٨، وانظر إرواء الغليل ١٢٢/١.

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

١٤ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»[(٢)].

١٥ ـ «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»[(٣)].

١٠ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ

١٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(٤)].

١٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[(٥)].

١١ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِ المَنْزِلِ

١٨ ـ «بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَىٰ اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ»[(٦)].

(١) مسلم، ٢٠٩/١، برقم ٢٣٤.

(٢) الترمذي، ٧٨/١، برقم ٥٥، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨/١.

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة، ص١٧٣، وانظر: إرواء الغليل ١٣٥/١، و٩٤/٣.

(٤) أبو داود، ٣٢٥/٤، برقم ٥٠٩٥، والترمذي، ٤٩٠/٥، برقم ٣٤٢٦، وانظر: صحيح الترمذي ١٥١/٣.

(٥) أهل السنن: أبو داود، برقم ٥٠٩٤، والترمذي، برقم ٣٤٢٧، والنسائي، برقم ٥٥٠١، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٤، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وصحيح ابن ماجه، ٣٣٦/٢.

(٦) أخرجه أبو داود، ٣٢٥/٤، ٥٠٩٦، وحسَّن إسناده العلامة ابن باز في «تحفة الأخيار»، ص٢٨، وفي الصحيح: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اللَّهَ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء**»، مسلم، =

١٢ ـ دُعَاءُ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ

١٩ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَعَظِّم لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وَفِي شَعْرِي نُورًا، وَفِي بَشَرِي نُورًا»[(١)].

«[اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي... وَنُورًا فِي عِظَامِي]»[(٢)] [«وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»][(٣)] [«وَهَبْ لِي نُورًا عَلَىٰ نُورٍ»][(٤)].

١٣ ـ دُعَاءُ دُخُولِ المَسْجِدِ

٢٠ ـ «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَىٰ»[(٥)]، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ

= برقم ٢٠١٨.

(١) انظر جميع هذه الألفاظ في البخاري، ١١٦/١١، برقم ٦٣١٦، ومسلم، ٥٢٦/١، و٥٢٩، و٥٣٠، برقم ٧٦٣.

(٢) الترمذي، ٤٨٣/٥، برقم ٣٤١٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٥، ص٢٥٨ وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٣٦.

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، وعزاه إلىٰ ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، انظر الفتح ١١٨/١١، وقال: فاجتمع من اختلاف الروايات خمس وعشرون خصلة.

(٥) لقول أنس بن مالك ﷺ: «من السنة إذ دخلت المسجد أن تَبدأ برجلك اليمنىٰ، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرىٰ»، أخرجه الحاكم، ١/ ٢١٨، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي، =

الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(١)] [بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ][(٢)] [وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ][(٣)] «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»[(٤)].

١٤ ـ دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ

٢١ ـ «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَىٰ»[(٥)]، وَيَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِك، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(٦)].

١٥ ـ أَذْكَارُ الأَذَانِ

٢٢ ـ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ، إِلَّا فِي «حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ»؛ فَيَقُولُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(٧)].

= ٤٤٢/٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٢٤/٥، برقم ٢٤٧٨.

(١) أبو داود، برقم ٤٦٦، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١.

(٢) رواه ابن السني، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٧.

(٣) أبو داود، ١٢٦/١، برقم ٤٦٥، وانظر: صحيح الجامع، ٥٢٨/١.

(٤) مسلم، ٤٩٤/١، برقم ٧١٣، وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة رضي الله عنها: «**اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك**»، وصححه الألباني لشواهده. انظر: صحيح ابن ماجه، ١٢٨/١ ١٢٩.

(٥) الحاكم، ٢١٨/١، والبيهقي، ٤٤٢/٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٢٤/٥، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه.

(٦) انظر تخريج روايات الحديث السابق في دعاء دخول المسجد، رقم (٢٠) وزيادة: «**اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**» لابن ماجه. انظر: صحيح ابن ماجه، ١٢٩/١.

(٧) البخاري، ١٥٢/١، برقم ٦١١، ورقم ٦١٣، ومسلم، ٢٨٨/١، برقم ٣٨٣.

٢٣ ـ يَقُولُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا»(١)، «يَقُولُ ذلك عَقِبَ تَشَهُّدِ الْمُؤَذِّنِ»(٢).

٢٤ ـ «يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ»(٣).

٢٥ ـ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ]»(٤).

٢٦ ـ «يَدْعُو لِنَفسِهِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لَا يُرَدُّ»(٥).

١٦ ـ دُعَاءُ الاسْتِفْتَاحِ

٢٧ ـ «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بِالثَّلْجِ وَالْماءِ وَالْبَرَدِ»(٦).

(١) مسلم، ١/٢٩٠، برقم ٣٨٦.

(٢) ابن خزيمة، ١/٢٢٠.

(٣) مسلم، ١/٢٨٨، برقم ٣٨٤.

(٤) البخاري، ١/١٥٢، برقم ٦١٤، وما بين المعقوفين للبيهقي، ١/٤١٠، وحسَّن إسناده العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله في «تحفة الأخيار»، ص٣٨.

(٥) الترمذي، برقم ٣٥٩٤، ورقم ٣٥٩٥، وأبو داود، برقم ٥٢٥، وأحمد، برقم ١٢٢٠٠، وانظر: إرواء الغليل، ١/٢٦٢.

(٦) البخاري، ١/١٨١، برقم ٧٤٤، ومسلم، ١/٤١٩، برقم ٥٩٨.

٢٨ ـ «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتبارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ»(١).

٢٩ ـ «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلك أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إله إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِها إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»(٢).

٣٠ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيْكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السماوات وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٣).

٣١ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ثلاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ،

(١) مسلم، برقم ٣٩٩، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود، برقم ٧٧٥، والترمذي، برقم ٢٤٣، وابن ماجه، برقم ٨٠٦، والنسائي، برقم ٨٩٩، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٧٧، وصحيح ابن ماجه، ١/١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١.

(٣) أخرجه مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧٠.

وَهَمْزِهِ[١]»[٢].

٣٢ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ[٣]، أَنْتَ نُورُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ] [وَلَكَ الْحَمْدُ] [أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسّاعَةُ حَقٌّ]، [اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبكَ خاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ] [وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي]؛ [أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ]، [أَنْتَ إِلٰهي لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ] [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ]»[٤].

(١) **الهَمز**: الجنون.

(٢) أخرجه أبو داود، ٢٠٣/١، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، ٢٦٥/١، برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٨٥/٤، برقم ١٦٧٣٩، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: «حسن لغيره»، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: «وهو حديث صحيح بشواهده»، وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، وفيه قصة، ٤٢٠/١، برقم ٦٠١.

(٣) كان النبي ﷺ يقوله إذا قام من الليل يتهجد.

(٤) البخاري مع الفتح، ٣/٣، و١١٦/١١، و٣٧١/١٣، ٤٢٣، ٤٦٥،، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصرًا بنحوه، ٥٣٢/١، برقم ٧٦٩.

١٧ ـ دُعَاءُ الرُّكُوعِ

٣٣ ـ «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». ثلاث مرَّاتٍ[١].

٣٤ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[٢].

٣٥ ـ «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٣].

٣٦ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، [وَمَا استَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي]»[٤].

٣٧ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»[٥].

١٨ ـ دُعَاءُ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

٣٨ ـ «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»[٦].

٣٩ ـ «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيهِ»[٧].

(١) أخرجه أهل السنن، وأحمد: أبو داود، برقم ٨٧٠، والترمذي، برقم ٢٦٢، والنسائي، برقم ١٠٠٧، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وأحمد، برقم، ٣٥١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٨٣.

(٢) البخاري، ١/٩٩، برقم، ٧٩٤، ومسلم، ١/٣٥٠، برقم ٤٨٤.

(٣) مسلم، ١/٣٥٣، برقم ٤٨٧، وأبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٢.

(٤) مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١، والأربعة إلا ابن ماجه: أبو داود، برقم ٧٦٠، ورقم ٧٦١، والترمذي، برقم ٣٤٢١، والنسائي، برقم ١٠٤٩، وما بين المعقوفين لفظ ابن خزيمة، برقم ٦٠٧، وابن حبان، برقم ١٩٠١.

(٥) أبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وإسناده حسن.

(٦) البخاري مع الفتح، ٢/٢٨٢، برقم ٧٩٦.

(٧) البخاري مع الفتح، ٢/٢٨٤، برقم ٧٩٦.

٤٠ ـ «مِلْءَ السماوات وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ. أَهلَ الثَّناءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(١).

١٩ ـ دُعَاءُ السُّجُودِ

٤١ ـ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ» ثلاث مرَّاتٍ(٢).

٤٢ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»(٣).

٤٣ ـ «سُبوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»(٤).

٤٤ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسنُ الْخَالِقِينَ»(٥).

٤٥ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»(٦).

٤٦ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَّتَهُ

(١) مسلم، ١/٣٤٦، برقم ٤٧٧.

(٢) أخرجه أهل السنن، وأحمد: أبو داود، برقم ٨٧٠، والترمذي، برقم ٢٦٢، والنسائي، برقم ١٠٠٧، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وأحمد، برقم، ٣٥١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٨٣.

(٣) البخاري، برقم، ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم برقم ٣٤.

(٤) مسلم، ١/٥٣٣، برقم ٤٨٧، وأبو داود، برقم ٨٧٢، وتقدم برقم ٣٥.

(٥) مسلم، ١/٥٣٤، برقم ٧٧١، وغيره.

(٦) أبو داود، ١/٢٣٠، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/١٦٦، وتقدم تخريجه برقم ٣٧.

وَسِرَّهُ»[(١)].

٤٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[(٢)].

٢٠ ـ دُعَاءُ الْجِلْسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

٤٨ ـ «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[(٣)].

٤٩ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي»[(٤)].

٢١ ـ دُعَاءُ سُجُودِ التِّلَاوَةِ

٥٠ ـ «سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾»[(٥)].

٥١ ـ «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»[(٦)].

(١) مسلم، ١/٢٣٠، برقم ٤٨٣.

(٢) مسلم، ١/٣٥٢، برقم ٤٨٦.

(٣) أبو داود، ١/٢٣١، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/١٤٨.

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، ١/٢٣١، برقم ٨٥٠، والترمذي، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وابن ماجه، برقم ٨٩٨، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٩٠، وصحيح ابن ماجه، ١/١٤٨.

(٥) الترمذي، ٢/٤٧٤، برقم ٣٤٢٥، وأحمد، ٦/٣٠، برقم ٢٤٠٢٢، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٢٢٠ والزيادة له، والآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون.

(٦) الترمذي، ٢/٤٧٣، برقم ٥٧٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٢١٩.

٢٢ ـ التَّشَهُّدُ

٥٢ ـ «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَواتُ، وَالطَّيِّباتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ»[(١)].

٢٣ ـ الصَّلاةُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ

٥٣ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٢)].

٥٤ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٣)].

٢٤ ـ الدُّعَاءُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأخِيرِ قَبْلَ السَّلَامِ

٥٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(٤)].

٥٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ

(١) البخاري مع الفتح، ٣١١/٢، برقم ٨٣١، ومسلم، ٣٠١/١، برقم ٤٠٢.
(٢) البخاري مع الفتح، ٤٠٨/٦، برقم ٣٣٧٠، ومسلم، برقم ٤٠٦.
(٣) البخاري مع الفتح، ٤٠٧/٦، برقم ٣٣٦٩، ومسلم، ٣٠٦/١، برقم ٤٠٧، واللفظ له.
(٤) البخاري، ١٠٢/٢، برقم ١٣٧٧، ومسلم، ٤١٢/١، برقم ٥٨٨، واللفظ لمسلم.

الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»(١).

٥٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ»(٢).

٥٨ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ»(٣).

٥٩ ـ «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ»(٤).

٦٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»(٥).

٦١ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»(٦).

٦٢ ـ «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) البخاري، ٢٠٢/١، برقم ٨٣٢، ومسلم، ٤١٢/١، برقم ٥٨٧.
(٢) البخاري، ١٦٨/٨، برقم ٨٣٤، ومسلم، ٢٠٧٨/٤، برقم ٢٧٠٥.
(٣) مسلم، ٥٣٤/١، برقم ٧٧١.
(٤) أبو داود، ٨٦/٢، برقم، ١٥٢٢، والنسائي، ٥٣/٣، برقم، ٢٣٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٤/١.
(٥) البخاري مع الفتح، ٣٥/٦، برقم ٢٨٢٢، ورقم ٦٣٩٠.
(٦) أبو داود، برقم ٧٩٢، وابن ماجه، برقم ٩١٠، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٢٨/٢.

خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[(١)].

٦٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ـ يَا اللَّهُ ـ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ، وَلَمْ يَكنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[(٢)].

٦٤ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»[(٣)].

٦٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[(٤)].

(١) النسائي، ٣/٥٤، ٥٥، برقم ١٣٠٤، وأحمد، ٤/٣٦٤، برقم، ٢١٦٦٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨١.

(٢) أخرجه النسائي، ٣/٥٢، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، ٤/٣٣٨، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨٠.

(٣) رواه أهل السنن: أبو داود، برقم ١٤٩٥، والترمذي، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٨، والنسائي، برقم ١٢٩٩، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٢٩.

(٤) أبو داود، ٢/٦٢، برقم ١٤٩٣، والترمذي، ٥/٥١٥، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، ٢/١٢٦٧، برقم ٣٨٥٧، والنسائي، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨٠، وانظر: =

٢٥ ـ الأَذْكَارُ بَعْدَ السَّلامِ مِنَ الصَّلاةِ

٦٦ ـ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلَاثًا) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(١).

٦٧ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [ثلاثًا]، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(٢).

٦٨ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ»(٣).

٦٩ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثًا وثلاثين) لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٤).

٧٠ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

= صحيح ابن ماجه، ٣٢٩/٢، وصحيح الترمذي، ١٦٣/٣.

(١) مسلم، ٤١٤/١، رقم ٥٩١.

(٢) البخاري، ٢٥٥/١، برقم ٨٤٤، ومسلم، ٤١٤/١، برقم ٥٩٣، وما بين المعقوفين زيادة من البخاري، برقم ٦٤٧٣.

(٣) مسلم، ٤١٥/١ برقم ٥٩٤.

(٤) مسلم، ٤١٨/١، برقم ٥٩٧، وفيه: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

﴿٥﴾﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ(١).

٧١ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ عَقِبَ كلِّ صَلَاةٍ(٢).

٧٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ وَالصُّبْحِ(٣).

٧٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا». بَعْدَ السَّلامِ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ(٤).

(١) أبو داود، ٨٦/٢، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، ٣/ ٦٨، برقم ١٣٣٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٨/٢. والسور الثلاث يقال لها: «المعوذات». انظر: فتح الباري، ٦٢/٩.

(٢) «من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وابن السني، برقم، ١٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٣٩/٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٩٧/٢، برقم ٩٧٢، والآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٣) رواه الترمذي، ٥١٥/٥، برقم ٣٤٧٤، وأحمد، ٢٢٧/٤، برقم ١٧٩٩٠، وانظر تخريجه في: زاد المعاد ٣٠٠/١.

(٤) ابن ماجه، برقم ٩٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١٥٢/١، ومجمع الزوائد ١١١/١٠، وسيأتي =

٢٦ ـ دُعَاءُ صَلاةِ الاسْتِخَارَةِ

٧٤ ـ قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: كَانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأمْرَ ـ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ـ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ـ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»[(١)].

وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وَشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[(٢)].

٢٧ ـ أَذْكَارُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ[(٣)].

= برقم ٩٥.

(١) البخاري، ١٦٢/٧، برقم ١١٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) عن أنس يرفعه: «لأن أقعد مع قوم يذكرون اللَّه تعالىٰ من صلاة الغداة حتىٰ تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أُعتق أربعةً من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون اللَّه من صلاة العصر إلىٰ أن تغرب الشمس أحبُّ =

٧٥ - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[1].

٧٦ - ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (ثلاث مرَّاتٍ)[2].

٧٧ - «**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ**[3]، **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،**

= **إليَّ من أن أعتق أربعة**». أبو داود، برقم ٣٦٦٧، وحسنه الألباني، في صحيح أبي داود، ٦٩٨/٢.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. «**من قالها حين يصبح أُجير من الجن حتىٰ يمسي، ومن قالها حين يمسي أُجير منهم حتىٰ يصبح**» أخرجه الحاكم، ٥٦٢/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١، وعزاه إلىٰ النسائي، والطبراني، وقال: «إسناد الطبراني جيد».

(٢) من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي كفته من كل شيء. أخرجه أبو داود، ٣٢٢/٤، برقم ٥٠٨٢، والترمذي، ٥٦٧/٥، برقم ٣٥٧٥، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨٢/٣.

(٣) وإذا أمسىٰ قال: أمسينا وأمسىٰ الملك للَّه.

رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذا الْيَوْمِ وَخَيرَ مَا بَعْدَهُ[١]، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»[٢].

٧٨ ـ «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا[٣]، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»[٤].

٧٩ ـ «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ[٥] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ»[٦].

٨٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ[٧] أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» (أربعَ مَرَّاتٍ)[٨].

(١) وإذا أمسىٰ قال: «رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها».

(٢) مسلم، ٤/٢٠٨٨، برقم ٢٧٢٣.

(٣) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير».

(٤) الترمذي، ٥/٤٦٦، برقم ٣٣٩١، وانظر: صحيح الترمذي ٣/١٤٢.

(٥) أقر وأعترف.

(٦) «من قالها موقنًا بها حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة»، وكذلك إذا أصبح. أخرجه البخاري، ٧/١٥٠، برقم ٦٣٠٦.

(٧) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم إني أمسيت».

(٨) «من قالها حين يصبح، أو يمسي أربع مرات، أعتقه اللَّه من النار». أخرجه أبو داود، ٤/٣١٧، برقم ٥٠٧١، والبخاري في الأدب المفرد، =

٨١ ـ «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي[١] مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ»[٢].

٨٢ ـ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[٣].

٨٣ ـ «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (سَبْعَ مَرَّاتٍ)[٤].

= برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٩، وابن السني، برقم ٧٠، وحسَّن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله إسناد النسائي، وأبي داود، في تحفة الأخيار، ص٢٣.

(١) وإذا أمسىٰ قال: «**اللَّهم ما أمسىٰ بي...**».

(٢) «**من قالها حين يصبح فقد أدَّىٰ شكر يومه، ومن قالها حين يمسي فقد أدَّىٰ شكر ليلته**» أخرجه أبو داود، ٣١٨/٤، برقم ٥٠٧٥، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، برقم ٧، وابن السني، برقم ٤١، وابن حبان، «موارد» برقم ٢٣٦١، وحسَّن ابن باز رحمه الله إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٤.

(٣) أبو داود، ٣٢٤/٤، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، ٤٢/٥، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، برقم ٢٢، وابن السني، برقم ٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠١، وحسَّن العلامة ابن باز رحمه الله إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٦.

(٤) «**من قالها حين يصبح وحين يمسي سبع مرات كفاه اللَّه ما أهمَّه من أمر الدنيا والآخرة**». أخرجه ابن السني، برقم ٧١ مرفوعًا، وأبو داود موقوفًا، ٣٢١/٤، برقم ٥٠٨١، وصحَّح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. انظر: زاد المعاد ٣٧٦/٢.

٨٤ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَينِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(١).

٨٥ ـ «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السماوات وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ وَشَرَكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ»(٢).

٨٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)(٣).

٨٧ ـ «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» (ثلاثَ مرَّاتٍ)(٤).

(١) أبو داود، برقم ٥٠٧٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٧١، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٢.

(٢) الترمذي، برقم ٣٣٩٢، وأبو داود، برقم ٥٠٦٧. وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٤٢.

(٣) «من قالها ثلاثًا إذا أصبح، وثلاثًا إذا أمسىٰ لم يضره شيء». أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٣، برقم، ٥٠٨٨، والترمذي، ٥/٤٦٥، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، وأحمد، برقم ٤٤٦. وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وحسَّن إسناده العلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص٣٩.

(٤) «من قالها ثلاثًا حين يصبح وثلاثًا حين يمسي، كان حقًّا علىٰ اللَّه أن يرضيه يوم القيامة». أحمد، ٤/٣٣٧، برقم ١٨٩٦٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٤، وابن السني، برقم ٦٨، وأبو داود، ٤/٣١٨، =

٨٨ ـ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»(١).

٨٩ ـ «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الْيَوْمِ(٣): فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ»(٤).

٩٠ ـ «أَصْبَحْنا عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ(٥)، وَعَلَىٰ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشرِكِينَ»(٦).

٩١ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (مئة مرَّةٍ)(٧).

= برقم ١٥٣١، والترمذي، ٤٦٥/٥، برقم، ٣٣٨٩، وحسَّنه ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار ص٣٩.

(١) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٥٤٥/١، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١.

(٢) وإذا أمسىٰ قال: «أمسينا وأمسىٰ الملك للَّه ربِّ العالمين».

(٣) وإذا أمسىٰ قال: «اللَّهم إني أسألك خير هذه الليلة: فتحها، ونصرها، ونورها، وبركتها، وهداها، وأعوذ بك من شر ما فيها، وشر ما بعدها».

(٤) أبو داود، ٣٢٢/٤، برقم ٥٠٨٤، وحسَّن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٣٧٣/٢.

(٥) وإذا أمسىٰ قال: «أمسينا علىٰ فطرة الإسلام».

(٦) أحمد، ٤٠٦/٣، و٤٠٧، برقم ١٥٣٦٠، ورقم ١٥٥٦٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٤، وانظر: صحيح الجامع، ٢٠٩/٤.

(٧) «من قالها مئة مرة حين يصبح وحين يمسي لم يأتِ أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه». مسلم، ٤/ ٢٠٧١ برقم ٢٦٩٢.

٩٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (عشرَ مرَّات)[١]، أَوْ (مرَّةً واحدةً عندَ الكَسَلِ)[٢].

٩٣ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (مئةَ مرَّةٍ إذا أصبحَ)[٣].

٩٤ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ: عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أصبحَ)[٤].

٩٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» (إذا أصبحَ)[٥].

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٤، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٢/١، وتحفة الأخيار لابن باز رحمه الله، ص٤٤، وانظر فضلها في: ص١٤٦، حديث، رقم ٢٥٥.

(٢) أبو داود، برقم ٥٠٧٧، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٨، وأحمد، برقم ٨٧١٩، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٠/١، وصحيح أبي داود، ٣/ ٩٥٧، وصحيح ابن ماجه، ٣٣١/٢، وزاد المعاد، ٣٧٧/٢.

(٣) «من قالها مئة مرة في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَ له مئة حسنة، ومُحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». البخاري، ٩٥/٤، برقم ٣٢٩٣، ومسلم، ٢٠٧١/٤، برقم ٢٦٩١.

(٤) مسلم، ٢٠٩٠/٤، برقم ٢٧٢٦.

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٤، وابن ماجه، برقم ٩٢٥، وحسَّن إسناده عبدالقادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٣٧٥/٢، وتقدم برقم ٧٣.

٩٦ ـ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» (مِائَةَ مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ)[١].

٩٧ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أمسىٰ)[٢].

٩٨ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ» (عشرَ مرَّاتٍ)[٣].

٢٨ ـ أَذْكَارُ النَّوْمِ

٩٩ ـ «يَجْمَعُ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا فَيَقْرَأُ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقبَلَ مِنْ جَسَدِهِ». (يفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)[٤].

(١) البخاري مع الفتح، ١٠١/١١، برقم ٦٣٠٧، ومسلم، /٢٠٧٥، برقم ٢٧٠٢.

(٢) «من قالها حين يمسي ثلاث مرات لم تضرَّه حُمَة تلك الليلة»، أخرجه أحمد، ٢٩٠/٢، برقم ٧٨٩٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٩٠، وابن السني، برقم ٦٨، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨٧/٣، وصحيح ابن ماجه، ٢٦٦/٢، وتحفة الأخيار لابن باز، ص٤٥.

(٣) «من صلَّىٰ عليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة» أخرجه الطبراني بإسنادين: أحدهما جيد، انظر: مجمع الزوائد، ١٢٠/١٠، وصحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١.

(٤) البخاري مع الفتح، ٦٢/٩، برقم ٥٠١٧، ومسلم، برقم ٢١٩٢.

١٠٠ - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[(١)].

١٠١ - ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[(٢)].

١٠٢ - «**بِاسْمِكَ**[(٣)] **رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»[(٤)].

١٠٣ - «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، «**من قرأها إذا أوىٰ إلىٰ فراشه فإنه لن يزال عليه من اللَّه حافظ ولا يقربه شيطان حتىٰ يصبح**»، البخاري مع الفتح، ٤٨٧/٤، برقم ٢٣١١.

(٢) «**من قرأهما في ليلة كفتاه**»، البخاري مع الفتح، ٩٤/٩، برقم ٤٠٠٨، ومسلم، ٥٥٤/١، برقم ٨٠٧، والآيتان من سورة البقرة، ٢٨٥ ٢٨٦.

(٣) «**إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصَنِفَةِ إزاره ثلاث مرات، وليُسمِّ اللَّه؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل**:...» الحديث، [ومعنىٰ: بصَنِفة إزاره: طَرَفه مِمَّا يَلِي طُرَّته]. النهاية في غريب الحديث والأثر (صنف).

(٤) البخاري مع الفتح، ١٢٦/١١، برقم ٦٣٢٠. ومسلم، ٢٠٨٤/٤، برقم ٢٧١٤.

أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»[(١)].

١٠٤ ـ «اللَّهُمَّ قِنِي[(٢)] عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»[(٣)].

١٠٥ ـ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»[(٤)].

١٠٦ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ (ثلاثًا وثلاثِينَ) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (ثلاثًا وثلاثين) وَاللَّهُ أَكْبَرُ (أربعًا وثلاثينَ»[(٥)].

١٠٧ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ السماوات السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[(٦)].

١٠٨ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ

(١) أخرجه مسلم، ٢٠٨٣/٤، برقم ٢٧١٢، وأحمد بلفظه، ٧٩/٢، برقم ٥٥٠٢.

(٢) «كان ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنىٰ تحت خدِّه، ثم يقول:...» الحديث.

(٣) أبو داود بلفظه، ٣١١/٤، برقم ٥٠٤٥، والترمذي، برقم ٣٣٩٨، وانظر: صحيح الترمذي، ١٤٣/٣، وصحيح أبي داود، ٢٤٠/٣.

(٤) البخاري مع الفتح، ١١٣/١١، برقم ٦٣٢٤، ومسلم، ٢٠٨٣/٤، برقم ٢٧١١.

(٥) «من قال ذلك عندما يأوي إلىٰ فراشه كان خيرًا له من خادم». البخاري مع الفتح، ٧١/٧، برقم ٣٧٠٥، ومسلم، ٢٠٩١/٤، برقم ٢٧٢٦.

(٦) مسلم، ٢٠٨٤/٤، برقم ٢٧١٣.

لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ»[(١)].

١٠٩ ـ «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِم»[(٢)].

١١٠ ـ «يَقْرَأُ ﴿الٓمٓ﴾ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[(٣)].

١١١ ـ «اللَّهُمَّ[(٤)] أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[(٥)].

٢٩ ـ الدُّعَاءُ إِذَا تَقَلَّبَ لَيْلاً

١١٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»[(٦)].

(١) مسلم، ٤/٢٠٨٥، برقم ٢٧١٥.

(٢) أبو داود، ٤/٣١٧، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٦٢٩، وانظر: صحيح الترمذي ٣/١٤٢.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٠٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٠٧، وانظر: صحيح الجامع ٤/٢٥٥.

(٤) «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن، ثم قل:...» الحديث.

(٥) قال ﷺ لمن قال ذلك: «فإن مُتَّ مُتَّ علىٰ الفطرة». البخاري مع الفتح، ١١/١١٣، برقم ٦٣١٣، ومسلم، ٤، ٢٠٨١، برقم ٢٧١٠.

(٦) يقول ذلك إذا تقلب من جنب إلىٰ جنب في الليل. أخرجه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/٥٤٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة، =

٣٠ ـ دُعَاءُ الْفَزَعِ فِي النَّوْمِ وَمَنْ بُلِيَ بِالْوِحْشَةِ

١١٣ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ»(١).

٣١ ـ مَا يَفْعَلُ مَنْ رَأَى الرُّؤْيَا أَوِ الْحُلْمَ

١١٤ ـ «يَنْفُثُ عَنْ يَسَارِهِ» (ثلاثًا)(٢).

«يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَىٰ» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)(٣).

«لَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا»(٤).

«يَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»(٥).

١١٥ ـ «يَقُومُ يُصَلِّي إِنْ أَرَادَ ذلك»(٦).

٣٢ ـ دُعَاءُ قُنُوتِ الْوِتْرِ

١١٦ ـ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ(٧)، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، [وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ]، تَبَارَكْتَ

= برقم ٢٠٢، وابن السني، برقم ٧٥٧، وانظر: صحيح الجامع ٢١٣/٤.

(١) أبو داود، ١٢/٤، برقم ٣٨٩٣، والترمذي، برقم ٣٥٢٨، وانظر: صحيح الترمذي، ١٧١/٣.

(٢) مسلم، ١٧٧٢/٤، برقم ٢٢٦١.

(٣) مسلم، ١٧٧٢/٤، ١٧٧٣، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٢.

(٤) مسلم، ١٧٧٢/٤، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٣.

(٥) مسلم، ١٧٧٣/٤، برقم ٢٢٦١.

(٦) مسلم، ١٧٧٣/٤، برقم ٢٢٦٣.

(٧) أي: تحكم بما تريد، ولا يحكم أحدٌ عليك. [ط]

ـ رَبَّنا ـ وَتَعَالَيْتَ»[(١)].

١١٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[(٢)].

١١٨ ـ «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَىٰ وَنَحْفِدُ[(٣)]، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَىٰ عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالكَافِرِينَ مُلْحِقٌ[(٤)]. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مَنْ يَكْفرُكَ»[(٥)].

٣٣ ـ الذِّكْرُ عَقِبَ السَّلامِ مِنَ الْوِتْرِ

١١٩ ـ «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ»، ثلاثَ مرَّاتٍ والثَّالِثَةُ يَجْهَرُ بها

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد، والدارمي، والبيهقي: أبو داود، برقم ١٤٢٥، والترمذي، برقم ٤٦٤، والنسائي، برقم ١٧٤٤، وابن ماجه، برقم ١١٧٨، وأحمد، برقم ١٧١٨، والدارمي، برقم ١٥٩٢، والحاكم، ١٧٢/٣، والبيهقي، ٢٠٩/٢، وما بين المعقوفين للبيهقي، وانظر: صحيح الترمذي، ١٤٤/١، وصحيح ابن ماجه، ١٩٤/١، وإرواء الغليل للألباني، ١٧٢/٢.

(٢) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد: أبو داود، برقم ١٤٢٧، والترمذي، برقم ٣٥٦٦، والنسائي، برقم ١٧٤٦، وابن ماجه، برقم ١١٧٩، وأحمد، برقم ٧٥١. انظر: صحيح الترمذي، ١٨٠/٣، وصحيح ابن ماجه، ١٩٤/١، والإرواء، ١٧٥/٢.

(٣) نَحفد: نُسرع. [ط]

(٤) بكسر الحاء أو فتحها. انظر: «المجالسة» للدينوري (٥٣/٤). [ط]

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ، وصحَّح إسناده، ٢١١/٢، وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل: وهذا إسناد صحيح»، ١٧٠/٢. وهو موقوف علىٰ عمر.

ويَمُدُّ بها صَوتَهُ يقولُ: [رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ]»[(١)].

٣٤ ـ دُعَاءُ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ

١٢٠ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»[(٢)].

١٢١ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ[(٣)] وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٤)].

٣٥ ـ دُعَاءُ الْكَرْبِ

١٢٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[(٥)].

(١) رواه النسائي، ٢٤٤/٣، برقم ١٧٣٤، والدارقطني، ٣١/٢، وغيرهما، وما بين المعقوفين زيادة للدارقطني ٣١/٢، برقم ٢، وإسناده صحيح، انظر: زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ٣٣٧/١.

(٢) أحمد، ٣٩١/١، برقم ٣٧١٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٣٧/١.

(٣) أي: ثُقلُه وشدته. [ط]

(٤) البخاري، ١٥٨/٧، برقم: ٢٨٩٣، كان الرسول ﷺ يكثر من هذا الدعاء. انظر: البخاري مع الفتح، ١٧٣/١١، وسيأتي ص ٨٩، برقم ١٣٧.

(٥) البخاري، ١٥٤/٧، برقم ٦٣٤٥، ومسلم، ٢٠٩٢/٤، برقم ٢٧٣٠.

١٢٣ ـ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ»(١).

١٢٤ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»(٢).

١٢٥ ـ «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٣).

٣٦ ـ دُعَاءُ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَذِي السُّلْطَانِ

١٢٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»(٤).

١٢٧ ـ «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقاتِلُ»(٥).

١٢٨ ـ «حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(٦).

٣٧ ـ دُعَاءُ مَنْ خَافَ ظُلْمَ السُّلْطَانِ

١٢٩ ـ «اللَّهُمَّ ربَّ السَّمَاواتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَأَحْزَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ

(١) أبو داود، ٣٢٤/٤، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٤٢/٥، برقم ٢٠٤٣٠، وحسّنه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٥٩/٣.

(٢) الترمذي، ٥٢٩/٥، برقم ٣٥٠٥، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٠٥، وانظر: صحيح الترمذي، ١٦٨/٣.

(٣) أخرجه أبو داود، ٨٧/٢، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٣٥/٢.

(٤) أبو داود، ٨٩/٢، برقم ١٥٣٧، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ٢/ ١٤٢.

(٥) أبو داود، ٤٢/٣، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، ٥٧٢/٥، برقم ٣٥٨٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨٣/٣.

(٦) البخاري، ١٧٢/٥، برقم ٤٥٦٣.

أَوْ يَطْغَىٰ، عَزَّ جَارُكَ[١]، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ»[٢].

١٣٠ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلَانٍ، وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلٰه غَيْرُكَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[٣].

٣٨ ـ الدُّعَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ

١٣١ ـ «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[٤].

٣٩ ـ مَا يَقُولُ مَنْ خَافَ قَوْمًا

١٣٢ ـ «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»[٥].

٤٠ ـ دُعَاءُ مَنْ أَصَابَهُ وَسْوَسَةٌ فِي الإِيمَانِ

١٣٣ ـ «يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ»[٦].

(١) أي: عزَّ وعلا من كان في حمايتك. [ط]

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٥.

(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦.

(٤) مسلم، ١٣٦٢/٣، برقم ١٧٤٢.

(٥) مسلم، ٢٣٠٠/٤، برقم ٣٠٠٥.

(٦) البخاري مع الفتح، ٣٣٦/٦، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، ١٢٠/١، برقم ١٣٤.

«يَنْتَهِي عَمَّا وَسْوَسَ فِيهِ»[(١)].

١٣٤ ـ «يَقُولُ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»[(٢)].

١٣٥ ـ «يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾»[(٣)].

٤١ ـ دُعَاءُ قَضَاءِ الدَّيْنِ

١٣٦ ـ «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»[(٤)].

١٣٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٥)].

٤٢ ـ دُعَاءُ الوَسْوَسَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ

١٣٨ ـ «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، وَاتْفُلْ عَلَىٰ يَسَارِكَ (ثلاثًا)»[(٦)].

٤٣ ـ دُعَاءُ مَنِ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ أَمْرٌ

١٣٩ ـ «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ

(١) البخاري مع الفتح، ٣٣٦/٦، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، ١٢٠/١، برقم ١٣٤.
(٢) مسلم، ١١٩/١ ١٢٠، برقم ١٣٤.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٣. أبو داود، ٣٢٩/٤، برقم ٥١١٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٦٢/٣.
(٤) الترمذي، ٥٦٠/٥، برقم ٣٥٦٣، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨٠/٣.
(٥) البخاري، ١٥٨/٧، برقم ٢٨٩٣، وتقدم ص ٨٣، برقم ١٢١.
(٦) مسلم، ١٧٢٩/٤، برقم ٢٢٠٣، من حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ، وفيه: «ففعلت ذلك، فأذهبه اللَّه عني».

سَهْلًا»[(١)].

٤٤ ـ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا

١٤٠ ـ «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»[(٢)].

٤٥ ـ دُعَاءُ طَرْدِ الشَّيطَانِ وَوَسَاوِسِهِ

١٤١ ـ «الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْهُ»[(٣)].

١٤٢ ـ «الْأَذَانُ»[(٤)].

١٤٣ ـ «الْأَذْكَارُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[(٥)].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، برقم ٢٤٢٧ (موارد)، وابن السني، برقم ٣٥١، وقال الحافظ: «هذا حديث صحيح»، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج الأذكار للنووي، ص١٠٦.

(٢) أبو داود، ٨٦/٢، برقم ١٥٢١، والترمذي، ٢٥٧/٢، برقم ٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٣/١.

(٣) أبو داود، ٢٠٣/١، برقم، وابن ماجه، ٢٦٥/١، برقم ٨٠٧، وتقدم تخريجه برقم ٣١، وانظر: سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧ ٩٨.

(٤) مسلم، ٢٩١/١، برقم ٣٨٩، والبخاري، ١٥١/١، برقم ٦٠٨.

(٥) «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»، رواه مسلم، ٥٣٩/١، برقم ٧٨٠، ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه... وغير ذلك من الأذكار المشروعة، مثل: قراءة آية الكرسي عند النوم، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ومن قال: لا إلٰهَ إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير مئة مرة، كانت =

٤٦ ـ الدُّعَاءُ حِينَمَا يَقَعُ مَا لا يَرْضَاهُ أَوْ غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ

١٤٤ ـ «قَدَرُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»(١).

٤٧ ـ تَهْنِئَةُ المَوْلُودِ لَهُ وَجَوَابُهُ

١٤٥ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ»(٢). وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْمُهَنَّأُ فَيَقُولُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَكَ»(٣).

٤٨ ـ مَا يُعَوَّذُ بِهِ الأَوْلادُ

١٤٦ ـ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَينَ رضي الله عنهما: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»(٤).

= له حرزًا من الشيطان يومه كله، وكذا الأذان يطرد الشيطان.

(١) «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن باللَّهِ ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَرُ اللَّه وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**». مسلم، ٢٠٥٢/٤، برقم ٢٦٦٤.

(٢) ذُكِرَ من كلام الحسن البصري. انظر: تحفة المودود لابن القيم، ص ٢٠، وعزاه لابن المنذر في الأوسط.

(٣) قاله النووي في الأذكار، ص٣٤٩، وانظر: صحيح الأذكار للنووي، لسليم الهلالي، ٧١٣/٢، وتمام التخريج في الذكر والدعاء والعلاج بالرقىٰ للمؤلف، ٤١٦/١.

(٤) البخاري، ١١٩/٤، برقم ٣٣٧١، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٤٩ ـ الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ فِي عِيَادَتِهِ

١٤٧ ـ «لَا بأْسَ؛ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[(١)].

١٤٨ ـ «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ» (سبع مرات)[(٢)].

٥٠ ـ فَضْلُ عِيَادَةِ المَرِيضِ

١٤٩ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَىٰ فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ[(٣)] حَتَّىٰ يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[(٤)].

٥١ ـ دُعَاءُ المَرِيضِ الَّذِي يَئِسَ مِنْ حَيَاتِهِ

١٥٠ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ»[(٥)].

(١) البخاري مع الفتح، ١١٨/١٠، برقم ٣٦١٦.

(٢) «ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات...» الحديث، إلَّا عوفي. أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٨٣، وأبو داود، برقم ٣١٠٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٢١٠/٢، وصحيح الجامع، ١٨٠/٥.
تنبيه: هذا الدعاء للمريض وأمثاله لا يقال بصورةٍ جماعية ـ كما يفعل بعضهم ـ، فلا يدعو واحدٌ ويؤمن الباقون؛ بل كلٌّ يدعو في سرِّه علىٰ حدة؛ لأن هذه هي السُّنة الثابتة عنه ﷺ. أما الجماعية فهي صفةٌ مبتدعةٌ لم تثبت. [ط]

(٣) **خرافة الجنة**: قطف ثمارها. [ط]

(٤) رواه الترمذي، برقم ٩٦٩، وابن ماجه، برقم ١٤٤٢، وأحمد، برقم ٩٧٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢٤٤/١ وصحيح الترمذي، ٢٨٦/١، وصححه أيضًا أحمد شاكر.

(٥) البخاري، ١٠/٧، برقم ٤٤٣٥، ومسلم، ١٨٩٣/٤، برقم ٢٤٤٤.

١٥١ ـ «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»(١).

١٥٢ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٢).

٥٢ ـ تَلْقِينُ الْمُحْتَضَرِ

١٥٣ ـ «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

٥٣ ـ دُعَاءُ مَن أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

١٥٤ ـ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»(٤).

٥٤ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِغْمَاضِ الْمَيِّتِ

١٥٥ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ (بِاسْمِهِ)، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»(٥).

٥٥ ـ الدُّعَاءُ لِلمَيِّتِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ

١٥٦ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ،

(١) البخاري مع الفتح، ١٤٤/٨، برقم ٤٤٤٩، وفي الحديث ذكر السواك.
(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢.
(٣) أبو داود، ١٩٠/٣، برقم ٣١١٦، وانظر: صحيح الجامع، ٤٣٢/٥.
(٤) مسلم، ٦٣٢/٢، برقم ٩١٨.
(٥) مسلم، ٦٣٤/٢، برقم ٩٢٠.

وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ [وَعَذَابِ النَّارِ]»(١).

١٥٧ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَىٰ الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»(٢).

١٥٨ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ(٣)، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٤).

١٥٩ ـ «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، احْتَاجَ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ»(٥).

٥٦ ـ الدُّعَاءُ لِلْفَرَطِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ

١٦٠ ـ «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(٦).

(١) مسلم، ٦٦٣/٢، برقم ٩٦٣.

(٢) أبو داود، برقم ٣٢٠١، والترمذي، برقم ١٠٢٤، والنسائي، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه، ٤٨٠/١، برقم ١٤٩٨، وأحمد، ٣٦٨/٢، برقم ٨٨٠٩، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢٥١/١.

(٣) أي: في حمايتك وحفظك. [ط]

(٤) أخرجه ابن ماجه، برقم ١٤٩٩، انظر: صحيح ابن ماجه، ٢٥١/١، ورواه أبو داود، ٢١١/٣، برقم ٣٢٠٢.

(٥) أخرجه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٣٥٩/١، وانظر: أحكام الجنائز للألباني، ص١٢٥.

(٦) قال سعيد بن المسيب: «صلَّيتُ وراء أبي هريرة علىٰ صبيٍّ لم يعمل =

وإن قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطًا وَذُخْرًا لِوَالِدَيْهِ، وَشَفِيعًا مُجَابًا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجورَهُمَا، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَسْلَافِنَا، وَأَفْرَاطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ» فَحَسَنٌ(١).

١٦١ ـ «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لنَا فَرَطًا، وَسَلَفًا، وَأَجْرًا»(٢).

٥٧ ـ دُعَاءُ التَّعْزِيَةِ

١٦٢ ـ «إِنَّ للَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ. فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»(٣).

وَإِنْ قَالَ: «أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكَ» فَحَسَنٌ(٤).

= خطيئة قَطُّ، فسمعته يقول...» الحديث. أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ٢٨٨، وابن أبي شيبة في المصنف، ٢١٧/٣، والبيهقي، ٩/٤، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبغوي، ٣٥٧/٥.

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ٤١٦/٣، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، ص١٥.

(٢) كان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب، ويقول... الحديث. أخرجه البغوي في شرح السنة، ٣٥٧/٥، وعبدالرزاق برقم ٦٥٨٨، وعلقه البخاري في كتاب الجنائز، ٦٥ باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة، ١١٣/٢، قبل الحديث رقم ١٣٣٥.

(٣) البخاري، ٨٠/٢، برقم ١٢٨٤، ومسلم، ٦٣٦/٢، برقم ٩٢٣.

(٤) الأذكار للنووي، ص١٢٦.

٥٨ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِدْخَالِ الميِّتِ الْقَبْرَ

١٦٣ ـ «بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»(١).

٥٩ ـ الدُّعَاءُ بَعْدَ دَفْنِ المَيِّتِ

١٦٤ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ»(٢).

٦٠ ـ دُعَاءُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

١٦٥ ـ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، [وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتأْخِرِينَ] أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»(٣).

٦١ ـ دُعَاءُ الرِّيحِ

١٦٦ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا»(٤).

١٦٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ

(١) أبو داود، ٣/٣١٤، برقم ٣٢١٥، بسند صحيح، وأحمد، برقم ٥٢٣٤، ورقم ٤٨١٢ بلفظ: «**بسم اللَّه، وعلىٰ ملَّة رسول اللَّه**»، وسنده صحيح.

(٢) كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل**». أبو داود، ٣/٣١٥، برقم ٣٢٢٣، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ١/٣٧٠.

(٣) مسلم، ٢/٦٧١، برقم ٩٧٥، وابن ماجه، ١/٤٩٤، واللفظ له، برقم ١٥٤٧ عن بريدة رضي الله عنه، وما بين المعقوفين من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم، ٢/٦٧١، برقم ٩٧٥.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤/٣٢٦، برقم ٥٠٩٩، وابن ماجه، ٢/١٢٢٨، برقم ٣٧٢٧، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/٣٠٥.

بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»[(١)].

٦٢ ـ دُعَاءُ الرَّعْدِ

١٦٨ ـ «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»[(٢)].

٦٣ ـ مِنْ أَدْعِيَةِ الاسْتِسْقَاءِ

١٦٩ ـ «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا[(٣)]، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ»[(٤)].

١٧٠ ـ «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»[(٥)].

١٧١ ـ «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»[(٦)].

٦٤ ـ الدُّعَاءُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ

١٧٢ ـ «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»[(٧)].

(١) مسلم، واللفظ له، ٦٦٦/٢، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٧٦/٤ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩.

(٢) كان عبداللَّه بن الزبير ﷺ إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال:... الحديث، الموطأ، ٩٩٢/٢، وقال الألباني في صحيح الكلم الطيب، ١٥٧: «صحيح الإسناد موقوفًا».

(٣) **مريئًا**: محمود العاقبة. **مريعًا**: كثير الخير والبركة. [ط]

(٤) أبو داود، ٣٠٣/١، برقم ١١٧١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢١٦/١.

(٥) البخاري، ٢٢٤/١، برقم ١٠١٤، ومسلم، ٦١٣/٢، برقم ٨٩٧.

(٦) أبو داود، ٣٠٥/١، برقم ١١٧٨، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٢١٨/١.

(٧) البخاري مع الفتح، ٥١٨/٢، برقم ١٠٣٢.

٦٥ ـ الذِّكْرُ بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ

١٧٣ ـ «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»[(١)].

٦٦ ـ مِنْ أَدْعِيَةِ الاسْتِصْحَاءِ

١٧٤ ـ «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الآكَامِ وَالظِّرَابِ[(٢)]، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»[(٣)].

٦٧ ـ دُعَاءُ رُؤيَةِ الهِلاَلِ

١٧٥ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَىٰ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»[(٤)].

٦٨ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ إِفْطَارِ الصَّائِمِ

١٧٦ ـ «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[(٥)].

١٧٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»[(٦)].

(١) البخاري، ٢٠٥/١، برقم ٨٤٦، ومسلم، ٨٣/١، برقم ٧١.

(٢) **الظراب**: الروابي الصغيرة. [ط]

(٣) البخاري، ٢٢٤/١، برقم ٩٣٣، ومسلم، ٦١٤/٢، برقم ٨٩٧.

(٤) الترمذي، ٥٠٤/٥، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ٣٣٦/١، وانظر: صحيح الترمذي، ١٥٧/٣.

(٥) أخرجه أبو داود، ٣٠٦/٢، برقم ٢٣٥٩، وغيره. وانظر: صحيح الجامع، ٢٠٩/٤.

(٦) أخرجه ابن ماجه، ٥٥٧/١، برقم ١٧٥٣ من دعاء عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار. انظر: شرح الأذكار، ٣٤٢/٤.

٦٩ ـ الدُّعَاءُ قَبْلَ الطَّعَامِ

١٧٨ ـ «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بسمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»(١).

١٧٩ ـ «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ»(٢).

٧٠ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

١٨٠ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هذا، وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»(٣).

١٨١ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ [مَكْفِيٍّ وَلَا] مُوَدَّعٍ(٤)، وَلَا مُسْتَغْنًىٰ عَنْهُ رَبَّنَا»(٥).

٧١ ـ دُعَاءُ الضَّيْفِ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ

١٨٢ ـ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُم، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»(٦).

٧٢ ـ التَّعْرِيضُ بِالدُّعَاءُ لِطَلَبِ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ

١٨٣ ـ «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»(٧).

(١) أخرجه أبو داود، ٣/٣٤٧، برقم ٣٧٦٧، والترمذي، ٤/٢٨٨، برقم ١٨٥٨، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/١٦٧.

(٢) الترمذي، ٥/٥٠٦، برقم ٣٤٥٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/١٥٨.

(٣) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٤٠٢٥، والترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وانظر صحيح الترمذي، ٣/١٥٩.

(٤) **المودَّع**: المتروك الطلب منه والرغبة إليه ﷺ.

(٥) البخاري، ٦/٢١٤، برقم ٥٤٥٨، والترمذي بلفظه، ٥/٥٠٧، برقم ٣٤٥٦.

(٦) مسلم، ٣/١٦١٥، برقم ٢٠٤٢.

(٧) مسلم، ٣/١٦٢٦، برقم ٢٠٥٥.

٧٣ ـ الدُّعَاءُ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ

١٨٤ ـ «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ»(١).

٧٤ ـ دُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَلَمْ يُفْطِرْ

١٨٥ ـ «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ»(٢)، وَمَعْنَىٰ «فَلْيُصَلِّ»: أَيْ فَلْيَدْعُ.

٧٥ ـ مَا يَقُولُ الصَّائِمُ إِذَا سَابَّهُ أَحَدٌ

١٨٦ ـ «إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»(٣).

٧٦ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ رُؤْيَةِ بَاكُورَةِ الثَّمَرِ

١٨٧ ـ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا»(٤).

٧٧ ـ دُعَاءُ الْعُطَاسِ

١٨٨ ـ «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ

(١) سنن أبي داود، ٣/٣٦٧، برقم ٣٨٥٦، وابن ماجه، ١/٥٥٦، برقم ١٧٤٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٩٦ ٢٩٨، ونصَّ علىٰ أنه ﷺ يقوله إذا أفطر عند أهل بيت، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠.

(٢) مسلم، ٢/١٠٥٤، برقم ١١٥٠.

(٣) البخاري مع الفتح، ٤/١٠٣، برقم ١٨٩٤، ومسلم، ٢/٨٠٦، برقم ١١٥١.

(٤) مسلم، ٢/١٠٠٠، برقم ١٣٧٣.

وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[(١)].

٧٨ ـ مَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ

١٨٩ ـ «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[(٢)].

٧٩ ـ الدُّعَاءُ لِلْمُتَزَوِّجِ

١٩٠ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»[(٣)].

٨٠ ـ دُعاءُ المُتَزَوِّجِ وَشِرَاءِ الدَّابَّةِ

١٩١ ـ إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْتَرَىٰ خَادِمًا فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذلك»[(٤)].

٨١ ـ الدُّعَاءُ قَبْلَ إِتْيَانِ الزَّوْجَةِ

١٩٢ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»[(٥)].

(١) البخاري، ١٢٥/٧، برقم ٥٨٧٠.
(٢) الترمذي، ٨٢/٥، برقم ٢٧٤١، وأحمد، ٤٠٠/٤، برقم ١٩٥٨٦، وأبو داود، ٣٠٨/٤، برقم ٥٠٤٠، وانظر: صحيح الترمذي، ٣٥٤/٢.
(٣) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٢١٣٠، والترمذي، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، برقم ١٩٠٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٥٩، وانظر: صحيح الترمذي، ٣١٦/١.
(٤) أبو داود، ٢٤٨/٢، برقم ٢١٦٠، وابن ماجه، ٦١٧/١، برقم ١٩١٨، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٣٢٤/١.
(٥) البخاري، ١٤١/٦، برقم ١٤١، ومسلم، ١٠٢٨/٢، برقم ١٤٣٤.

٨٢ ـ دُعَاءُ الغَضَبِ

١٩٣ ـ «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(١).

٨٣ ـ دُعَاءُ مَنْ رَأَى مُبْتَلَىً

١٩٤ ـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»(٢).

٨٤ ـ مَا يُقَالُ فِي المَجْلِسِ

١٩٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ منْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»(٣).

٨٥ ـ كَفَّارَةُ المَجْلِسِ

١٩٦ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٤).

(١) البخاري، ٩٩/٧، برقم ٣٢٨٢، ومسلم، ٢٠١٥/٤، برقم ٢٦١٠.

(٢) الترمذي، ٤٩٤/٥، و٤٩٣/٥، برقم ٣٤٣٢، وانظر: صحيح الترمذي، ١٥٣/٣.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٤، وابن ماجه، برقم ٣٨١٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١٥٣/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣٢١/٢، ولفظه للترمذي.

(٤) أصحاب السنن: أبو داود، برقم ٤٨٥٨، والترمذي، برقم ٣٤٣٣، والنسائي، برقم ١٣٤٤، وانظر صحيح الترمذي ١٥٣/٣، وقد ثبت أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما جلس رسول اللَّه ﷺ مجلسًا، ولا تَلا قرآنًا، ولا صلَّىٰ صلاةً إلا ختم ذلك بكلمات...» الحديث، أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٠٨، وأحمد، ٧٧/٦، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه =

٨٦ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ غَفَرَ اللهُ لَكَ

١٩٧ ـ «وَلَكَ»[١].

٨٧ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا

١٩٨ ـ «جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا»[٢].

٨٨ ـ مَا يَعْصِمُ اللهُ بِهِ مِنَ الدَّجَّالِ

١٩٩ ـ «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[٣]، وَالْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَتِهِ عَقِبَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ[٤].

٨٩ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ

٢٠٠ ـ «أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ»[٥].

٩٠ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ عَرَضَ عَلَيْكَ مَالَهُ

٢٠١ ـ «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ»[٦].

= الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص ٢٧٣.

(١) أحمد، ٨٢/٥، برقم ٢٠٧٧٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ص ٢١٨، برقم ٤٢١، تحقيق الدكتور فاروق حمادة.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٣٥، وانظر: صحيح الجامع، ٦٢٤٤ وصحيح الترمذي، ٢٠٠/٢.

(٣) مسلم، ٥٥٥/١، برقم ٨٠٩، وفي رواية: من آخر الكهف، ٥٥٦/١، برقم ٨٠٩.

(٤) انظر: حديث رقم ٥٥، وحديث ٥٦، ص ٤١ من هذا الكتاب.

(٥) أخرجه أبو داود، ٣٣٣/٤، برقم ٥١٢٥، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٦٥/٣.

(٦) البخاري مع الفتح، ٢٨٨/٤، برقم ٢٠٤٩.

٩١ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ أَقْرَضَ عِنْدَ القَضَاءِ

٢٠٢ ـ «بارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ»(١).

٩٢ ـ دُعَاءُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

٢٠٣ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»(٢).

٩٣ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ

٢٠٤ ـ «وَفِيكَ بَارَكَ اللَّهُ»(٣).

٩٤ ـ دُعَاءُ كَرَاهِيَةِ الطِّيَرَةِ

٢٠٥ ـ «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلٰه غَيْرُكَ»(٤).

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، ص٣٠٠، وابن ماجه، ٨٠٩/٢، برقم ٢٤٢٤، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٥٥/٢.

(٢) أحمد، ٤٠٣/٤، برقم ١٩٦٠٦، والأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، وانظر: صحيح الجامع، ٢٣٣/٣، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني، ١٩/١.

(٣) أخرجه ابن السني، ص١٣٨، برقم ٢٧٨، وانظر: الوابل الصيب لابن القيم، ص٣٠٤، تحقيق بشير محمد عيون.

(٤) أحمد، ٢٢٠/٢، برقم ٧٠٤٥، وابن السني، برقم ٢٩٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥٤/٣، برقم ١٠٦٥، أما الفأل فكان يعجب النبي ﷺ؛ ولهذا سمع من رجل كلمة طيبة فأعجبته فقال: «**أخذنا فألك من فيك**»، أبو داود، برقم ٣٧١٩، وأحمد، برقم ٩٠٤٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٦٣/٢، عند أبي الشيخ في =

٩٥ ـ دُعَاءُ الرُّكُوبِ

٢٠٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، «الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

٩٦ ـ دُعَاءُ السَّفَرِ

٢٠٧ ـ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، «اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هذا البِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ».

وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»(٢).

٩٧ ـ دُعاءُ دُخُولِ القريَةِ أَوِ البَلْدَةِ

٢٠٨ ـ «اللَّهُمَّ رَبَّ السماوات السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّياطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ

= أخلاق النبي ﷺ، ص٢٧٠.

(١) أبو داود، ٣٤/٣، برقم ٢٦٠٢، والترمذي، ٥٠١/٥، برقم ٣٤٤٦، وانظر: صحيح الترمذي، ١٥٦/٣، الآيتان من سورة الزخرف: ١٣، ١٤.

(٢) مسلم، ٩٧٨/٢، برقم ١٣٤٢.

خَيْرَ هذه الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»[١].

٩٨ ـ دُعاءُ دُخُولِ السُّوقِ

٢٠٩ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاِ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

٩٩ ـ الدُّعَاءُ إِذَا تَعِسَ المَرْكُوبُ

٢١٠ ـ «بِسْمِ اللَّهِ»[٣].

١٠٠ ـ دُعَاءُ المُسَافِرِ لِلْمُقِيمِ

٢١١ ـ «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»[٤].

١٠١ ـ دُعَاءُ المُقِيمِ لِلْمُسَافِرِ

٢١٢ ـ «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[٥].

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١٠٠/٢، وابن السني، برقم ٥٢٤، وحسَّنه الحافظ في تخريج الأذكار، ١٥٤/٥، قال العلامة ابن باز رحمه الله: «ورواه النسائي بإسناد حسن». انظر: تحفة الأخيار، ص٣٧.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٢٨، وابن ماجه، ٢٩١/٥، برقم ٣٨٦٠، والحاكم، ١/ ٥٣٨، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢١/٢، وفي صحيح الترمذي، ١٥٢/٣.

(٣) أبو داود، ٢٩٦/٤، برقم ٤٩٨٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٤١/٣.

(٤) أحمد، ٤٠٣/٢، برقم ٩٢٣٠، وابن ماجه، ٩٤٣/٢، برقم ٢٨٢٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١٣٣/٢.

(٥) أحمد، ٧/٢، برقم ٤٥٢٤، والترمذي، ٤٩٩/٥، برقم، ٣٤٤٣، وصححه =

٢١٣ ـ «زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُ ما كُنْتَ»[(١)].

١٠٢ ـ التَّكبيرُ والتَّسبِيحُ في سَيْرِ السَّفَرِ

٢١٤ ـ قَالَ جَابِرٌ ﷺ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[(٢)].

١٠٣ ـ دُعاءُ المُسَافِرِ إِذَا أَسْحَرَ

٢١٥ ـ «سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا[(٣)]، رَبَّنَا صاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»[(٤)].

١٠٤ ـ الدُّعَاءُ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ

٢١٦ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[(٥)].

١٠٥ ـ ذِكْرُ الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ

٢١٧ ـ «يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ[(٦)] ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

= الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٤١٩/٣.

(١) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وانظر: صحيح الترمذي، ١٥٥/٣.

(٢) البخاري مع الفتح، ١٣٥/٦، برقم ٢٩٩٣.

(٣) **البلاء**: الإنعام. [ط]

(٤) مسلم، ٢٠٨٦/٤، برقم ٢٧١٨، ومعنىٰ سَمعَ سامِعٌ: أي شهد شاهدٌ علىٰ حمدنا للَّه تعالىٰ علىٰ نعمه، وحسن بلائه. ومعنىٰ سَمَّعَ سامِعٌ: بلِّغ سامع قولي هذا لغيره، وقال مثله تنبيهًا علىٰ الذكر في السحر والدعاء. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، ٣٩/١٧.

(٥) مسلم، ٢٠٨٠/٤، برقم ٢٧٠٩.

(٦) **الشرف**: المرتفع. [ط]

آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ»[(١)].

١٠٦ ـ مَا يَقُولُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يَكْرَهُهُ

٢١٨ ـ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ»[(٢)].

١٠٧ ـ فَضْلُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

٢١٩ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[(٣)].

٢٢٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٤)].

٢٢١ ـ وَقَالَ ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(٥)].

٢٢٢ ـ وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ

(١) كان النبي ﷺ يقوله إذا قَفَلَ من غزوٍ أو حجٍّ، البخاري، ١٦٣/٧، برقم ١٧٩٧، ومسلم، ٩٨٠/٢، برقم ١٣٤٤.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٧٧، والحاكم وصححه، ٤٩٩/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٠١/٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٨٨/١، برقم ٣٨٤.

(٤) أبو داود، ٢١٨/٢، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ٣٦٧/٢، برقم ٨٨٠٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣٨٣/٢.

(٥) الترمذي، ٥٥١/٥، برقم ٣٥٤٦، وغيره، وانظر: صحيح الجامع، ٣/ ٢٥، وصحيح الترمذي، ١٧٧/٣.

أُمَّتِي السَّلَامَ»[(١)].

٢٢٣ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِيَ حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»[(٢)].

١٠٨ ـ إِفْشَاءُ السَّلَامِ

٢٢٤ ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُم عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٣)].

٢٢٥ ـ «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»[(٤)].

٢٢٦ ـ وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[(٥)].

١٠٩ ـ كَيْفَ يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَى الْكَافِرِ إِذَا سَلَّمَ

٢٢٧ ـ «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[(٦)].

(١) النسائي، ٤٣/٣، برقم ١٢٨٢، والحاكم، ٤٢١/٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٧٤/١.

(٢) أبو داود، برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣٨٣/١.

(٣) مسلم، ٧٤/١، برقم ٥٤، وأحمد، برقم ١٤٣٠، واللفظ له، ولفظ مسلم: «لا تدخلون...».

(٤) البخاري مع الفتح، ٨٢/١،، برقم ٢٨، عن عمار رضي الله عنه موقوفًا معلقًا.

(٥) البخاري مع الفتح، ٥٥/١، برقم ١٢، ومسلم، ٦٥/١، برقم ٣٩.

(٦) البخاري مع الفتح، ٤٢/١١، برقم ٦٢٥٨، ومسلم، ١٧٠٥/٤، برقم ٢١٦٣.

١١٠ ـ الدُّعاءُ عِنْدَ سَمَاعِ صِياحِ الدِّيكِ ونَهِيقِ الْحِمَارِ

٢٢٨ ـ «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَانًا»(١).

١١١ ـ الدُّعَاءُ عِنْدَ سَمَاعِ نُبَاحِ الْكِلَابِ بِاللَّيْلِ

٢٢٩ ـ «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»(٢).

١١٢ ـ الدُّعَاءُ لِمَنْ سَبَبْتَهُ

٢٣٠ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ؛ فَاجْعَلْ ذلك لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

١١٣ ـ مَا يَقُولُ الْمُسْلِمُ إِذَا مَدَحَ الْمُسْلِمَ

٢٣١ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَىٰ اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ ـ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ ـ كَذَا وَكَذَا»(٤).

(١) البخاري مع الفتح، ٣٥٠/٦، برقم ٣٣٠٣، ومسلم، ٢٠٩٢/٤، برقم ٢٧٢٩.
(٢) أبو داود، ٣٢٧/٤، برقم ٥١٠٥، وأحمد، ٣٠٦/٣، برقم ١٤٢٨٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٦١/٣.
(٣) البخاري مع الفتح، ١٧١/١١، برقم ٦٣٦١، ومسلم، ٢٠٠٧/٤، برقم ٣٩٦، ولفظه: «فاجعلها له زكاةً ورحمةً».
(٤) رواه مسلم، ٢٢٩٦/٤، برقم ٣٠٠٠.

١١٤ ـ مَا يَقُولُ المُسْلِمُ إِذَا زُكِّيَ

٢٣٢ ـ «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، [وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ]»(١).

١١٥ ـ كَيْفَ يُلَبِّي المُحْرِمُ فِي الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ

٢٣٣ ـ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»(٢).

١١٦ ـ التَّكْبِيرُ إِذَا أَتَى الْحَجَرَ الأَسْوَدَ

٢٣٤ ـ «طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَىٰ بَعِيرٍ؛ كُلَّمَا أَتَىٰ الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ»(٣).

١١٧ ـ الدُّعَاءُ بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الأَسْوَدِ

٢٣٥ ـ «﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾»(٤).

(١) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٦١، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٨٥، وما بين المعقوفين زيادة للبيهقي في شعب الإيمان، ٢٢٨/٤ من طريق آخر.

(٢) البخاري مع الفتح، ٤٠٨/٣، برقم ١٥٤٩، ومسلم، ٨٤١/٢، برقم ١١٨٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ٤٧٦/٣، برقم ١٦١٣، والمراد بالشيء: المحجن. انظر: البخاري مع الفتح، ٤٧٢/٣.

(٤) أبو داود، ١٧٩/٢، برقم ١٨٩٤، وأحمد، ٤١١/٣، برقم ١٥٣٩٨، والبغوي في شرح السنة، ١٢٨/٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٣٥٤، والآية من سورة البقرة: ٢٠١.

١١٨ ـ دُعَاءُ الْوُقُوفِ عَلَى الصَّفَا وَالمَرْوَةِ

٢٣٦ ـ لَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا؛ فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذلك. قَالَ مِثْلَ هذا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الْحَدِيثُ. وَفِيهِ: «فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا»[(١)].

١١٩ ـ الدُّعَاءُ يَوْمَ عَرَفَةَ

٢٣٧ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٢)].

١٢٠ ـ الذِّكْرُ عِنْدَ المَشْعَرِ الْحَرَامِ

٢٣٨ ـ «رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَصْوَاءَ[(٣)] حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ؛ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ (فَدَعَاهُ، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ)، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمسُ»[(٤)].

(١) مسلم، ٢/٨٨٨، برقم ١٢١٨، والآية من سورة البقرة، رقم ١٥٨.

(٢) الترمذي، برقم ٣٥٨٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/٦.

(٣) ناقته ﷺ. [ط]

(٤) مسلم، ٢/٨٩١، برقم ١٢١٨.

١٢١ ـ التَّكْبِيرُ عِنْدَ رَمْيِ الْجِمَارِ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ

٢٣٩ ـ «يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَىٰ بِحَصَاةٍ عِنْدَ الْجِمَارِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، ويَقِفُ يَدْعُو مُسْتَقْبِلَ الْقِبلَةِ، رَافِعًا يَدَيْهِ بَعْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ. أَمَّا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ فَيَرْمِيهَا، وَيُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَنْصَرِفُ وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا»[(١)].

١٢٢ ـ دُعَاءُ التَّعَجُّبِ وَالأَمْرِ السَّارِّ

٢٤٠ ـ «سُبْحَانَ اللَّهِ!»[(٢)].

٢٤١ ـ «اللَّهُ أَكْبَرُ!»[(٣)].

١٢٣ ـ مَا يَفْعَلُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ

٢٤٢ ـ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ ـ أَوْ يُسَرُّ بِهِ ـ، خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ ﷻ»[(٤)].

١٢٤ ـ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ مَنْ أَحَسَّ وَجَعًا فِي جَسَدِهِ

٢٤٣ ـ «ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ـ ثَلَاثًا ـ،

(١) البخاري مع الفتح، ٥٨٣/٣، برقم ١٧٥١، وانظر لفظه هناك. والبخاري مع الفتح، ٥٨٣/٣، و٥٨٤/٣، و٥٨١/٣، برقم ١٧٥٣، ورواه مسلم أيضًا، برقم ١٢١٨.

(٢) البخاري مع الفتح، ٢١٠/١، و٣٩٠، و٤١٤، برقم، ١١٥، ورقم ٣٥٩٩، ورقم ٦٢١٨، ومسلم، ١٨٥٧/٤، برقم ١٦٧٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ٤٤١/٨، برقم ٤٧٤١، وبرقم ٣٠٦٢، والترمذي، برقم ٢١٨٠، والنسائي في الكبرىٰ، برقم ١١١٨٥، وانظر: صحيح الترمذي، ١٠٣/٢، و٢٣٥/٢، ومسند أحمد، ٢١٨/٥، برقم ٢١٩٠٠.

(٤) رواه أهل السنن إلا النسائي: أبو داود، برقم ٢٧٧٤، والترمذي، برقم ١٥٧٨، وابن ماجه، برقم ١٣٩٤. انظر صحيح ابن ماجه، ٢٣٣/١، وإرواء الغليل، ٢٢٦/٢.

وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[(١)].

١٢٥ ـ دُعَاءُ مَنْ خَشِيَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ

٢٤٤ ـ «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُم مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ [فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ]؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»[(٢)].

١٢٦ ـ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْفَزَعِ

٢٤٥ ـ «لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ!»[(٣)].

١٢٧ ـ مَا يَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ أَوِ النَّحْرِ

٢٤٦ ـ «بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، [اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ] اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي»[(٤)].

١٢٨ ـ مَا يَقُولُ لِرَدِّ كَيْدِ مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ

٢٤٧ ـ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ وَذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا

(١) مسلم، ١٧٢٨/٤، برقم ٢٢٠٢.

(٢) مسند أحمد ٤٤٧/٤، برقم ١٥٧٠٠، وابن ماجه، برقم ٣٥٠٨، ومالك، ١١٨/٣ ـ ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٢/١، وانظر تحقيق زاد المعاد للأرناؤوط ١٧٠/٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ٣٨١/٦، برقم ٣٣٤٦، ومسلم، ٢٢٠٨/٤، برقم ٢٨٨٠.

(٤) مسلم، ١٥٥٧/٣، برقم ١٩٦٧، والبيهقي، ٢٨٧/٩ وما بين المعقوفين للبيهقي، ٢٨٧/٩ وغيره، والجملة الأخيرة سقتها بالمعنىٰ من رواية مسلم.

رَحْمَنُ»[(١)].

١٢٩ ـ الاستِغْفَارُ والتَّوبَةُ

٢٤٨ ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ»[(٢)].

٢٤٩ ـ وَقَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٣)].

٢٥٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيّوُمُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[(٤)].

٢٥١ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[(٥)].

٢٥٢ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكثِرُوا

(١) أحمد، ٤١٩/٣، برقم ١٥٤٦١، بإسناد صحيح، وابن السني، برقم ٦٣٧، وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه للطحاوية، ص١٣٣، وانظر: مجمع الزوائد، ١٢٧/١٠.

(٢) البخاري مع الفتح، ١٠١/١١، برقم ٦٣٠٧.

(٣) مسلم، ٢٠٧٦/٤، برقم ٢٧٠٢.

(٤) أبو داود، ٨٥/٢، برقم ١٥١٧، والترمذي، ٥٦٩/٥، برقم ٣٥٧٧، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٥١١/١، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي، ١٨٢/٣، وجامع الأصول لأحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٣٨٩ ٣٩٠ بتحقيق الأرناؤوط.

(٥) الترمذي، برقم ٣٥٧٩، والنسائي، ٢٧٩/١، برقم ٥٧٢، والحاكم، ١/ ٣٠٩، وانظر: صحيح الترمذي، ١٨٣/٣، وجامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط، ١٤٤/٤.

الدُّعَاءَ»[(١)].

٢٥٣ ـ وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٢)].

١٣٠ ـ فَضْلُ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ

٢٥٤ ـ قَالَ ﷺ مَنْ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(٣)].

٢٥٥ ـ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[(٤)].

٢٥٦ ـ وَقَالَ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحمٰن: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[(٥)].

(١) مسلم، ١/٣٥٠، برقم ٤٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٤/٢٠٧٥، برقم ٢٧٠٢، قال ابن الأثير: «**ليُغان علىٰ قلبي**»، أي ليُغطَّىٰ ويُغشىٰ، والمراد به: السهو؛ لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عَدّهُ ذَنبًا علىٰ نفسه، ففزع إلىٰ الاستغفار. انظر: جامع الأصول، ٤/٣٨٦.
قلت: راجع ما ذكرتُه من أقوال أهل العلم (٣/٢٥٠). [ط]

(٣) البخاري، ٧/١٦٨، برقم ٦٤٠٥، ومسلم، ٤/٢٠٧١، برقم ٢٦٩١، وانظر: فضل من قالها مئة مرة إذا أصبح وإذا أمسىٰ، ص ٤٠٩ من هذا الكتاب.

(٤) البخاري، ٧/٦٧، برقم ٦٤٠٤، ومسلم بلفظه، ٤/٢٠٧١، برقم ٢٦٩٣، وانظر: فضل من قالها في اليوم مئة مرة: الدعاء رقم ٩٣، ص ٤١٠ من هذا الكتاب.

(٥) البخاري، ٧/١٦٨، برقم ٦٤٠٤، ومسلم، ٤/٢٠٧٢، برقم ٢٦٩٤.

٢٥٧ ـ وَقَالَ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ»(١).

٢٥٨ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(٢).

٢٥٩ ـ «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

٢٦٠ ـ وَقَالَ ﷺ: «يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»(٤).

٢٦١ ـ وَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»(٥).

٢٦٢ ـ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ: قَالَ: «قُلْ: لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

(١) مسلم، ٢٠٧٢/٤، برقم ٢٦٩٥.
(٢) مسلم، ٢٠٧٣/٤، برقم ٢٦٩٨.
(٣) أخرجه، الترمذي، ٥١١/٥، برقم ٣٤٦٤، والحاكم، ٥٠١/١، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح الجامع، ٥٣١/٥، وصحيح الترمذي، ١٦٠/٣.
(٤) البخاري مع الفتح، ٢١٣/١١، برقم ٤٢٠٦، ومسلم، ٢٠٧٦/٤، برقم ٢٧٠٤.
(٥) مسلم، ١٦٨٥/٣، برقم ٢١٣٧.

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» قَالَ: فَهؤلاء لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»(١).

٢٦٣ ـ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بهؤلاءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي**»(٢).

٢٦٤ ـ «**إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَفْضَلَ الذِّكْرِ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ**»(٣).

٢٦٥ ـ «**الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»(٤).

١٣١ ـ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَبِّحُ؟

٢٦٦ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ»، وفي زيادةٍ: «بِيَمِينِهِ»(٥).

(١) مسلم، ٢٠٧٢/٤، برقم ٢٦٩٦، وزاد أبو داود، ٢٢٠/١، برقم ٨٣٢: فلما ولَّىٰ الأعرابي قال النبي ﷺ: «**لقد ملأ يده من الخير**».

(٢) مسلم، ٢٠٧٣/٤، برقم ٣٦٩٧، وفي رواية له أيضًا: «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

(٣) الترمذي، ٤٦٢/٥، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، ١٢٤٩/٢، برقم ٣٨٠٠، والحاكم، ٥٠٣/١، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح الجامع، ٣٦٢/١.

(٤) أحمد، برقم ٥١٣، بترتيب أحمد شاكر، وانظر: مجمع الزوائد، ١/ ٢٩٧، وعزاه ابن حجر في «بلوغ المرام» من رواية أبي سعيد إلىٰ النسائي [في الكبرىٰ]، برقم ١٠٦١٧، وقال: صححه ابن حبان، [برقم ٨٤٠]، والحاكم [٥٤١/١].

(٥) أخرجه أبو داود بلفظه، ٨١/٢، برقم ١٥٠٢، والترمذي، ٥٢١/٥، برقم =

١٣٢ ـ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالآدَابِ الْجَامِعَةِ

٢٦٧ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ ـ أَوْ أَمْسَيْتُم ـ فَكُفُّوا صِبْيانَكُم، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُم، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[(١)].

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

= ٣٤٨٦، وانظر: صحيح الجامع، ٢٧١/٤، برقم ٤٨٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤١١/١.

(١) البخاري مع الفتح، ٨٨/١٠، برقم ٥٦٢٣، ومسلم، ١٥٩٥/٣، برقم ٢٠١٢.

[٣٩]

روائع الدعاء من القرآن وسنة خاتم الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ «اللَّهم إني أسألُك بأنَّ لك الحَمدَ، لا إلٰه إلاَّ أنتَ، المَنَّانُ، بديعُ السَّماواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيوم».

٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأني أشهَدُ أنك أنتَ اللَّهُ ـ لا إلٰه إلاَّ أنتَ ـ، الأَحَدُ الصَّمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كفُوًا أحدٌ».

٣ ـ «اللهمَّ صَلِّ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِ مُحمَّدٍ، كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ؛ اللهمَّ بارِكْ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِ مُحمَّدٍ، كما بارَكتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ في العالمين».

٤ ـ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٥ ـ ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٦ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

٧ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

٨ ـ ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

٩ ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

١٠ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

١١ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١٢ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

١٣ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

١٤ - ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

١٥ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

١٦ - ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

١٧ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

١٨ - ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

١٩ - ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٢٠ - ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

٢١ - ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾.

٢٢ - ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

٢٣ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢٤ - ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢٥ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢٦ - ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

٢٧ ـ ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

٢٨ ـ ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

٢٩ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٣٠ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٣١ ـ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٣٢ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

٣٣ ـ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

٣٤ ـ ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

٣٥ ـ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

٣٦ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٣٧ - ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٣٨ - ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣٩ - ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٤٠ - ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

٤١ - ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

٤٢ - ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٤٣ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٤ - ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٤٥ - ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤٦ - ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٧ - «اللَّهم إني أعوذُ بك مِنَ الجُبنِ، وأعوذُ بك أنْ أُرَدَّ إلىٰ أَرذَلِ العُمُر، وأعوذُ بك مِن فتنةِ الدُّنيا، وأعوذُ بك مِن عَذابِ القَبْر».

٤٨ - «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من فتنةِ النار، وعذابِ النار، وفتنةِ القبر، وعذابِ القبر، وشرِّ فتنةِ الغِنَىٰ، وشرِّ فتنةِ الفقر؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن شرِّ فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال؛ اللَّهمَّ اغسِلْ قلبي بماءِ الثَّلجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قلبي منَ الخطايا كما نَقَّيتَ الثوبَ الأبيضَ منَ الدَّنَس، وباعِدْ بينِي وبين خطاياي كما باعدتَ بين المَشرِقِ والمغرب؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِنَ الكَسل والمأثَمِ والمَغرَم».

٤٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ العَجز، والكَسل، والجُبْن، والبُخل، والهَرَم، وأعوذُ بك من عذابِ القبر، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحيا والممات».

٥٠ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن جَهْدِ البلاء، ودَرَكِ الشَّقاء، وسُوءِ القضاء، وشَماتةِ الأعداء».

٥١ ـ «اللَّهمَّ أصلِحْ لي دِيني الذي هو عِصمةُ أمري، وأصلِحْ لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأصلِحْ لي آخرتي التي فيها مَعادي، واجعَلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خَيرٍ، واجعَلِ الموتَ راحةً لي مِن كلِّ شر».

٥٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الهُدىٰ والتُّقَىٰ والعَفافَ والغِنَىٰ».

٥٣ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ العَجزِ، والكَسلِ، والجُبْنِ، والبُخلِ، والهَرَمِ، وعذابِ القبرِ؛ اللَّهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها؛ اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن علمٍ لا يَنفع، ومِن قلبٍ لا يَخشع، ومِن نَفسٍ لا تَشبع، ومِن دعوةٍ لا يُستجابُ لها».

٥٤ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الهُدَىٰ والسَّداد».

٥٥ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بِكَ مِن زوالِ نعمتِك، وتَحوُّلِ عافيتِك، وفُجاءَةِ نِقمَتِك، ومِن جميعِ سَخَطِكَ».

٥٦ ـ «اللَّهمَّ أكثِرْ مالي وولدِي، وبارِكْ لي فيما أعطيتَني، وأطِلْ حياتي علىٰ طاعتِكَ، وأحسِنْ عملي، واغفِرْ لي».

٥٧ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شرِّ ما عَمِلتُ، ومِن شرِّ ما لم أعمَلْ».

٥٨ ـ «لا إلٰه إلَّا اللَّهُ العظيمُ الحليم، لا إلٰه إلَّا اللَّهُ ربُّ العَرشِ العَظيم، لا إلٰه إلَّا اللَّهُ ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العَرشِ الكَرِيم».

٥٩ ـ «اللَّهمَّ رَحمتَكَ أرجو، فلا تَكِلني إلىٰ نفسي طَرْفةَ عَينٍ، وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلٰه إلَّا أنتَ».

٦٠ ـ «اللَّهمَّ إني عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أَمَتِك، ناصِيَتي بيَدِك، ماضٍ في حُكمُك، عَدلٌ في قضاؤُك، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسَكَ، أو عَلَّمتَه أحدًا مِن خَلقِكَ، أو أنزلتَه في كتابِكَ، أو استأثرتَ به في عِلمِ الغَيبِ عندَك: أنْ تَجعلَ القرآنَ رَبيعَ قلبي، ونُورَ صَدرِي، وجَلاءَ حُزني، وذَهابَ هَمِّي».

٦١ ـ «اللَّهمَّ مُصرِّفَ القُلوب، صَرِّفْ قلوبَنا علىٰ طاعتِك».

٦٢ ـ «يا مُقلِّبَ القُلوب، ثَبِّت قلبي علىٰ دِينِك».

٦٣ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخِرة».

٦٤ ـ «اللَّهمَّ أحسِنْ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرْنا مِن خِزيِ الدنيا وعذابِ الآخرة».

٦٥ ـ «اللَّهمَّ إنَّا نَسألُكَ مِن خَيرِ ما سألَكَ منه نَبيُّكَ مُحمَّدٌ ﷺ، ونَعوذُ بك مِن شرِّ ما استعاذَ منه نبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المستعان، وعليك البلاغُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّه».

٦٦ ـ «ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرني ولا تَنصُرْ عليَّ، وامكُرْ لي ولا تَمكُرْ عليَّ، واهدِني ويَسِّرِ الهُدىٰ إليَّ، وانصُرني علىٰ مَن بَغَىٰ عليَّ، ربِّ اجعَلني لك شَكَّارًا، لك ذَكَّارًا، لك رَهَّابًا، لك مِطواعًا، لك مُخبِتًا، إليك أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تَقبَّلْ توبَتي، واغسِلْ حَوْبَتي[1]، وأجِبْ دَعوتي، وثَبِّت حُجَّتي، وسَدِّد لِساني، واهْدِ قَلبي، واسْلُلْ سَخِيمةَ صَدرِي[2]».

٦٧ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شرِّ سَمعي، ومِن شرِّ بصرِي، ومِن شرِّ لساني، ومِن شرِّ قلبي، ومِن شَرِّ مَنِيِّي[3]».

(١) حوبتي: إثمي.

(٢) السَّخيمة: الحقد.

(٣) أراد من المني: الشهوة المتفلتة.

٦٨ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ الجُنونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ[١]، وسيِّئ الأسقام».

٦٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من مُنكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواء والأدواء».

٧٠ ـ «اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ كريمٌ تُحِبُّ العَفوَ، فاعفُ عنِّي».

٧١ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ فِعلَ الخَيْرات، وتَركَ المُنكَرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادِكَ فتنةً فاقبِضْني إليكَ غيرَ مَفتُون. اللَّهمَّ وأسألُكَ حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحبُّك، وحُبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقرِّبُني إلىٰ حُبِّك».

٧٢ ـ «اللَّهمَّ اقسِمْ لنا مِن خَشيتِكَ ما تَحولُ به بينَنا وبينَ معاصِيك، ومِن طاعتِكَ ما تُبلِّغُنا به جنَّتَك، ومنَ اليقينِ ما تُهوِّنُ به علينا مُصيباتِ الدنيا، ومَتِّعنا بأسْماعِنا وأبصارِنا وقُوَّتِنا ما أحيَيْتنا، واجعَلْه الوارثَ مِنَّا، واجعَلْ ثأرَنا علىٰ مَن ظَلَمَنا، وانصُرْنا علىٰ مَن عادَانا، ولا تَجعَلْ مُصيبَتنا في دِينِنا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مَبلغَ عِلمِنا، ولا تُسلِّطْ علينا مَن لا يَرحَمُنا».

٧٣ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُك منَ الخيرِ كلِّه ـ عاجِلِه وآجِلِه ـ، ما علِمتُ منه وما لم أعلَم، وأعوذُ بك منَ الشرِّ كلِّه ـ عاجِلِه وآجِلِه ـ، ما علمتُ منه وما لم أعلَم؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ مِن خَيرِ ما سألَكَ عبدُك ونبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ، وأعوذُ بك مِن شرِّ ما عاذَ منه عبدُك ونبيُّك مُحمَّدٌ ﷺ؛ اللَّهمَّ إني أسألُك الجنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِن قولٍ أو عَمَل، وأعوذُ بك منَ النَّارِ وما قَرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عَمَل، وأسألُكَ أن تَجعلَ كُلَّ قَضاءٍ قضيتَه لي خيرًا».

(١) البَرَص: مرض جلدي معروف.

٧٤ ـ «اللَّهمَّ احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمِتْ بي عدُوًّا حاسدًا؛ اللَّهمَّ إني أسألُك مِن كلِّ خيرٍ خزائنُه بيدِكَ، وأعوذُ بك مِن كلِّ شرٍّ خزائنُه بيدِكَ».

٧٥ ـ «رَبِّ اغفِرْ لي خطيئتِي وجهلي، وإسرافي في أمرِي، وما أنت أعلمُ به منِّي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي خطئي وعمدِي، وجهلي وهَزْلي ـ وكلُّ ذلك عندي ـ، اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلَنتُ، أنتَ المُقدِّمُ، وأنتَ المُؤخِّرُ، وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ».

٧٦ ـ «اللَّهمَّ إني ظَلمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، فاغفِرْ لي مغفرةً من عندِكَ وارْحمني، إنك أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ».

٧٧ ـ «اللَّهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنَبتُ، وبك خاصمتُ، اللَّهمَّ إني أعوذُ بعزَّتِك ـ لا إلٰه إلاَّ أنتَ ـ أن تُضِلَّني، أنتَ الحَيُّ الذي لا يَموتُ، والجِنُّ والإنسُ يَموتون».

٧٨ ـ «اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ مُوجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مَغفرتِكَ، والسلامةَ مِن كلِّ إثْمٍ، والغنيمةَ مِن كُلِّ بِرٍّ، والفَوزَ بالجَنَّةِ، والنَّجاةَ منَ النار».

٧٩ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي ذنبي، ووسِّعْ لي في دارِي، وبارِكْ لي في رِزقي».

٨٠ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ مِن فضلِكَ ورحمتِك، فإنه لا يَملِكُها إلاَّ أنتَ».

٨١ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ التَّرَدِّي والهَدْمِ والغَرَقِ والحَرَقِ، وأعوذُ بك أن يَتخبَّطَنِيَ الشيطانُ عند الموتِ، وأعوذُ بكَ أن أموتَ في سَبيلك مُدبِرًا، وأعوذُ بك أن أموتَ لَديغًا».

٨٢ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من العجزِ، والكَسَل، والجُبنِ، والبُخلِ،

والهَرمِ، والقَسوةِ، والغَفلة، والعَيلَةِ[١]، والذِّلَّةِ، والمَسكَنة، وأعوذُ بك منَ الفَقر، والكُفر، والفُسوق، والشِّقاقِ، والنِّفاقِ، والسُّمعةِ، والرِّياء، وأعوذُ بك مِنَ الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ، وسَيِّئِ الأسقام».

٨٣ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من الفقرِ، والقِلَّة، والذِّلَّة، وأعوذُ بك من أنْ أَظلِمَ أو أُظلَمَ».

٨٤ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن جَارِ السُّوءِ في دَارِ المُقامة[٢]؛ فإنَّ جارَ الباديةِ يتحوَّلُ».

٨٥ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن قَلبٍ لا يَخشع، ومِن دُعاءٍ لا يُسمَع، ومِن نَفسٍ لا تشبَع، ومِن عِلمٍ لا يَنفعُ، أعوذُ بك من هؤلاء الأربع».

٨٦ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن يومِ السُّوء، ومِن ليلةِ السُّوء، ومِن ساعةِ السُّوء، ومن صاحبِ السُّوء، ومِن جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامة».

٨٧ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ الجَنَّةَ، وأستجيرُ بكَ منَ النار» ـ ثلاث مرات ـ.

٨٨ ـ «اللَّهمَّ فقِّهني في الدِّين، وعلِّمني التأويل».

٨٩ ـ «اللَّهمَّ انفعني بما علَّمتَني، وعلِّمني ما يَنفعُنِي، وزدني عِلمًا، والحمدُ للَّه علىٰ كلِّ حال».

٩٠ ـ «اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك مِن أن نُشرِكَ بكَ شيئًا نعلمُه، ونستغفرُك لِمَا لا نعلمُه».

٩١ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ ـ يا اللَّهُ ـ بأنَّك الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ: أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنك أنتَ

(١) العَيْلة: الفقر.

(٢) أي: دار الإقامة التي يعيش فيها.

الغفورُ الرَّحِيم».

٩٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُك عِلمًا نافعًا، ورِزقًا طيِّبًا، وعملًا متقبَّلًا».

٩٣ ـ «ربِّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ، إنك أنتَ التوَّابُ الغفورُ».

٩٤ ـ «اللَّهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ، وقُدرَتِكَ علىٰ الخَلقِ، أحيِني ما عَلِمتَ الحياةَ خَيرًا لي، وتوفَّني إذا علِمتَ الوفاةَ خيرًا لي، اللَّهمَّ وأسألُكَ خَشيتَكَ في الغَيبِ والشهادة، وأسألُكَ كلمةَ الحَقِّ في الغَضب والرِّضا، وأسألُكَ القَصدَ في الفقرِ والغِنَىٰ، وأسألُك نعيمًا لا يَنفَدُ، وأسألُكَ قُرَّةَ عَينٍ لا تنقطعُ، وأسألُك الرِّضا بعدَ القضاء، وأسألُكَ بَردَ العَيشِ بعدَ الموت، وأسألُكَ لذَّةَ النَّظرِ إلىٰ وَجهِك، والشَّوقَ إلىٰ لقائِك، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهمَّ زيِّنا بزينةِ الإيمان، واجَعلنا هُداةً مُهتَدِين».

٩٥ ـ «اللَّهمَّ ارزُقنِي حُبَّك، وحُبَّ مَن يَنفعُنِي حُبُّه عندَك؛ اللَّهمَّ ما رزقتَني مما أُحِبُّ فاجعَلْه قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ؛ اللَّهمَّ وما زَوَيتَ[1] عنِّي مما أُحِبُّ فاجعَلْه فراغًا لي فيما تُحِبُّ».

٩٦ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ والجُبن، وأعوذُ بك من سُوءِ العُمر، وأعوذُ بك من فِتنةِ الصَّدر، وأعوذُ بك من عذابِ القبر».

٩٧ ـ «اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ ومِيكائيل إسرافيل ورَبَّ مُحمَّدٍ ﷺ، أعوذُ بك مِن حَرِّ النارِ، ومِن عذابِ القبر».

٩٨ ـ «اللَّهمَّ أَلهمني رُشدِي، وأَعِذْني مِن شَرِّ نفسي».

٩٩ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ عِلمًا نافعًا، وأعوذُ بك مِن علمٍ لا ينفعُ».

(١) زويت: منعت وأبعدت.

١٠٠ ـ «اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوىٰ، ومُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقان، أعوذُ بكَ مِن شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخِذٌ بناصيتِه، اللَّهمَّ أنت الأولُ فليس قَبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّينَ، وأغنِنَا منَ الفَقر».

١٠١ ـ «اللَّهمَّ ألِّفْ بين قلوبِنا، وأصلِح ذَاتَ بينِنا، واهدِنا سُبُلَ السَّلام، ونَجِّنا مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ النُّور، وجَنِّبنا الفواحشَ ـ ما ظَهرَ مِنها وما بَطَن ـ، وبارِكْ لنا في أسْماعِنا وأبصارِنا وقُلوبنا وأزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا، وتُبْ علينا إنك أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيم، واجعَلْنا شاكرينَ لِنِعَمِكَ، مُثنِينَ بها عَليك، قابِلِينَ لها، وأَتِمَّها علينا».

١٠٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ خيرَ المَسألة، وخيرَ الدُّعاء، وخيرَ النَّجاح، وخيرَ العَمل، وخيرَ الثواب، وخيرَ الحَياة، وخيرَ الممات، وثَبِّتنِي، وثَقِّلْ موازيني، وحَقِّقْ إيماني، وارفَعْ درجاتي، وتَقبَّلْ صلاتي، واغفِر خطيئتي؛ وأسألُك الدرجاتِ العُلا من الجنَّةِ، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُك فَواتِحَ الخَيرِ، وخواتِمَه، وجوامعَه، وأوَّلَه، وآخِرَه، وظاهرَه، وباطنَه، وأسألُكَ الدرجاتِ العُلا منَ الجَنَّة، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُك خيرَ ما آتي، وخيرَ ما أفعلُ، وخيرَ ما أعملُ، وخيرَ ما بَطَنَ، وخَير ما ظَهَر، وأسألُك الدرجاتِ العُلا منَ الجنَّة، آمين.

اللَّهمَّ إني أسألُكَ أن تَرفعَ ذِكري، وتَضعَ وِزرِي، وتُصلِحَ أمرِي، وتُطهِّرَ قلبِي، وتُحصِّنَ فَرجِي، وتُنوِّرَ لي قلبِي، وتَغفِرَ لي ذنبِي، وأسألُكَ الدرجاتِ العُلا منَ الجَنَّة، آمين.

اللَّهم إني أسألُكَ أن تُبارِكَ لي في نفسي، وفي سَمعِي، وفي بَصَري،

وفي رُوحِي، وفي خَلقِي، وفي خُلُقي، وفي أهلي، وفي مَحيايَ، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبَّلْ حسناتي، وأسألُكَ الدرجاتِ العلا منَ الجَنَّة، آمين».

١٠٣ ـ «اللَّهمَّ جنِّبني مُنكراتِ الأخلاقِ والأهواءِ والأعمالِ والأدواء».

١٠٤ ـ «ربِّ قَنِّعني بما رزقتَني، وبارِكْ لي فيه، واخلُفْ عليَّ كلَّ غائبةٍ لي بِخَيرٍ».

١٠٥ ـ «اللَّهمَّ حاسِبْني حسابًا يسيرًا».

١٠٦ ـ «اللَّهمَّ أعِنِّي علىٰ ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتِكَ».

١٠٧ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ إيمانًا لا يَرتدُّ، ونعيمًا لا يَنفَد، ومُرافقة النَّبي ﷺ في أعلىٰ غُرَفِ الجَنَّة».

١٠٨ ـ «اللَّهمَّ قِنِي شرَّ نفسي، واعزِمْ لي علىٰ أرشَدِ أمرِي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أخطأتُ وما تعمَّدتُ، وما علِمتُ وما جَهِلتُ».

١٠٩ ـ «اللَّهمَّ إني أعوذُ بك مِن غَلَبَةِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ العدُوِّ، وشَماتةِ الأعداء».

١١٠ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي، واهدِني، وارزُقني، وعافِني، أعوذُ باللَّهِ مِن ضِيقِ المَقامِ يومَ القِيامة».

١١١ ـ «اللَّهمَّ مَتِّعني بسَمعي وبَصَرِي، واجعَلْهما الوارِثَ مِنِّي، وانصُرني علىٰ مَن ظَلَمَنِي، وخُذ منه بثأرِي».

١١٢ ـ «اللَّهمَّ إني أسألُكَ عِيشةً هنيَّةً، ومِيتةً سَوِيَّةً، ومَرَدًّا غيرَ مُخزٍ ولا فاضحٍ».

١١٣ ـ «اللَّهمَّ لك الحمدُ كلُّه، اللَّهمَّ لا قابِضَ لما بَسطَّتَ، ولا باسِطَ لما قَبضَّتَ، ولا هاديَ لما أضللتَ، ولا مُضِلَّ لمن هَديتَ، ولا مُعطِيَ لما

مَنعتَ، ولا مانِعَ لما أعطيتَ، ولا مُقرِّبَ لما باعدتَ، ولا مُباعدَ لما قَرَّبتَ؛ اللَّهمَّ ابسُطْ علينا مِن بركاتِكَ ورَحْمتِكَ وفضلِكَ ورِزقِكَ؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ النعيمَ المُقيمَ الذي لا يَحولُ ولا يَزول؛ اللَّهمَّ إني أسألُكَ النَّعيمَ يومَ العَيلَة، والأمنَ يومَ الخَوفِ؛ اللَّهمَّ إني عائذٌ بك مِن شَرِّ ما أعطيتَنا، وشرِّ ما مَنعتَ؛ اللَّهمَّ حَبِّب إلينا الإيمانَ، وزَيِّنه في قلوبِنا، وكَرِّه إلينا الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ، واجعَلْنا منَ الرَّاشِدِين؛ اللَّهمَّ تَوَفَّنا مُسلِمِين، وأحيِنا مُسلِمين، وألْحِقنا بالصالحِين، غيرَ خزايَا ولا مفتونِين؛ اللَّهمَّ قاتِلِ الكَفرةَ الذين يُكذِّبُون رُسُلَك، ويَصدُّون عن سبيلِكَ، واجعلْ عليهم رِجزَكَ وعذابَكَ؛ اللَّهمَّ قاتِلِ الكفرةَ الذين أوتُوا الكتابَ إلٰهَ الحَقِّ».

١١٤ ـ «اللَّهمَّ اغفِرْ لي، وارحمني، واجبُرني، واهدِني، وارزُقني».

١١٥ ـ «اللَّهمَّ أحسنتَ خَلْقي، فأحْسِنْ خُلُقي».

١١٦ ـ «اللَّهمَّ ثَبِّتْني، واجعلْني هاديًا مَهدِيًّا».

١١٧ ـ «اللَّهمَّ زِدْنا ولا تَنقُصْنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعِطَنا ولا تَحرِمْنا، وآثِرْنا ولا تُؤثِرْ علينا، وأرضِنا وارْضَ عنَّا».

١١٨ ـ «اللَّهمَّ آتني الحِكمةَ التي مَن أُوتِيَها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا».

١١٩ ـ «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الهَمِّ والحَزَن، والعَجَزِ والكَسَل، والجُبنِ والبُخل، وضَلَعِ الدَّين وقَهرِ الرِّجال».

١٢٠ ـ «اللهمَّ إني أعوذُ برِضاك من سَخَطِك، وبِمُعافاتِكَ مِن عُقوبتِك، وأعوذُ بك منك لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نَفسِكَ».

١٢١ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ العَفوَ والعافيةَ واليَقينَ في الآخِرَةِ والأولىٰ».

١٢٢ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ الصَّبرَ وتَمامَ النِّعمة».

١٢٣ ـ «اللهمَّ إني أسألُكَ الثباتَ في الأمر، والعَزِيمةَ علىٰ الرُّشد، وأسألُك شُكرَ نِعمَتِك، وأسألُكَ حُسنَ عِبادَتِك، وأسألك قلبًا سليمًا، وأسألك لسانًا صادقًا، وأسألُك مِن خَيرِ ما تَعلمُ، وأعوذُ بك مِن شرِّ ما تَعلمُ، وأستغفرُك لِمَا تعلم، إنَّك أنتَ علاَّمُ الغُيوب».

١٢٤ ـ «اللهمَّ اهدِني فيمَن هَدَيت، وعافِني فيمَن عافَيت، وتولَّني فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لي فيما أعطيت، وقِنِي شَرَّ ما قَضَيت، فإنك تَقضِي ولا يُقضَىٰ عليك، وإنه لا يَذِلُّ مَن واليت، ولا يَعِزُّ مَن عادَيت، تباركتَ ربَّنا وتعالَيت».

١٢٥ ـ «وصَلِّ اللهمَّ وبارِك علىٰ الحبيب مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحبِه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، وسَلِّم تسليمًا كثيرًا»[1].



(١) قال أبو شعيب ـ عفا اللَّه عنه ـ: آمين آمين آمين، وأسأل اللَّه جل في عُلاه أن يتقبَّل مني هذا العمل وسائر أعمالي بقبول حسن، وأن يجعلنا من أهل التوحيد الصافي، وأن يصرف عنا الشرك وخبائثه وبلاياه، وأن يجعلنا من أوليائه حقًّا وصدقًا، وأن يتولانا في دنيانا وأُخرانا، وأن يبيِّض وجوهنا يوم تبيض وجوهٌ وتسودُّ وجوه، وأن يحشرنا في زمرة الحبيب المصطفىٰ ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].
وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم وبارك علىٰ إمامنا وحبيبنا محمد، وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

الفهارس

[١] فهرس أطراف الأحاديث النبوية

أتقاهم (لما سئل عن أفضل الناس) ١٨٤/٣
آتي بابَ الجنة فأستفتح ١٤٣/٣، ٢٢١
أجعلتني للَّه ندًّا؟! ١٣٧/١، ٥٠٠، ٥٦١/٢، ٣٤٩، ٣١/٣
أحبُّ الكلام إلىٰ اللَّه أربعٌ ١٢٦/٣
أحسنُها الفأل ١٠٦/١، ٢٤٩/٢
أحلُّوا لهم الحرام ٢٠٤/٣
أخوفُ ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ٣٩/١، ٥٨/٢، ٩٨
إذا أراد اللَّهُ بعبده الخير عجَّلَ له العقوبة في الدنيا ١٢٠/١، ٢٩٦/٢
إذا أراد اللَّهُ تعالىٰ أن يوحيَ بالأمر ٧٢/١، ٣٧٥، ١٦٢/٢
إذا أرسلتَ كلبك المعلَّم ١٢٨/٣
إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور ٢٩٦/٣
إذا أنا متُّ فاسحقوني ٥٥٥/١
إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران ١٧٤/٣، ١٩٥، ٤٣٥
إذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه ٤٩٢/١
إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان ٢٥٣/٢
إذا دخل الرجلُ منزله؛ فذكر اسم اللَّه ١٢٩/٣
إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه ١٨٩/١
إذا سألتَ فاسألِ اللَّه ٤٩٠/١، ٥٩٥/٢، ٥٩٩، ٣١/٣، ٧٥، ١٣٣
إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثلَما يقول ٢٢/٣
إذا صلَّىٰ أحدكم فليبدأ بتحميد ربِّه ٦٣١/٢
إذا عملت سيئةً فاعمل حسنة ٤٠٧/٣
إذا قال الرجلُ للمنافق: «يا سيدي» فقد أغضب ربه ٤٠٥/١

إذا قضىٰ اللَّه الأمرَ في السماء ضَربت الملائكة ١/٧٢، ٢/١٦٢
إذا ولغ الكلبُ في إناء أحدكم ٣/٢٠٩
أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ١/١١٠، ٢/٢٦٥، ٣/١٥٦
أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ٣/١٥٦
أُرِيتُ دارَ هجرتكم ٢/٦٢٢
أسألُك بأن لك الحمدَ ١/٥٢٩
أسألك بنُور وجهك الذي أشرقتْ له السماواتُ ٣/٣٢١
أسرع الدعاء إجابةً ٣/٢٤
أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة ١/١٦٣، ٢/٤١٦
أصدقُ الأسماء حارث وهمام ٣/٨٩
أصلِحْ لي شأني كلَّه ١/٥٦٠
أعوذ بكلمات اللَّه التامات ٣/٢٧٠
أعوذُ بكلمات اللَّه التامة كلِّها ٣/٢٦٩
أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية ١/٢٣١
أغيظُ رجلٍ علىٰ اللَّه يوم القيامة وأخبثه ١/١٤١، ٢/٣٥٧
أفدِ نفسك وابنَيْ أخيك ٢/٥٤٩
أفضل الأعمال الحبُّ في اللَّه ١/٤٠٣
أفضل الحسنات ٣/٤٠٧
أفضلُ الدعاء يوم عرفة ٢/٣٧
أفضل الذكر: لا إلٰه إلا اللَّه ٣/١٢١، ١٢٧
أفضل الكلام بعد القرآن أربع ٣/١٢٦
أفضلُ كلمةٍ قالها الشاعر ٣/١٢٩
أفضلُ ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي ٣/١٢٢، ١٢٧
أفعلتَ ـ يا أبا بكر ـ ١/٤٠١

أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلا اللَّه ٢٠٣/١
أقم حتىٰ تأتيَنا الصدقة ٧٣/٣
أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة ٢٩٤/٣
ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي ١٢٢/١، ٣٠٣/٢
أَلَا أُعلِّمُك كلمةً إذا قلتَها نجوتَ من دِقِّهِ وجِلِّه ١٠٩/٣
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ٤٨٧/١
أَلَا هل أنبِّئُكم ما العَضْهُ؟ ١٠٠/١، ٢٣١
أَلَا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم ٤٤٤/٣
ألحِقوا الفرائضَ بأهلها ١٤١/٣
ألَّا أدعَ تمثالًا إلا طمستُه ٤٤٥/٣
ألَّا تَدَعَ صورةً إلا طمستَها ١٦٣/١، ٤١٦/٢
ألَّا تَدَعَ قبرًا مشرفًا إلا سوَّيتَه ٥٦١/٢
ألَّا تسألوا الناس شيئًا ٧٤/٣
ألَّا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر ٥٠/١، ١٠١/٢
أليس يُحرِّمون ما أحلَّ اللَّهُ فتحرِّمونه؟ ١٢٦/١، ٣١٩/٢، ٥٦٦
أليس يشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه؟ ٣٧٣/٣
أما بعد، فإن أهل الشرك والأوثان ٥١٠/٢
أَمَر ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ بقتل الكلب ٢٠٩/٣
أمر النبي ﷺ لمعاذٍ أن يبدأ بدعوة التوحيد ٤٦٤/٢
أمر بزيارة القبور ٥١٧/١
أُمر رسولُ اللَّه ﷺ أن يجاهد بيده ٣٩٩/١
أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتىٰ يشهدوا ٤٦٤/٢، ١٩٩/٣
أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا ٢٠٣/١، ٢٠٤، ٤٦٤/٢
أُمرت بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ٧٠/٢

أن إبراهيم خيرُ البرية ٣/٩٥
إن أخنعَ اسم عند اللَّه ١/١٤١، ٢/٣٥٧
إن آل فلان ليسوا لي بأولياء ٣/١٤٥
أن أمته ستفترقُ كما افترقت اليهود والنصارىٰ ٢/٦١٥
إن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبته ٣/٢٩٢
أن أولَ ما خلق اللَّه العقل ٣/٢٢٦
إن أول ما خلق اللَّه القلم ٣/٢٢٨، ٣٧٢
إن أول من تُسعَّرُ بهم جهنم ٣/٤٣٤
إن أوليائي المتقون من كانوا ٣/١٤٥
إن أولٰئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح ٣/٢٩٢
أن الإسلام بدأ غريبًا ٢/٤٨٣
أن الجنة لا يدخلُها مَن في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْر ٣/٨٨
إن الدعاء والبلاء ليَلتقيان، فيَعتلِجانِ ٣/٥٣
إن الرُّقىٰ والتمائمَ والتِّوَلةَ شرك ١/٥٠، ٢/١٠١
إن العباس يُحشر بين حبيب وخليل ٣/٩٨
إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه ١/١٧١
إن العيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرةَ من الجِبْت ١/٩٨، ٢/٢٣١
أن اللَّه تعالىٰ نهىٰ نبيَّه ﷺ عن الاستغفار للمشركين ٣/٢١
إن اللَّه اتخذني خليلًا ٣/٩٦
إن اللَّه تعالىٰ أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ٣/١٨٤
إن اللَّه تعالىٰ قال: أصبح من عبادي ١/١٣٣، ٢/٣٤٠
إن اللَّه حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل ٣/٢٩٤
إن اللَّه خلق للجنة أهلًا ٣/٦٠
إن اللَّه زَوىٰ لي الأرض ١/٩٢، ٢/٢٠٩

إن اللَّه ضَرَب الحقَّ علىٰ لسان عمر وقلبه ١٩٦/٣
إن اللَّهَ طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا ٢٠٨/٣
إن اللَّه قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ٢٦٨/٢
إن اللَّه كتب كتابًا ـ قبل أن يخلق الخلق ـ ٣٧٦/١
إن اللَّهَ نظيفٌ يحبُّ النظافة ٢٠٨/٣
إن اللَّه هو الحَكَم، وإليه الحُكم ١٤٢/١، ٣٦٠/٢
إن اللَّه وَكَّل بقبري ملائكةً ٢٩٣/٣
إن اللَّه يحبُّ من أصحابي أربعة ٤٢٠/٢
إن اللَّه يرضىٰ لكم ثلاثًا ٢١٥/١
إن الملائكة تنزلُ في العَنان ٢٨٥/٣
أن النبي ﷺ كان راكبًا علىٰ بغلةٍ ٥٤١/١
إن اليهود والنصارىٰ لا يَصبِغون؛ فخالفوهم ٥٢٢/٢
إن بالمدينة لرجالًا ما سِرتم مسيرًا ٨٥/٣
أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك ٢٤٧/٣
أن تشهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ٤٠/٣
إن ثلاثةً من بني إسرائيل ١٤٥/١، ٣٦٨/٢
أن رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان ٣٢٤/٣
أن طائفةً من أمَّته يستحلُّون الربا باسم البيع ٤٧٨/١
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية ٥١٢/٢
إن كاد لَيمسُّنا في خلاف ابن الخطاب عذابٌ عظيم ٤١٥/١
إن للَّه أَهْلِينَ من الناس ٥١/٣
أن ملائكة القبر حين تضرب الميت ٥٤١/١
إن مما أدرك الناسَ من كلام النبوة الأولىٰ ٦٣٩/٢
إن من البيان لَسِحرًا ١٠٠/١

إن من البيان لَسِحرًا ٢/٢٣٢
إن من شرار الخلق مَن تُدركُهم الساعةُ ٣/٢٩٣، ٤٤٥
إن مِن ضعفِ اليقين ١/١١٥، ٢/٢٧٨
إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ٣/٩٦
أن موسىٰ قال: يا رب، علِّمني شيئًا أذكرُك وأدعوك به ... ٢/٤٥٨
إن هذا يومٌ جعله اللَّه للمسلمين عيدًا ٢/١٢٩
إن هٰذه الحشوشَ مُحتَضَرةٌ ٣/٢٠٨
إن هٰذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها ٢/٥١١
إن وجدتم فلانًا وفلانًا ١/٢٤٧
أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ٣/١٤٣
أنا بريءٌ من مسلم بين أظهُر المشركين ١/٤١٧
أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ ٣/٢٢٠
أنا علىٰ علم من علم اللَّه علَّمَنيه اللَّهُ لا تَعْلَمُه ٣/٢٦٢
أنا لها، أنا لها ٢/٥٨١، ٥٩٦
أنت مني، وأنا منك ٢/٥٢٠
أنتم تُوَفُّون سبعين أمةً ٣/٢١٨
إنك امرؤٌ فيك جاهلية ٣/١٥٦
إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ١/٤١، ٢/٦٥
إنكم تختصمون إليَّ ٣/٢٦١
إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك ١/١٠٨، ٢/٢٥٦
إنما هو الشرك ٢/٢٣، ٣/٩٤
إنَّ أول ما خلق اللَّه القلمُ ١/١٦٠، ٢/٤١٠
أنَّ بَعْثَ النار ١/٥٢٥
إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عظم البلاء ١/١٢١، ٢/٢٩٦

إنَّ عِظمَ الجزاء مع عظم البلاء..... ٢٩٦/٢
إنَّ من شرار الناس مَن تُدرِكُهم الساعةُ..... ٨٤/١، ١٩٢/٢
إنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ٦٣٧/٢
إنَّا ـ معشر الأنبياء ـ دينُنا واحد ٢١٦/٣
أنه رأىٰ جبريل يَزَعُ الملائكة ٢٣٤/٣
إنه لا يأتي بخير..... ٣٣/٣
إنه لا يُستغاثُ بي..... ٦٥/١، ١٤٦/٢، ٥٦١
إنه ليُغانُ علىٰ قلبي ٢٥٠/٣
أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده ٧٥/١، ١٧٠/٢
أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده ١٧٠/٢
إنها السُّنن؛ قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ..... ٤٦٠/٢
أنهم أربعون رجلًا، وأنهم بالشام ١٤٩/٣
إنهم لا يَسْتَرْقون ٢٨/٣
إنهما لا يُطهِّران ١٠٧/٢
إني ـ واللَّهِ ـ لا أُعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا ١٦٥/٣
إني أبرأُ إلىٰ اللَّه أن يكون لي منكم خليل ٨٣/١، ١٩١/٢
إني لأعلم آخرَ أهل الجنة دخولًا الجنة ٢٤٨/٣
أوثق عُرىٰ الإيمان الحبُّ في اللَّه ٣٩٥/١، ٣٩٦، ٤٠٣ ـ ٨٣/٣، ١٤١
أوحىٰ اللَّه إلىٰ نبي من الأنبياء ٤٠٢/١
أولٰئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح . ٨٣/١، ١٩١/٢، ٤٤٣/٣، ٤٥٥
إياكم والغلوَّ ٧٩/١، ١٨٧/٢
آية المنافق ثلاثٌ..... ٣٥١/١، ١٥٧/٣
إيمانٌ باللَّه، وجهادٌ في سبيله ١٨٨/٣
أينما لقيتموهم فاقتلوهم ٢٠٤/١

أيها الناس، اتقوا هٰذا الشرك ١/٣٤٩
أيها الناس، توبوا إلىٰ ربكم ٣/٢٤٩
اتقوا فراسةَ المؤمن ٣/٢١١
اثنتانِ في الناس هما بهم كفرٌ ١/١٢٠، ٢/٢٩٦
اجتنبوا السبع الموبقات ١/٩٦، ٢/٢٢٢
اجعل لنا ذات أنواط ١/٢٠١
احتجَّ آدم وموسىٰ ٣/٤٧، ٢٥٦
احرصْ علىٰ ما ينفعُك ١/١٥٦، ٢/٤٠٠
احفظ اللَّه يحفظْك ٢/٩٥
اختلاف أمتي رحمة ٢/٤٧١
ارفع رأسَك، وقلْ يُسمع ٢/٥٩٣
اشتد غضبُ اللَّه علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ... ٣/٤٤٧
اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه ١/١٦٨، ٢/٤٢٦
افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقةً ٢/١٧
اقرأ عليَّ القرآن ٣/٣٠١
الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نَوىٰ ١/٤٧٣
الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ٢/٣٠٠
الإيمانُ أن تؤمن باللَّه وملائكتِه ١/١٦٠، ٣٧٢، ٢/٤١٠
الإيمانُ بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبةً ٣/١٥٦
الجنة أقربُ إلىٰ أحدكم من شِراك نعله ١/٥٩، ٢/١٢٦
الحلفُ مَنفَقةٌ للسِّلعة ١/١٦٥، ٢/٤١٩
الحياء شعبةٌ من الإيمان ٢/٢٣٣
الخوارجُ كلابُ أهل النار ٣/٣٧٥
الدعاء مخ العبادة ١/١٩٢

الدعاء هو العبادة ١٩٢/١
الدنيا ملعونٌ ما فيها ١٠٨/٣
الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها ١٠٧/٣
الذين لا يَستَرْقُون، ولا يكْتوون ٤٦١/٢
الراحمون يرحمُهم الرَّحمٰن ١٦٢/٣
الربا نيِّف وسبعون حُوبًا ٢٢٦/٢
السلام عليكم ـ أهل دار قوم مؤمنين ـ ٤١٤/٣
السيدُ اللَّه ﷻ ١٧٤/١، ٤٣٨/٢
الشركُ أخفىٰ من دبيب الذرِّ ٤٠٤/١
الشرك باللَّه، واليأسُ من رَوح اللَّه ١١٩/١، ٢٩٢/٢
الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة ٣٤٨/١
الصلاةُ علىٰ وقتها ١٨٧/٣
الطيرةُ شركٌ ١٠٧/١، ٢٤٩/٢
العلماءُ ورثة الأنبياء ١٥/٣
القضاةُ ثلاثة: قاضيان في النار ٢٦٠/٣
الكيِّسُ من دان نفسه ٤٠/٢
اللَّه أكبر، إنها السُّنن ٥٤/١، ٥٠٢، ٤٩٥، ١١١/٢
اللهم أشكو إليك ضعف قوتي ٣٩٧/٢، ٧٦/٣
اللهم إنا كنا نتوسل إذا أجدبنا بنبينا ٥٣٢/١
اللهم أنت الأولُ فليس قبلَك شيء ٣٧٤/١
اللهم أنت السلام ٢٥١/٣
اللهم إني أُحبُّهما فأَحِبَّهما ٩٧/٣
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ٨١/٢
اللهم إني أسألك بأنك أنت اللَّه لا إلٰه إلا أنت ٨١/٢

اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ٣٢٢/٣
اللهم إني أسألُك بمحمدٍ نبيِّك ٣٢١/٣
اللهم إني أسألك بمعاقِدِ العزِّ مِن عرشك..... ٥٣٠/١
اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك ٥٥٥/١
اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا..... ٣٤٩/١
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي..... ٢٥٢/٣
اللهم العنْ فلانًا وفلانًا ٦٨/١، ١٥٤/٢
اللهم بارك لنا في يَمَنِنا ٦٢٠/٢
اللهم ربَّ السماوات السبع ٢٤٤/٣
اللهم فاطر السماواتِ والأرض ٢٥٣/٣
اللهم فقِّهه في الدين ٥٠/٢
اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد ٨٧/١، ٥٠٠، ١٩٩/٢، ٦٣٣، ٦٣٨، ٣٢/٣، ٢٩٣
اللهم لا تجعلْ للفاجر عندي يدًا ٤٠٣/١
المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللَّه من المؤمن الضعيف .. ١٧٤/٣
المؤمنُ مَن أَمِنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم..... ١٨٦/٣
المرءُ علىٰ دين خليله ٤٠٧/١
المرءُ مع من أحب..... ٤٠٣/١
المهاجرُ مَن هجر ما نهىٰ اللَّهُ عنه ٥٢٠/٢
انزعها؛ فإنها لا تزيدُك إلا وهْنًا..... ٤٧/١، ٩٣/٢
اهتز عرش الرَّحمٰن لموته ٣٢٩/٣
بدأ الإسلام غريبًا..... ٢٥٥/١، ٣٥٩، ١٧/٢، ٨٥، ٥٤٢، ٦١٧
بعث المغيرة بنَ شعبة لهدم اللات فهدمها ٥٦٢/٢
بعث خالد بن الوليد يومئذٍ لهدم العزىٰ ٥٦٢/٢

بُعثتُ بالسيف بين يدي الساعة ٤٦٢/٢، ٦٨/٣
بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة ٥٦٢/٢
بلىٰ (لما راجعه عمر رضي الله عنه في صلح الحديبية) ١٩٨/٣
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ٥٠٩/١
تدور رَحَىٰ الإسلام لخمس وثلاثين ٣٦١/١
تَعِسَ عبدُ الدرهم ٧٠/٣، ٨٢
تَعِس عبدُ الدينار ١٢٤/١، ٣٠٨/٢
تَمرُقُ مارقةٌ من الدين علىٰ حين فُرقةٍ ١٥٠/٣
ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد بهن ١١٣/١، ٢٧٢/٢، ٥٨/٣، ٨٣، ٩٨
ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمنُ الخمر ١٠٩/١، ٢٥٩/٢
ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّه ١٦٥/١، ٤١٩/٢
ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّه ٤١٩/٢
جاهدتُ في سبيلك حتىٰ قُتلتُ ٢٤٤/١
جُدَّ له ٢٧٨/٣
جُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا ٨٤/١، ١٩٢/٢
حدُّ الساحر ضربُه بالسيف ٩٦/١، ٢٢٢/٢
حديث الأعمىٰ الذي قتل المرأة ٥١٣/١
حديث الخوارج ٤٩٨/١
حديث المرأة التي كانت تُصرع ٣٧٨/٣
حرسُ ليلةٍ في سبيل اللَّه أفضلُ ٣١٦/٢
حسبنا اللَّه ونِعم الوكيل ٢٨٩/٢
خرجنا مع النبي ﷺ إلىٰ حُنين ٢٦٢/١
خمسٌ لا يعلمُها إلا اللَّه ٥٤٤/١
خمسٌ لا يعلمهن إلا اللَّه ٦١٠/٢

خمسٌ من الفواسق ٢٠٩/٣
خيرُ أمتي قرني ١٦٥/١، ٤١٩/٢
خير الدعاء دعاء يوم عرفة ١٢٢/٣
خيرُ القرون القرنُ الذي بعثتُ فيه ٢١٨/٣
خيرُ الناس قرني ١٦٦/١، ٤١٩/٢، ٦١٦
خَيَّر اللَّه سبحانه محمدًا ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولًا ١٦٤/٣
دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب..... ٥٧/١، ١١٨/٢
دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب..... ١١٨/٢
دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ٣٧٨/٣
دعهما ـ يا أبا بكر ـ؛ فإن لكل قوم عيدًا ١٣٠/٢
ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي باللَّه ربًّا..... ٥٨/٣
رأسُ الأمر الإسلام..... ١٨٩/٣
ربِّ اغفر لي وتب عليَّ ٢٥٠/٣
رُبَّ معلِّم حروف أبي جاد..... ٢٤٢/٢
رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر ١٨٦/٣
رحم اللَّهُ امْرَأً قال خيرًا أو صمت..... ٤٣٧/٣
رَحِم اللَّه عبدًا قال خيرًا فغنم..... ٤٣٧/٣
رُفع القلم عن ثلاثةٍ..... ١٧٧/٣
زيِّنوا القرآن بأصواتكم ٣٠٠/٣
سأل بحقِّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ ٣٢٣/٣
سألتَ عن عظيم، وإنه لَيسيرٌ علىٰ من يسَّره اللَّه عليه ١٣/٢
سبحان اللَّه! (لمن قال له: إنا نستشفع باللَّه عليك)١٧٢/١، ٤٣٥/٢
سبحان ربي العظيم ١٢٦/٣
سبحانك اللهم ربَّنا وبحمدك ٢٥٢/٣

سلمان منَّا أهل البيت ٤٢٠/٢
سَلُوا له التثبيت ٥١٨/١
سمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك ١٢٨/٣
سورة الإخلاص تعدل ربع القرآن ٤٧٢/١
سيدُ الاستغفار أن يقول العبد ٢٥٨/٣
سيكون في ثقيفٍ كذَّابٌ ومُبير ٢٣٥/٣
صغارُ العيون، ذُلْفُ الأنوف ٤٨٣/٢
طلب الدعاء من أويس القرني ٣٧٨/٣
طوبىٰ لمن رآني وآمن بي ٣١٢/٢
عائشة (لما سئل: من أحب الناس إليك؟) ٩٧/٣
عبادتهم: طاعتهم في المعصية ٣٤٨/١
عُرضت عليَّ الأُمم ٣٦/١، ٤٨/٢
عرف الحقَّ لأهلِه ٥٨٨/٢
فإذا فعلوا ذٰلك عصموا مني دماءهم ٤٦٦/٢
فإنَّ اللَّه حرَّم علىٰ النار ٣٢/٢، ٣٣، ٣٤، ٤٢
فإنه من يَعِشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا ٥٦٣/٢
فابن لَبُونٍ ذَكَر ١٤٢/٣
فذهب وَهَلي إلىٰ أنها اليمامة ٦٢٣/٢
فلماذا أخرجتَنا ونفسك من الجنة ٤٨/٣
فيأتوني، فأَخِرُّ بين يدي اللَّه ساجدًا ٥٨١/٢
قاتَلَ اللَّه اليهود والنصارىٰ ٤٤٤/٣
قاتلهم اللَّه، أما واللَّهِ لقد علموا أنهما لم يستقسما ١٨٣/١
قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلم ممن ذهب يَخلُقُ كخلقي ١٦٣/١
قال اللَّه تعالىٰ: ومَن أظلم ممن ذهب يَخلُقُ كخلقي ٤١٦/٢

قال بعضهم: لقد صَدَق نَوءُ كذا وكذا ١١١/١، ٢٦٥/٢
قال تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشرك ١٢٢/١، ٣٠٣/٢
قال رجلٌ: واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لفلان ١٧٠/١، ٤٣٢/٢
قال موسىٰ: يا رب، علِّمْني شيئًا ٣٢/١، ٣٦/٢
قتل كعب بن الأشرف ٣٣١/٢
قد خبَّأتُ لك خَبْأً ٢٨٥/٣
قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون ١٩٦/٣
قدِمتم خيرَ مَقدَمٍ من الجهادِ الأصغر ١٨٦/٣
قطع السَّمُرات التي كانت تعبدها قريش وهذيل ٥٦٢/٢
قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ٢٥٣/٣
قولوا: اللَّه مولانا ١١٢/٢
قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمْنا ١٩٤/٣
قولوا: لا إلٰه إلا اللَّه تفلحوا ٣٥٧/١
قوموا إلىٰ سيدكم ٤٣٩/٢
كاد أن يُصيبَنا في خلافك شرٌّ ٤١٤/١
كان أهل الجاهلية لا يُفيضون ٥١٠/٢
كلُّ أمر ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ ٤٥٣/٣
كلُّ مصوِّرٍ في النار ١٦٣/١، ٤١٦/٢
كلمتانِ خفيفتانِ علىٰ اللسان ١٢٦/٣، ١٢٩
كنا مع فضالةَ بنِ عبيدٍ ٤٤٥/٣
كيف يُفلح قومٌ شجُّوا نبيَّهم ٦٨/١، ١٥٤/٢
لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه ٥٧٦/٢
لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّ اللَّهَ ورسولَه . ٤١/١، ٧٢/٢، ٩٧/٣
لَأَنْ يأخذَ أحدُكم حَبْلَه فيذهب فيحتطب ٧٣/٣

لا ـ يا عمر ـ؛ حتىٰ أكون أحبَّ إليك من نفسك ٨٤/٣
لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا ٧٠/١، ١٦٠/٢
لا إلٰه إلا اللَّه تفلحوا ٩٩/٢
لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له ٦٢٥/٢
لا إلٰه إلا اللَّه؟ ٢٠٤/١
لا تتخذوا قبري عيدًا ٩٠/١
لا تتخذوا قبري عيدًا ٢٠٢/٢، ٢٠٦، ٦٣٣، ٦٣٨، ٣٢/٣، ٢٩٣، ٤٤٧
لا تتراءىٰ ناراهما ٥٥١/٢
لا تجعلوا بيوتَكم قُبورًا ٩٠/١، ٢٠٢/٢
لا تجعلوا قبري عيدًا ٥٨٢/٢
لا تجلسوا علىٰ القبور ٢٩٣/٣
لا تَحلِفوا بآبائكم ١٣٦/١، ٣٤٧/٢
لا تحلُّ المسألة إلا لذي غُرم مُفظِع ٧٢/٣
لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيه جُنبٌ ولا كلب ٢٠٧/٣
لا تزالُ المسألةُ بأحدكم ٧٢/٣
لا تسبُّوا أصحابي ٢١٨/٣
لا تسبُّوا الدهر ١٤٠/١، ٣٥٤/٢
لا تسبُّوا الريح ١٥٧/١، ٤٠٤/٢
لا تستضيئوا بنار المشركين ٥٥٠/٢
لا تستطيعه ١٨٨/٣
لا تستنجوا بالرَّوث ١٠٧/٢
لا تصاحب إلا مؤمنًا ٤٠٣/١
لا تصحبُ الملائكةُ رُفقةً معهم كلبٌ ٢٠٩/٣
لا تُطرُوني ٧٩/١، ١٨٧/٢، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٣، ٣١/٣، ٤٠

لا تقولوا للمنافق سيدًا ٤٠٥/١
لا تقولوا: السلام علىٰ اللَّه ١٥١/١، ٣٨٥/٢
لا تقولوا: ما شاء اللَّهُ وشاء محمدٌ ٣١/٣
لا تقومُ الساعة حتىٰ يَعبد فِئَامٌ من أمتي الأوثان ٦١٤/٢
لا تَنْسَنا ـ يا أُخيَّ ـ من دعائك ٣٧٨/٣
لا تنقطعُ الهجرةُ حتىٰ تنقطع التوبة ٥٥٠/٢
لا رُقيةَ إلا من عين أو حُمَة ٣٦/١، ٤٨، ٤٩
لا عدوىٰ ولا طِيَرة ١٠٦/١، ٢٤٩/٢
لا عَقْرَ في الإسلام ٤٥٢/٣
لا فضلَ لعربيٍّ علىٰ عَجَميٍّ ١٨٤/٣
لا نذر في معصية اللَّه ٤٥١/٣
لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ٥٢٢/١
لا يأتي علىٰ الناس زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه ٦١٥/٢
لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ ١١٣/١، ٢٧٢/٢
لا يؤمِنُ أحدُكم حتىٰ يكون هواه تَبَعًا ١٢٨/١، ٣٢٤/٢
لا يجد أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتىٰ ١١٣/١، ٢٧٢/٢
لا يحبُّ رجلٌ قومًا إلَّا حُشر معهم ٤٠٤/١، ٤٠٩
لا يدخل النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة ١٤٥/٣
لا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل ١٠٦/٣، ٢١٢
لا يزالون في شرٍّ من كذابهم ٦١٨/٢، ٦٢١
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٣٣٠/٢
لا يُسأل بوجه اللَّه إلا الجنة ١٥٥/١، ٣٩٧/٢
لا يعلمُ أحدٌ ما في غدٍ إلا اللَّه ٦١٠/٢
لا يقلْ أحدُكم: أطعِمْ ربك ١٥٣/١، ٣٩٢/٢

لا يقُلْ أحدكم: اللهم اغفرْ لي إن شئت ١٥٢/١، ٣٨٩/٢
لا يقولَنَّ أحدكم: اللهم اغفِرْ لي إن شئت ١٨/٣
لا، اعملوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له ٦٠/٣
لا؛ فإنك إن قتلته كان بمنزلتك ٤٦٥/٢
لا؛ لعلَّه أن يكون يصلي ٣٧٣/٣
لَتتَّبِعُنَّ سَننَ مَن كان قبلكم ٩٢/١، ٥٣٩، ٥٦٣، ٢٠٩/٢، ٥٦٠
لتركَبُن سَنَنَ مَن كان قبلكم ٥١٧/٢
لعل اللَّهَ اطلع علىٰ أهل بدر ٥٥/٢
لعن اللَّه اليهود والنصارىٰ ١/٥٠٠، ٥٣٩، ٦٣٣/٢، ٦٣٧، ٣٢/٣، ٢٩٢، ٤٤٤
لعن اللَّه زائرات القبور ٤٤٥/٣
لعن اللَّهُ زوَّارات القبور ٦٣٤/٢
لَعن اللَّهُ مَن ذبح لغير اللَّه ٥٧/١، ٤٩١، ١١٨/٢
لعنةُ اللَّه علىٰ اليهود والنصارىٰ ٨٣/١، ١٩١/٢، ٥٦١، ٤٤٤/٣
لقد رأيتني مع رسول اللَّه ﷺ حين اشتد علينا الخوف ٤٠٠/٢
لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ اللَّه عليه ٣١٠/٣
لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إلىٰ الرجل الحسن الصوت ٣٠٠/٣
لما أذنب آدمُ الذنبَ الذي أذنبه ٣٢٤/٣
لما ولدت حواءُ طاف بها إبليس ٣٧٣/٢
لن يَدخل أحدٌ منكم الجنةَ بعمله ٥٧٢/٢
لن يدخلَ الجنةَ أحدٌ بعمله ٢٥٤/٣
لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ١٦١/١، ٤١١/٢
لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر ١٩٧/٣
لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا ٩٦/٣، ١٠٠

لو لم أُبعث فيكم لبُعث فيكم عمر ١٩٦/٣
لولا حبيبي محمدٌ ما خلقت سمائي ٥٩٠/٢
لولا محمد ما خلقتك ٥٩١/٢
ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض ٧٩/٣
ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك ٢٩٨/٢
ليس منَّا مَن تَطيَّر أو تُطيِّر له ١٠٢/١، ٢٣٨/٢
ليس منَّا مَن ضرب الخدود ١٢٠/١، ٢٩٦/٢
ما أتاك من هٰذا المال وأنت غيرُ سائلٍ ٧٤/٣
ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَن ٣٧٩/٢
ما السماوات السبعُ في الكرسي ١٧٧/١، ٤٤٣/٢
ما الكرسيُّ في العرش إلا كحلْقةٍ من حديدٍ ١٧٧/١، ٤٤٣/٢
ما بالُ رجال يقول أحدهم: كذا وكذا؟! ١٩١/٣
ما ذئبانِ جائعان أُرسلا في زَريبةِ غنمٍ ١٠٩/٣
ما شاء اللَّهُ وشاء فلان ١٣٤/١، ٣٤٣/٢
ما طلعتِ الشمسُ ولا غَرَبت علىٰ أحدٍ ٢١٧/٣
ما فَعَل أسيرُك البارحة؟ ٢٨٧/٣
ما كنتم تقولون لمثل هٰذا في الجاهلية ٢٨٥/٣
ما من رجلٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوةٍ ٢٤/٣
ما من رجلٍ يُسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي ٢٩٣/٣
ما هٰذا؟ (لما رأىٰ رجلًا واقفًا في الشمس) ١٩١/٣
ما ينقم ابنُ جميل ٥١٢/١
مات عثمان ابن مَظْعون الذي بكىٰ عليه النبي ٣٢٨/٣
مثلُ الذي يُعين قومه علىٰ غير الحق ٤٠٦/١
مررتُ بك البارحةَ وأنت تقرأ ٢٩٩/٣

معاذ اللَّه أن نعبد غير اللَّه ٥٦٩/٢
مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمُهن إلا اللَّه ٦٠٩/٢
من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول ١٠١/١، ٢٣٨/٢
مَن أتىٰ عرَّافًا، فسأله عن شيءٍ ١٠١/١، ٢٣٨/٢
مَن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول ١٠١/١، ٢٣٨/٢
مَن أحب قومًا حُشر معهم ٤١٨/١
من أحب للَّه، وأبغض للَّه ٨٢/٣
من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ٥٢٨/١
مَن أعان صاحبَ باطل ليُدحض بباطله حقًّا ٤٨٨/٢
مَن أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ٢٠٨/٣
مَن اقتبس شعبةً من النجوم ٩٩/١، ٢٣١/٢
من اقتنىٰ كلبًا لا يُغني عنه زرعًا ولا ضَرْعًا ٢٠٩/٣
مَن التمس رضىٰ اللَّه بسخط الناس ١١٥/١، ٢٧٨/٢
مَن تشبَّه بقوم فهو منهم ٥٠٨/٢
من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّهُ له ٤٧/١
من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللَّهُ له ٩٣/٢
مَن تعلَّق شيئًا وُكل إليه ٥١/١، ١٠١/٢
من تقرَّب إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا ١٠٦/٣
من جامع المشركين ٤١٢/١، ٤١٧، ٤٤٢، ٥٤٩/٢، ٥٥١
من حلف بغير اللَّه فقد أشرك ٥٠٠/١، ٣١/٣
مَن حَلَف بغير اللَّه قد كفر أو أشرك ١٣٤/١، ٣٤٣/٢
مَن دعا إلىٰ الهدىٰ كان له من الأجر ٢٣/٣
مَن دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر ٨٥/٣
مَن ردَّته الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك ١٠٧/١، ٢٥٦/٢

مَن رمىٰ مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله ٤٥٢/١
مَن سأل الناس وله ما يُغنيه ٧٢/٣
مَن سأل باللَّه فأعطُوه ١٥٤/١، ٣٩٤/٢
مَن شهد ألَّا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له ٣٢/١، ٢٢/٢
من صلىٰ يرائي فقد أشرك ٣٠٤/٢
مَن صوَّر صورةً في الدنيا ١٦٣/١، ٤١٦/٢
من عادىٰ لي وليًّا ١٤٠/٣، ١٦٣
مَن عَقَد عقدةً ثم نفث فيها فقد سَحَر ٩٩/١، ٢٣١/٢
مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرُنا ٥٢٨/١
من قال في يومه مئةَ مرة ١٢٧/٣
مَن قال: لا إلٰه إلا اللَّه خالصًا من قلبه ٧٦/١، ١٧١، ٥٧٩/٢، ٥٩٣
من قال: لا إلٰه إلا اللَّه مخلصًا ٤٦٤/١
من قال: لا إله إلا اللَّه، وكفر بما يعبد من دون اللَّه ٤٥/١، ٤٦، ٣٣٤، ٨٩/٢، ٩١، ٤٥٧
مَن قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشرَ حسنات ١٣٠/٣
مَن كان آخر كلامه: لا إلٰه إلا اللَّه ٥٠١/١، ١٢٣/٣
مَن كان حالفًا فليحلِفْ باللَّه أو ليصمت ٣١/٣
مَن كان ذبح قبل الصلاة فليذبحْ مكانها أخرىٰ ١٢٨/٣
مَن كان يؤمنُ باللَّه واليوم الآخر ١٩٠/٣، ٤٣٧
مَن لا يَشكر الناس لا يشكر اللَّه ٢٨٢/٢
مَن لقي اللَّهَ لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة ٣٩/١، ٥٨/٢
من لم يأخذْ من شاربه فليس منا ١٠٦/٢
مَن مات وهو يدعو من دون اللَّه ٣٩/١، ٥٨/٢
مَن نذر أن يطيع اللَّه فليُطِعْه ٦٢/١، ٤٩٣، ١٣٤/٢

مَن نزل مَنزلًا فقال: ٦٣/١، ١٤١/٢، ٥٦٥، ٢٧٠/٣
مَن نَفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرب الدنيا..... ١٦١/٣
مَن يَستغنِ يُغنِهِ اللَّه ٧٤/٣
نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة ١٤٣/٣
نعم (لما سئل عن فتح مكة: أوَ فتحٌ هو؟)..... ٢١٩/٣
نهاه أن يقول هُجْرًا ٥١٧/١
نهىٰ أن يُزاد عليها غير ترابها ٥١٧/١
نهىٰ رسول اللَّه ﷺ أن يُجصَّص القبر ٤٤٦/٣
نهىٰ عن الكتابة عليها ٥١٧/١
نهىٰ عن تجصيص القبر ٥١٦/١
هل أخبرتَ بها أحدًا؟ ١٣٨/١، ٣٤٩/٢
هل بها عيدٌ من أعياد الجاهلية ٥١٤/٢
هل تدْرُون كم بين السماء والأرض؟..... ١٧٨/١، ٤٤٣/٢
هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟..... ١١٠/١، ٢٦٥/٢
هل تستطيع أن تصليَ فلا تَفتُر ٣١٧/٢
هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟ ٦٠/١، ١٢٧/٢
هلك المتنطِّعون ٨٠/١، ١٨٧/٢
هلك المتنطِّعون ١٨٧/٢
هم كلابُ النار..... ٣٧٥/٣
هو من أمر اليهود ٥١٥/٢
هي من عمل الشيطان (يعني النُّشْرة)..... ١٠٤/١، ٢٤٤/٢
هي من قَدَر اللَّه..... ٥٢/٣
وإنما أخافُ علىٰ أمتي الأئمةَ المضلين ٩٣/١، ٢١٠/٢
وإني لأثأر لأوليائي كما يثأرُ الليثُ الحَرِب..... ١٤٠/٣

والإلحاد في الحرم ٢٢٥/٢
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتىٰ..... ٨٤/٣
والذي نفسي بيده لتُنفَقَنَّ كنوزهما ٢١٣/٢
وحتىٰ تَعبد فئامٌ من أمتي الأوثان ٣٦١/١
وربِّ الكعبة (في الرد علىٰ كلام اليهود) ١٣٧/١، ٣٤٩/٢
وعَلَّم علىٰ قبره بصخرةٍ..... ٣٢٨/٣
وفوق ذٰلك بحرٌ، بين أعلاه وأسفله ٣٧٦/١
ولا رادَّ لما قضيت ٢١٤/٢
ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل ١٦٤/٣، ١٧٧
وما يدريك؟ إن اللَّه اطَّلع علىٰ أهل بدر..... ٤٩٦/٢
ومَن أحب للَّه، وأبغض للَّه ١٤١/٣
ومن عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ١٤٢/٣
ومن منعها فإنا آخِذُوها وشطرَ ماله..... ٥١٢/١
ومَن وَصلها وصله اللَّه ١٦٣/٣
وهي نائلةٌ ـ إن شاء اللَّه ـ مَن مات لا يشرك باللَّه ٥٧٩/٢
يؤذيني ابنُ آدم؛ يَسُبُّ الدهر..... ١٤٠/١، ٣٥٤/٢
يا أبا بكر، مَثَلُك مَثَلُ إبراهيم عليه السلام ٤١٣/١
يا أُخيَّ، لا تَنسني من دعائك..... ٢٣/٣
يا أيها الناس، قولوا بقولكم ١٧٤/١، ٤٣٨/٢، ٥٨٥
يا ابن آدم، لو أتيتني بقُرابِ الأرض..... ٣٣/١، ٣٦/٢
يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث ٥٦٠/١
يا رحمٰن، يا رحيم..... ٣٣٨/٢
يا رسول اللَّه، دعني أضرب عنق هٰذا المنافق ٤٥٠/١
يا رُويفع، لعل الحياةَ ستطولُ بك ٥١/١، ٢٠١/٢

يا عبادي، إني حرمتُ الظلم علىٰ نفسي ٢٥٩/٣
يا عدي، ألقِ هٰذا الوثنَ من عنقك ٤٦٩/٢
يا عم، قل: لا إلٰه إلا اللَّه ٧٧/١، ٣٥٨، ١٧٨/٢
يا فاطمةُ بنتَ محمد ٥٧١/٢، ٤٤٨/٣
يا فاطمةُ بنتَ محمد ٤٤٨/٣
يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللَّه ٢٩/١، ١٥/٢، ١٩، ١٨٨/٣، ١٨٩
يا معاذ، إني لأحبُّك ١٨٩/٣
يا معاذ، اتق اللَّه حيثما كنت ١٨٨/٣
يا معشرَ قريش ـ أو كلمة نحوها ـ ٦٩/١، ١٥٤/٢
يخرج من النار من قال ٣٣١/٢
يَطوي اللَّهُ السماوات يوم القيامة ١٧٦/١، ٤٤٢/٢
يقول اللَّه تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشرك ٥٢٨/١
يقول اللَّه تعالىٰ: أنا الرَّحمٰن؛ خلقت الرحم ١٦٢/٣
يقول اللَّه: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي ٨٨/٣
يقول: شُكرَكم ٢٦٦/٢
يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون ٢١٧/٢

[٢] فهرس الفوائد المنثورة

أخطاء شائعة تخصُّ المسجد الأقصىٰ ٣/٦٩
إشارة لطيفة من آية شريفة ٢/٥٠٠
أشهر من تكنَّىٰ بـ«أبي عبدالرَّحمٰن السلمي» ٣/١٤٨
أصل مقولة: النفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. ١/٢١٩
أعلىٰ مقامات العبد ٣/١٤٣
أقسام الشفاعة ٣/٣٤١
أهم الفروق بين «من» البيانية و«من» التبعيضية..... ٢/٦٠٥
اختلاف أمتي رحمة ٢/٤٧١
السراويل لفظ مفرد..... ٣/٢٩٦
السلف ما كانوا يحرمون شيئًا إلا بدليل قطعي ٢/٥٨٣
السنة عند زيارة قبر الحبيب ﷺ..... ٣/٣٣١
العبد إما أن يعيش بالشرع، وإما بالهوىٰ ٢/٥٠٣
الفرق بين الاطراد العرفي والاطراد العقلي ١/٤٥٧
الفرق بين الصلع والقرع..... ١/١٤٦
الفرق بين النبي والرسول..... ١/٢٩٠
الفرق بين طعام الدعوة وطعام الحاجة ١/٤٠٤
تحريف عبَّاد القبور لآيةٍ من القرآن الكريم ٣/٢٥
حكم تخصيص عليٍّ رضي الله عنه بقول: «كرم اللَّه وجهه» ٣/٣٤٩
تزايد فتنة الشبهات مع مرور الأيام..... ١/٤٣٠
تصحيح مهم عن آية تبديل السيئات..... ٣/٢٤٨
تعقيب علىٰ تعقيب ٢/٤٦٣

تفسير مهم عن تعريف الحمد عند بعض العلماء ٤١٠/٣
تفسير مهم لآيةٍ في سورة الأنبياء ١١٢/٣
تفسير مهم لآيةٍ في سورة الجاثية. ٤٩/٣
تفسير مهم لآيةٍ في سورة الرعد ٦٢٤/٢
تفسير مهم لآيةٍ في سورة الشرح ٢٩/٣
تلاعب بعض الجماعات الحزبية بأمر الجهاد..... ١٨٨/٣
تنبيه مهم ٢٦٠/١
تنبيه مهم علىٰ قصةٍ في السيرة..... ٢٧٧/٣
تنبيه مهم علىٰ لفظ «الذات» ٣٤٥/١
خطأ بيِّن في فهم آيةٍ قرآنية ٢١٧/١
خطأ في بيت شعر..... ٢١٣/١
خطأ نسبة قصيدة للإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ..... ٣٨٨/٣
دلالات مهمة للألفاظ..... ٦٠٢/٢
ضابط «لو» المنهي عنها..... ١٥٦/١
ضابط المنهي عنه من علم النجوم..... ٩٩/١
فرق مهم بين توجيه كلام الأمناء وغيرهم..... ١٠٤/٣
فروق مهمة..... ٢٧٩/١
فساد منهج الجماعات الحزبية ١٦/١
فضيلة المداومة علىٰ مجالس العلم ٥٥/١
قصة باطلة لأبي جعفر المنصور مع الإمام مالك ٥٥٦/١
قصة مؤلمة عن شرك الصوفية في مصر ٣٧٠/٣
قصة مؤلمة لبعض الصوفية ٥٦٣/١
قصة مهمة عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني ٢٩٠/٣
كلام مهم الإمامين ابن تيمية والذهبي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في حق الزمخشري

وتفسيره ٦١٢/٢
كلام مهم عن بدعية تقبيل الحجرة النبوية الشريفة، واحتجاج بعض صوفية مصر ٤٠٤/٣
ميزان العمل الصحيح للإسلام ١٦/١
كلام نفيس عن العذر بالجهل ٣٧٦/٣
كلام نفيس للإمام ابن تيمية عن التشبيه والتمثيل ٣٧٨/١
كلام نفيس للعلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على الحديث المشهور: «**اختلاف أمتي رحمة**» ٤٧١/٢
كلمة «اللَّه علم ورسوله» لا تقال بعد وفاة النبي ﷺ ٣١/١
كلمة رائعة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن بدعة الاستغاثة بالأموات ٣٤٠/٣
كلمة عظيمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ١٩١/٣
كلمةٌ قبيحةٌ في حقِّ رب العالمين عَزَّوَجَلَّ ١٧٢/١
كلمة نفيسة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ ٧٠/١
كلمة نفيسة للإمام ابن تيمية ١٨٨/١
كلمة نفيسة للحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإجماع العملي .. ٥٨٢/٢
لا فرق بين التقليد الأعمى وبين السير في طريق جهنم ٢١٥/١
لا يجوز التحريق بالنار ٢٤٧/١
لا يعذِّب بالنار إلا رب النار ٢٤٨/١
لفظ «الزي» أعم من الثياب ٥١١/٢
لم يكن الحبيب ﷺ سبابًا ولا فحاشا ٢٤٠/١
لماذا سمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة اللَّه ٣٢/١
ما هي شر المصائب؟ ٥٩٦/٢
مسلك الإيماء والتنبيه ٥١٢/٢

مع المراد من «المساجد» في آية سورة «الجن» ١٨٥/١
معنىٰ قوله ﷺ: «**إنه ليغان علىٰ قلبي**» ٢٥٠/٣
من البدع العصرية: إحياء الآثار ٢٢٩/١
من الموازين الهامة لطالب العلم ٣٤/١
من صور المنهج الفاسد للجماعات الحزبية ٢١٨/١
من صور مكر اليهود ٢٢٥/١
من ضلالات الصوفية ٣٩٩/٣
من طرائق المتعصبة في رد الأدلة ٣٨٢/٣
من كفريات الرافضة ٥٦٨/١
من موازين أهل الهوىٰ ٦٠٠/٢
هل الأنين شكوىٰ؟ ٧٥/٣
هل «المغيث» من أسمائه تعالىٰ الحسنىٰ ٣٣٨/٣
هل يصح إطلاق لقب «خليفة اللَّه» علىٰ الإنسان ٣٥٤/٣

[٣] فهرس محتويات الجزء الثالث

[٣٣] قاعدة الواسطة ـ ٧

أحوال الوسائط الذين بين الناس وكبرائهم ١٦
قواعد مهمة عند الأخذ الأسباب ٣٢

[٣٤] العبودية ـ ٣٥

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٤٩
مراتب من يشهدون الحقيقةَ الكونيةَ دون الدينية ٥٣
أسماء ذات مقصودٍ واحد..... ٦١
أسباب ذكر الخاص مع العام..... ٦٤
كيف يتحقق كمالُ المخلوق؟..... ٦٥
فصل..... ٧٠
أنواع ما يحتاجه العبد..... ٨١
أمور ثلاثة تتحقق بها حلاوة الإيمان..... ٩٩
آثار الدعاوىٰ الفاسدة..... ١٠٢
فصل..... ١١٤
أقسام الفناء..... ١١٤
الذِّكرُ الشرعي، والذِّكر البدعي..... ١٢١
فصل..... ١٣٢

[٣٥] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ ١٣٥

فصل..... ١٤٠

فصل ١٥٦
فصل ١٥٩
فصل ١٦٧
فصل ١٧١
فصل ١٧٣
فصل ١٧٧
فصل ١٨٢
اشتقاق التصوف ١٨٣
فصل ١٩٣
أصناف الناس مع الأكابر والأولياء ١٩٥
فصل ٢١٤
فصل ٢١٧
المعيَّة العامة، والمعيَّة الخاصة ٢٤٥
فصل ٢٤٧
الحقيقة والشريعة ٢٦٠
فصل ٢٦٤
١ ـ الإرادة ٢٦٤
٢ ـ الأمر ٢٦٥
٣ ـ الإذن ٢٦٦
٤ ـ القضاء ٢٦٦
٥ ـ البعث ٢٦٧
٦ ـ الإرسال ٢٦٨
٧ ـ الجَعْل ٢٦٨

٨ ـ التحريم ٢٦٩
٩ ـ الكلمات ٢٦٩
من حِكَم الكرامات ٢٧٥
أهم الفروق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية ٢٨٨
أحوال الناس مع خوارق العادات ٢٩٧
أنواع الخوارق ٣٠٢
فصل ٣٠٧
أحوال الجن مع الإنس ٣١٠

[٣٦] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ـ ٣١٥

السؤال الوارد للعلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣١٧
التوسل بجاه الأنبياء والأولياء ٣١٩
الدعاء عند قبور الصالحين ٣٢٧
١ ـ الاستغاثة ٣٣٧
المغيث بالحقيقة هو اللَّه ﷻ ٣٣٨
٢ ـ الاستعانة ٣٤٠
٣ ـ التشفُّع ٣٤٠
٤ ـ التوسل ٣٤٢
تعليق التمائم ٣٤٧
الذبح لغير اللَّه ﷻ ٣٤٩
الحلف بغير اللَّه ﷻ ٣٥١
اتخاذ القبور مساجد ٣٥٢
العيافة والطَّرْق والطِّيَرة ٣٥٧

إتيان الكاهن والعراف ٣٥٧
السمعة والرياء ٣٥٩
شرك الألفاظ ٣٦٠
التصوير ٣٦٢
حكم الاستغاثة بالأموات ٣٦٤
كيف يتمُّ إخلاص التوحيد؟ ٣٦٥
شرك القبوريين والوثنيين واحد ٣٦٦
التوحيد ليس مجرد كلمة ٣٧٢
لا يُشترط في وصف الرِّدَّة علمُ فاعلِها بالحكم ٣٧٦
شبهةٌ باطلة ٣٧٩
خفاء بعض الشركيات الشائعة علىٰ طائفةٍ من العلماء ٣٨٢
شبهةٌ أخرىٰ ٣٨٨
كلام الإمام ابن القيم حول شرك القبور ٣٩٦
عودةٌ إلىٰ السؤال بجاه وأعمال الصالحين ٤١٣
تفصيل المصنف أحوال الذهاب إلىٰ القبور ٤١٣
خلاصة أحوال الزيارة مع التوسل ٤١٧
الرد علىٰ الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في إجازته التوسلَ بجاه الأنبياء والصالحين ٤١٩
أقسام التوسل المشروع ٤٢٩
أقسام التوسل الممنوع ٤٣٠

[٣٧] شرح الصدور بتحريم رفع القبور - ٤٣١

بطلان الاحتجاج بفعل العوام ٤٥٤

[٣٨] حصن المسلم ـ ٤٥٧
[٣٩] روائع الدعاء من القرآن وسنة خاتم الأنبياء ـ ٥٢٩
[١] فهرس أطراف الأحاديث النبوية ٥٤٧
[٢] فهرس الفوائد المنثورة..... ٥٧٠
[٣] فهرس محتويات الجزء الثالث ٥٧٤
[٤] فهرس المحتويات العام ٥٧٩

[٤] فهرس المحتويات العام

محتويات الجزء الأول

[١] كتاب التوحيد ٢٧/١
[٢] كشف الشبهات ١٨١/١
[٣] مسائل الجاهلية ٢١١/١
[٤] شرح ستة مواضع من السيرة ٢٣٧/١
[٥] تفسير كلمة التوحيد ٢٤٩/١
[٦] القواعد الأربعة ٢٥٧/١
[٧] تلقين أصول العقيدة للعوام ٢٦٥/١
[٨] ثلاث مسائل ٢٧٣/١
[٩] رسالة في معنىٰ «الطاغوت» ٢٧٧/١
[١٠] الأصول الثلاثة ٢٨٣/١
[١١] الجامع لعبادة اللَّه ٢٩٥/١
[١٢] فوائد من سورة الفاتحة ٣٠١/١
[١٣] نواقض الإسلام ٣٠٧/١
[١٤] ستة أصول عظيمة ٣١٣/١
[١٥] فوائد حول قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ٣١٩/١
[١٦] فوائد حول قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ ٣٢٣/١
[١٧] شرح رسالة أصل الإسلام وقاعدته ٣٢٩/١
[١٨] أنواع التوحيد وأنواع الشرك ٣٤١/١

[١٩] التوحيد، وطروء الشرك علىٰ المسلمين، ومحاربة العلماء له ١/٣٥٣
[٢٠] الجواب عن أسئلة من عمان صدرت من جهميٍّ ضال ١/٣٦٩
[٢١] الجواب عن «لا إلٰه إلا اللَّه»، وتحقيق معنىٰ التوحيد ١/٣٨٣
[٢٢] أوثق عُرىٰ الإيمان ١/٣٩٣
[٢٣] حكم موالاة أهل الإشراك ١/٤٢١
[٢٤] حكم السفر إلىٰ بلاد الإشراك والإقامة فيها ١/٤٤٥
[٢٥] معنىٰ كلمة التوحيد، وتضمنها الكفر بما يُعبد من دون اللَّه تعالىٰ ١/٤٤٥
[٢٦] رسالة في معنىٰ كلمة التوحيد ١/٤٦١
[٢٧] تعريف العبادة، وتوحيد العبادة ١/٤٦٥
[٢٨] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ١/٤٨٣

محتويات الجزء الثاني

[٢٩] قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ٢/٧
[٣٠] أسباب نجاة السؤول من السيف المسلول ٢/٤٥١
[٣١] سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك ٢/٤٧٧
[٣٢] بيان المحجة في الرد علىٰ صاحب اللجة ٢/٥٥٧

محتويات الجزء الثالث

[٣٣] قاعدة الواسطة ٣/٧
[٣٤] العبودية ٣/٣٥
[٣٥] الفرقان بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان ٣/١٣٥
[٣٦] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ٣/٣١٥

[٣٧] شرح الصدور بتحريم رفع القبور ٣/٤٣١
[٣٨] حصن المسلم ٣/٤٥٧
[٣٩] روائع الدعاء من القرآن وسنة خاتم الأنبياء ٣/٥٢٩

الفهارس

[١] فهرس أطراف الأحاديث النبوية ٣/٥٤٧
[٢] فهرس الفوائد المنثورة ٣/٥٧٠
[٣] فهرس محتويات الجزء الثالث ٣/٥٧٤
[٤] فهرس المحتويات العام ٣/٥٧٩